

الفرق بين المعاجز الإلهية وبين السحر وتحضير الأرواح

تأليف
كاظم سليم العزاوي

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

اصدارات العتبة ٢٩٨
اصدارات القسم ٢٢٣



الفرق بين المعاجز الإلهية وبين السحر وتحضير الأرواح

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٧ - ٢٥٦٥

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

رقم تصنيف LC: BP 221.6 .G4 2017

المؤلف الشخصي: الغراوي، كاظم سلمان.

العنوان: الفرق بين المعاجز الإلهية وبين السحر وتحضير الأرواح.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م

الوصف المادي: [١٩٣] صفحة

سلسلة النشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ (٢٢٣)

موضوع شخصي: محمد صلى الله عليه وآله وسلم، نبي الاسلام، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ للهجرة. - المعجزات.

مصطلح موضوعي: المعجزات - دفع مطاعن.

مصطلح موضوعي: السحر في القرآن.

مصطلح موضوعي: المعجزات في القرآن.

مصطلح موضوعي: الشياطين والجان.

مصطلح موضوعي: الاسلام والسحر.

مؤلف اضافي: الحلو، محمد علي، ١٩٥٧ - ، مقدم.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

الفرق بين المعاجز الإلهية وبين السحر وتحضير الأرواح

تأليف

كاظم سلمان الغراوي



العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمة اللجنة العلمية

لم تُعد ظاهرة السحر حالة يتداولوها أصحابها، بقدر ما هي ظاهرة تفرض نفسها على واقعنا الحاضر، وتاريخنا الانساني بكل توجهاته وكيفياته، أي هي ظاهرة تاريخية تزامنت مع أحداث كثيرة، وتكفل ببيانها القرآن الكريم وأشار الى آثارها لكنهقلل من أهميتها حينما كان قوم موسى يحتفون أمانيهم على مستوى موسى عليه السلام، وانتهت اسطورة السحر الى خرافة يقصمها التحدي الاعجازي الذي أبهر الجميع فآمن السحرة برب موسى الذي أبطل خرافتهم التقليدية.

وأضحى السحر ضمن التراث الانساني أمراً مجهولاً الا أنّه يهيمن على الحالة النفسية العامة، ويقود توجهات كثير من الجهلة والمغرر بهم، حتى قدّم الاسلام رؤيته العقلانية في هذا المجال وأثرى الحركة العلمية بشكل يتطلع إليه الجميع لحل هذه الاشكالية الغامضة، ولم ننكر أن ظاهرة السحر هيمنت على توجهات الكثير من الجهلة وقادتهم الى حيث يريد روادها من انقياد أتباعهم الى حيث يريدون، وتصاعدت جهود أصحاب السحر مع تصاعد الدعوات المهدوية الكاذبة، وذوي المحاولات الزائفة التي انساقت من ورائها قطعان من الجهلة الذين انصاعوا الى السحر والشعوذة والكهانة وغيرها، ولعل المشكلة الحقيقية في ذلك هي قلة الوعي المعرفي أو انعدامه لدى بعض القطاعات من الناس وعدم تمييزهم بين السحر وبين المعجزة إذ لم يميزوا بأن الاعجاز

هو التحدي الالهي لاثبات الحق، وأن السحر هو الهيمنة الشيطانية على حواس الفرد لتقوده الى حيث تشاء من المحرمات والمعاصي، واذا كان الاعجاز هو حقيقة واقعة في تغيير القاموس الكوني، فان السحر خرافة يهمين على حواس ومشاعر الانسان ليقوده حيث يشاء، ومن هنا تأتي الحاجة لداسة علمية تفرّق بين المعجزة والسحر وبين ما يمتلكه الأنبياء والأولياء من ولاية تكوينية بإذن الله تعالى وبين ما يسعى إليه الساحر من استجداء شيطاني للسعي وراء الحصول على مكاسب شخصية، وبهذا ستقدّم هذه الدراسات وأمثالها حلولاً لاشكاليات الفرق بين المعجزة التي هي اثبات الحق للولي الالهي، وبين السحر والشعوذة وغيرها التي هي اثبات الوجود الباطل للولي الشيطاني الذي يسعى لابطال الحق الذي جاء به الأولياء من لدن الله تعالى.

ومن هنا جاءت دراسة الباحث الاستاذ كاظم سلمان الغراوي الذي فرّق بين المعجزة الالهية وبين ما يقابلها من السحر وغيرها وذلك في بحثه الموسوم "الفرق بين المعاجز الالهية وبين السحر وتحضير الارواح" والذي استطرد تاريخياً من الأنبياء عليهم السلام وما كانوا يبطلون به أكذوبة السحر والتي هيمنت على الكثير من الناس وخلطوا بين المعجزة وبين السحرة وما يتضمنه البحث من بحوث في تحضير الارواح وعلاقة عالم البرزخ بذلك، وبحث ما يتعلق بالقوى العلوية السماوية التي تعاطى معها البعض والعلاة الحقيقية بينها وبين القوى السفلية، وهكذا نجد أن الباحث ركز على أهم الفصول التي من شأنها أن تكشف زيف المدعين والذين هيمنوا من خلال أعمالهم الشيطانية على الكثير من عقول الجهلة ونفوسهم.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو

المقدمة

الحمد لله الذي لهُ في كل شيء في الوجود آية ومعجزة، ولهُ المنّة والشُكر لتأييده أنبيائه ورسله وأوصيائه بالمعاجز الواضحات، والكرامات البيّنات.

والصلاة والسلام على مَنْ اختصه ربُّ العُلى بأشرف الآيات والمعجزات الباقيات، وأشركه بكل أنواع المعاجز السابقات، وميّزه عن غيره بأُخرى وجعلها لهُ من المختصات، محمد المصطفى من بين الكائنات وعلى أوصيائه من أهل بيته المعصومين الذين أشركهم الله معه بالمقامات العاليات، وعلى أصحابه الذين ساروا وفق منهجه وهداه.

وبعد: في نهاية العام ٢٠١١ م، قرأت كتاباً يبحث لإثبات وبيان بعض مقامات أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، وإزالة الغموض والضبابيّة عنها، بعد استعارته من أحد الفضلاء.

وأثناء مطالعتنا لهذا الكتاب، وجدنا أنّ هناك بعض التعريفات أو الاحتمالات التي ساقها المؤلف بصدد (السبب القريب المؤثر في حصول الأمر الخارق للعادة، كالمعجزة والكرامة هو نفس النبي أو الإمام أو الوليّ، وأنّ ذلك لا يختص بالأنبياء

والأولياء، وإنّما هو شامل لكلّ خارق من سحر أو كرامة ونحوها، فإنّ نفس الآتي بالخارق هو السبب القريب في ذلك وإنْ توقف ذلك على الإذن الإلهي)[١].

فاستوقفنا هذا التعريف لاحتياجه - وحسب فهمنا وإمكاناتنا المعرفية المتواضعة - إلى وقفة تأمل: (أحقاً أنّ للمبادئ النفسانيّة، أو المقتضى النفسي المؤثر) دخلاً بما يحصل من خوارق العادة على يد السحرة والكهنة، أو أرباب المجاهدات وأهل الارتياض، أم أنّ أعمالهم ناتجة عن علوم خاصة؟.

وقد جرّنا هذا التأمُل إلى مواضيع أُخرى لها علاقة وصلة بالموضوع، فأنتجت هذا البحث الذي بين يدي القارئ الكريم، ولله الحمدُ والمنّة.

ولمّا كانت المعجزات والخوارق للعادة، أحداثاً مهمة في حياة الشعوب - وعلى طول المسيرة البشرية - إلاّ أنّني - وحسب اطلاعي القاصر - لم أجد مَنْ تصدى للتأليف عنها بشكل مُستقل وخاص بها، وبكيفيّة حصولها - اللهم إلاّ بعض الإشارات في بعض المؤلفات والتفاسير عند المرور بآياتها وأحداثها، كنار إبراهيم الخليل عليه السلام، وعصا موسى والسحرة، وانفلاق البحر، ونحو ذلك.

مما حدا بي أن أُقدِم - بعد التوكل على الله سبحانه، واستمداد عونه ببركات التوسل إليه بأحب خلقه نبيّه الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الطاهرين عليهم السلام على الخوض فيه لبيان وإثبات الآتي: -

١. كون المعاجز أو الخوارق للعادة، تحصل بقانون بديل عن القانون الطبيعي الأصلي، ويكون حاوياً لأسباب ومُسببات، وعلل ومعلولات أيضاً، وهو من الأسرار بين الله تعالى وبين أنبيائه ورسله وأوصيائه، ويُستخدم عند الضرورة فقط، لحادث مُعيّن، وزمان ومكان مُعيّنين، وعلى يد نبيّ أو وصيّ مُعيّن، ويكون مُسيطِر على غيره

(١) الولاية التكوينية - حقيقتها ومظاهرها - كمال الحيدري - ص ٣٧.

من القوانين الطبيعيّة المُتعارفة لذلك الحدث، وأنّ لكل حادث قانونه البديل الخاص بهِ، وبعد حصول الغرض المطلوب، يُرفع مع أسبابه ومُسبباته وعلله ومعلولاته، ولا يبقى له أثر في الطبيعة.

٢. إنّ من المعاجز والخوارق تحصل بقانون بديل مقروناً بوجود مبادئ نفسانيّة أو مقتضى في نفس النبيّ أو الوصيّ عند الحاجة، وبعد الإذن الإلهي.

وهذا القسم ليس متوافراً لجميع الأنبياء والأوصياء، وإنّما هو من مختصات خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه المعصومين عليهم السلام كما هو الظاهر من بعض الروايات والأحداث - حسب فهمنا لها -.

٣. إنّ ما يحصل من خوارق العادة - ظاهراً - على يد السحرة والكهنة، وأرباب المجاهدات وأهل الارتياض، لا يحصل عن طريق (مبادئ نفسانيّة، أو مقتضى نفسي مؤثر) من نفوسهم، وإنّما هي أعمال ناتجة عن علوم خاصة بالنجوم، أو السحر، أو استثارة الإمكانات والطاقات الكامنة في النفوس وأجهزة الأبدان البشرية، وما يأتون بهِ هو أثر من آثار تلك العلوم وفنونها وطرقها وخدعها.

٤. إنّ الله تعالى لم يُنزل السحر، وإنّما كان من وضع إبليس.

٥. إثبات بطلان ادعاء تحضير أرواح الأنبياء والأوصياء والأولياء وغيرهم من البشر - حيّهم وميتهم -.

٦. إثبات بطلان ادعاء تسخير الملائكة أو امتلاكهم.

وقد واجهتني في تحقيق ما أصبو إليه في هذا البحث، بعض الصعوبات، وكان من أهمها هو: عدم عثوري - من خلال مُطالعاتي المتواضعة في بعض المصادر - تعريفاً شافياً وافياً لما هو المقصود (بالمبادئ النفسانية أو المقتضى النفسي المؤثر، وما معناهما؟

وكيف يتم تحصيلهما، وما هي طرق ذلك؟).

وبعد الجُهد المقرون باللطف والتسديد الإلهي، تمكنا من جمع بعضها من بطون الكُتب، والاستفسار من بعض الفضلاء، مما قد يفي بالغرض المطلوب - وكما سيمر علينا - وقد قسّمنا البحث على: -

الفصل الأول - تضمن التعريف بأقسام المعاجز، وكيفيّة حصولها، وتصنيف معاجز الأنبياء على وفقها.

الفصل الثاني - تضمن الكلام عن القسم الثالث من المعاجز، واختصاصه بالخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه عليهم السلام.

الفصل الثالث - تضمن الكلام عن: مصدر السحر، وكيف وضِعَ في الأرض، وكيف تعلّمه الناس؟.

الفصل الرابع - تضمن الكلام عن: المبادئ النفسانية أو المقتضى النفسي المؤثر، وعلاقتها بالسبب القريب في تحقق المُعجزة.

الفصل الخامس - تضمن الكلام عن: الإخبار بالمُغيبات، وتحضير الأرواح، وعلاقة عالم البرزخ بذلك.

الفصل السادس - تضمن الكلام عن: الاتصال بالأرواح القويّة العالية، وعلاقة الكواكب بالأوضاع السماويّة والحوادث الماديّة.

(المؤلف)

تمهيد

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (غافر: من الآية ٧٨).

المُعْجِزة لغة

(العْجز نقيض الحزْم، عَجَزَ عن الأمر يعْجِز عَجْزاً، ورجل عجز وعُجز: عاجز، ومَرَة عاجز: عاجِزة عن الشيء، والعَجْز: الضعف، تقول: عَجِزت عن كذا، أعجز.. والمَعْجَزَة: من العجز: عدم القُدرة... والتعجيز: التثبيط.. والمُعْجِزة: واحدة مُعْجزات الأنبياء عليهم السلام)[1].

المُعْجِزة اصطلاحاً

(هو الأمر الخارق للعادة، الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة، لا بمعنى الأمر المُبطل لضرورة العقل)[2].

(١) لسان العرب – ابن منظور ٥/٣٧٠.

(٢) العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان ١/٧٥.

أو (هو ما لا تُصدقه العادة الجارية في الطبيعة من إسناد المسببات إلى أسبابها المعهودة المشخصة)[١].

السِّحر لغة

(السحر تُقرِّبَ فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، ومن السحر: الأُخْذَة التي تأخذ العين حتى يُظنَّ أنّ الأمر كما يُرى وليس الأصل على ما يُرى، والسِّحْرُ الأُخْذ، وكل ما لَطُف ودقَّ فهو سحر، والجمع: أسحارٌ، وسُحُورٌ، وسَحَرَه، يَسْحَرُه سَحْراً وسِحْراً وسَحّره... وقال الأزهري: وأصل السِّحر صَرْف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأنّ الساحر كما أَرَى الباطلَ في صورة الحق وخَيَّلَ الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه، أيّ صرفه...)[٢].

السحر اصطلاحاً

(والسِّحْرُ: البيان في فطنة...)[٣]، وأنّه: صُنعة من لطيف الصنائع، وأغلبه خدع ومخاريق وتمويهات.

الساحر لغة

(.. ورجلٌ ساحرٌ: من قوم سَحَرَةٍ وسُحَّار وسَحَّار، من قوم سَحَّارين...)[٤].

الكهانة لغة

(كَهَنَ لهُ يَكْهنُ ويكهُنُ كَهَانة، وتكَهَّن تكهُّناً: قضى له بالغيب)[٥].

---

(١) المصدر السابق نفسه ١ / ٦١.

(٢) لسان العرب - ابن منظور ٣٤٨/٤.

(٣) لسان العرب - ابن منظور ٣٤٨/٤.

(٤) المصدر السابق نفسه والصفحة.

(٥) المصدر السابق نفسه ٣٦٢/١٣.

الكهانة اصطلاحاً

(والكهانة: الحِرْفَةُ، والمُكَاهَنَةُ: المُحَاباةُ...)[١].

الكاهِنُ لغة

(ورجل كاهِنٌ: من قوم كَهَنَةٍ وكُهّان، وحِرْفتُه الكِهانةُ...)[٢].

الكاهِنُ اصطلاحاً

(الكاهِنُ الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار بزعم أنّ لهُ تابعاً من الجنّ ورَئِيّاً يلقي إليه الأخبار، أو بزعم أنّه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على توقعها من كلام مَنْ يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصُّونه باسم العرّاف، كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما...)[٣].

(فالسحر والكهانة والحيلة نظائر، والسحر عمل خفي لخفاء سببه، يُصوّر الشيء بخلاف صورته، ويقلبه عن جنسه في الظاهر، ولا يقلبه عن جنسه في الحقيقة، قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (طه: من الآية ٦٦)[٤]، وهو (ضرب من التخيُّل، وصنعة من لطيف الصنائع [تُنتج] خدعاً ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها، يُخيّل إلى المسحور أنّ لها حقيقة)[٥].

وهذه هي حقيقة الساحر وأمثاله، إذ (لو أنّ الساحر والمُعَزِّم قدرا على نفع أو ضرّ، وعَلِما الغيب لقدرا على إزالة الممالك واستخراج الكنوز من مصارفها، والغَلَبَة

(١) المُحيط في اللغة ١/٢٨١.
(٢) لسان العرب – ابن منظور ١٣/٣٦٢.
(٣) المصدر السابق نفسه والصفحة.
(٤) تفسير مجمع البيان – الشيخ الطبرسي ١/٣٢١.
(٥) المصدر السابق نفسه ص ٣٣٤، باختصار وتصرف.

على البُلدان بقتل الملوك من غير أنْ ينالهم مكروه وضرر، فلمّا رأيناهم أسوأ الناس حالاً، وأكثرهم مكيدة واحتيالاً، عَلِمنا أنّهم لا يقدرون على شيء من ذلك)[١].

وكان السحر موجوداً بين الناس بشكل وآخر، إلاّ أنّه انتشر بشكل واسع على عهد مُلْك نبيّ الله سُليمان عليه السلام وما بعده من الأنبياء والرُسُل بحيث أصبح مهنة، أو عِلماً يتباهى بهِ صاحبه، (قال الأزهري عن بعض أهل اللغة في معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٤٩) الساحر كان عندهم نعتاً محموداً، والسحر كان عِلماً مرغوباً فيه، فقالوا: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ على جهة التعظيم له... ولم يكن السحر عندهم كُفراً، ولا كان مما يتعايرون بهِ، ولذلك قالوا له: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾، والساحر: العالِمُ... الخ)[٢].

(١) المصدر السابق نفسه والصفحة، باختصار وتصرف.

(٢) لسان العرب – ابن منظور ٣٤٨/٤.



الفصل الأول

أقسام المعاجز، وكيفيّة حصولها، وتصنيف معاجز الأنبياء على وفقها

اختلفت آراء وأقوال علماء المسلمين ومفسريهم عن كيفية حصول المعجزة أو الكرامة، وفي أسبابها، وأهدافها، وإلى غير ذلك.

وقد تعرض البعض إلى ذكر شيء في كتابٍ له فبيّن أولاً أنّ هذا العالم خلقه الله على وفق النظام الأحسن، وذكر الأدلة العقلية والنقلية بهذا الشأن، ثُمَّ ذكر (نظام العليّة والمعلولية في هذا العالم)، وتطرق إلى النظريات المطروحة عن ذلك، وهي ثلاث: -

الأولى - تقول: بعدم وجود علاقة بين الأثر والمؤثر، وتُنسب إلى الأشاعرة، ويقولون: إنّما هناك عادة لله تعالى في مخلوقاته...

الثانية - نظرية التلازم الذاتي بين الأثر والمؤثر، كالتلازم الذاتي بين الأربعة والزوجية، وبين النار والإحراق.

الثالثة - تقول: إنّ العلاقة بين الأثر والمؤثر علاقة جعلية من الله تعالى، أيّ، أنّه صحيح أنّ نظام السببية هو النظام الحاكم والقائم في هذا العالم، إلاّ أنّ هذه العلاقة بين السبب والمسبب ليست علاقة ذاتية، وإنّما هي علاقة جعليّة من الله تعالى، فتأثير العلّة في معلولها والأثر في مؤثره وإنْ كان ضرورياً، إلاّ أنّه ليس من ذات العلّة والأثر، وإنّما

بما أفاده الله تعالى عليها... الخ)[١].

ثُمَّ أحد الباحثين إلى (قانون العليّة، وأنّه شامل لكل خارق للعادة)، وبين أسباب ذلك...

ثُمَّ ذكر الاحتمالات المطروحة عن (السبب القريب المؤثر في حصول الخارق للعادة، كالمعجزة مثلاً) وهي ثلاثة: -

(الاحتمال الأول - السبب القريب في تحقق الخارق للعادة، هو الله تعالى، فهو الذي يتصرف في الظواهر الكونية مُباشرة وبلا توسّط أيّ موجود آخر، إلاّ أنّ حكمته تعالى شاءت أن لا يُحقق التصرّف التكويني أو المعجزة من قبل النبيّ إلاّ بعد دُعاء النبيّ لذلك...

الاحتمال الثاني - السبب القريب في تحقق الخارق، هو القوانين الطبيعية، غاية ما هنالك أنّ الله تعالى أطلع النبيّ على هذه القوانين دون عامّة البشر، لذا يتحقق المعجز والخارق على يد النبيّ دون غيره من الناس لاطلاعه على هذه القوانين دون غيره...

الاحتمال الثالث - إنّ السبب القريب في تحقق المعجز، هو نفس النبيّ بإذن الله تعالى، كحال الإنسان المتصرف في بدنه من قيام وقعود، ونحوها من الأفعال، فإنّ الإنسان وإنْ كان هو الذي يقوم بتلك الأفعال، لكن بإذن وإقدار الله تعالى، ولو لم يشأ الله ذلك لما تمكن الإنسان من ذلك الفعل...وهكذا الأمر بالنسبة للإتيان بالخارق للعادة والتصرّف في الكون، فالذي يأتي بالمعجز هو النبيّ لكن بإذن منه تعالى....)[٢].

ثُمَّ خَلُصَ ذلك الباحث إلى القول: (ومن المعلوم أنّ السبب القريب لتحقق

---

(١) السيد الحيدري – في الولاية التكوينية – ص ٢٢ – ٢٨، باختصار وتصرف.

(٢) الحيدري في – الولاية التكوينية – ص ٣٤- ٣٥ باختصار وتصرف.

الخارق للعادة لا يختص بالأنبياء والأولياء، وإنّما هو شامل لكل خارق من سحر أو كرامة ونحوها، فإنّ نفس الآتي بالخارق هو السبب القريب في ذلك وإنْ توقف على الإذن الإلهي)[١].

أقول: ويُمكن إجمال ما خطر في الذهن عما أورده من احتمالات واستنتاجات، بالآتي:

بالنسبة للاحتمال الأول

الذي يذهب للقول (إن الفاعل والمتصرف في حصول الخارق هو الله تعالى، ولكن بعد دعاء النبيّ) والذي اعتبره ذلك الباحث باطلاً، استناداً لما جاء في آيات القدر التي تُبيّن: أنّ الله تعالى وإنْ كان قادراً على كل شيء إلاّ أنّه تعالى شاء أن لا يُحقق شيئاً إلاّ من خلال مجموعة من الشرائط والعلل، لا أن يتحقق من الله مباشرة بلا توسط أيّ شيء آخر)[٢]، مستدلاً على ذلك بما وردّ (عن أبي عبد الله عليه السلام إذ قال: (أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب، فجعل لكلّ شيء سبباً، وجعل لكلّ سبب شرحاً، وجعل لكلّ شرح مفتاحاً، وجعل لكلّ مفتاح علماً، وجعل لكلّ علم باباً ناطقاً عرفه من عرفه وجهله من جهله ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن)[٣].

قال العلماء (هناك آيات - أيّ معجزات - تؤيَد بها الرسالة، مثل: القرآن المؤيد لرسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكآيتيّ العصا واليدّ لموسى عليه السلام، وإحياء الموتى وغيرها لعيسى عليه السلام.

---

(١) المصدر السابق نفسه – ص ٣٦.

(٢) الولاية التكوينية - الحيدري – ص ٣٤.

(٣) بصائر الدرجات – محمد بن الحسن الصفار – ص ٢٦

وهناك آيات - أيّ معجزات- لطفاً منه سبحانه، كالخوارق الصادرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من إخبار بالمغيبات، وشفاء المرضى بدعائه، ونحو ذلك...

وهناك آيات - أيّ معجزات - باقتراح من الناس، مثل (ناقة صالح والجبل، وشق القمر، ومسير الشجرة، ونحوها)[١].

أما بالنسبة للاحتمال الثاني

الذي يقول: (إنّ السبب القريب في تحقق الخارق، هو القوانين الطبيعية، التي أطلع الله عليها أنبياءه وأوصياءه، ولكن بعد دعاء النبيّ أيضاً) والذي اعتبره ذلك الباحث باطلاً أيضاً)[٢].

إنَّ تحقق الخارق أو المعجز، لا يحصل ولا يحدث بالقوانين الطبيعية المُعتادة والمُتعارف عليها، وإلاّ لما أصبحت معجزة، أو خارقاً للعادة.

أما بالنسبة للاحتمال الثالث

فسنتعرض له في الفصل الثاني الآتي - إن شاء الله تعالى -.

والذي يخطُر في الذهن - احتمالاً- ومُستنتجاً من ظاهر الآيات والروايات، أنَّ المعاجز ثلاثة أقسام: -

---

(١) تفسير الميزان – العلامة الطباطبائي ١ / ٨٥ – ٨٦.

(٢) الولاية التكوينية – السيد الحيدري - ص ٣٤.

القسم الأول: هي المعاجز والآيات الخارقة للعادة، التي تحدث من قبل الله تعالى مباشرة، وبلا توسط أيّ موجود آخر، ولكن بقوانين بديلة

وهي سبب لها، ولا دخل للمبادئ النفسانية أو المقتضى النفسي المؤثر فيها، وهو ما حدث وجرى في أغلب المعاجز التي حصلت في زمن بعض الأنبياء، منها:

في زمن نبيّ الله إدريس عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ (مريم: ٥٧)، إذ (اقتضت حكمته جلّ جلاله، أن يرفع عبده إدريس إلى السماء الرابعة أو غيرها، كما رفع عيسى عليه السلام فهما حيّان يعيشان في السماء، ونجّاهما من أيدي الطغاة)[١].

ولم يكن هذا الرفع إلى السماء بسبب مقتضٍ في نفس إدريس عليه السلام، وإنّما حصل بتدخل إلهي مباشر، ولكن بقانون بديل عن القانون الطبيعي، بحيث يحفظ إدريس عليه السلام أو غيره، والله أعلم.

---

(١) قصص القرآن الكريم - علي محمد علي دخيل - ص ٢١.

في زمن نبيّ الله نوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (هود: ٣٧)

وقال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود: ٤٠).

وقال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ (القمر: ١١-١٣).

وقال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود: ٤٤).

بعد أنْ مكث نوح عليه السلام يدعو قومه إلى التوحيد وعبادة الله دون غيره ما يُقارب تسعمائة وخمسين عاماً، فلم يزدهم ذلك إلاّ إصراراً على الشرك والكفر، وبعد أن أخبره الوحيّ بأنّه لا يؤمن له إلاّ مَنْ آمن - وهم قليل - وكانوا يتناخون فيما بينهم على الثبات على الكفر والطغيان: ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ (نوح: ٢٣)، بعد ذلك دعا نوح ربه: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ (نوح: ٢٦-٢٧).

وعند العود إلى الآيات القرآنية التي بينت قصة نوح عليه السلام مع قومه، نستنتج منها الآتي: -

أولاً- إنّ نوحاً عليه السلام دعا ربه أن يُهلك قومه بعد يأسه من صلاحهم، دون أن يذكر نوعية وطريقة هلاكهم، وإنّما ترك الأمر لله تعالى.

ثانياً- إنّ صنع السفينة كان بهندسة إلهية وإشراف ملائكي: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (هود: من الآية٣٧).

ثالثاً- إنّ فوران التنور بالماء كان بأمر إلهي، وكان هو الميعاد بين نوح وبين ربه في إهلاك قومه، ولم يكن نوح يعلم بفورانه عندما فار بالماء، وإنّما أُخبر بذلك، فقام إليه وختمه، كما ورد في الرواية (عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: (إنَّ نوحاً عليه السلام لما فرغ من السفينة وكان ميعاده فيما بينه وبين ربه في إهلاك قومه أنْ يفور التنّور، ففار التنور في بيت امرأة، فقالت: إنّ التنور قد فار، فقام إليه فختمه، فقام الماء، وأدخل مَنْ أراد أن يدخل، وأخرج مَنْ أراد أن يخرج، ثمّ جاء إلى خاتمه فنزعه)[1].

رابعاً- وكذلك فتح أبواب السماء بالماء المنهمر، وتفجير عيون الأرض، وجريان السفينة بين أمواج كالجبال وبلع الأرض للماء، وإقلاع السماء عن المطر، واستواء السفينة على الجودي... الخ، كل ذلك كان بأوامر إلهية، بل وحتى دعاء نوح ومَنْ كان معه عند ركوبهم السفينة وعند نزولهم منها، كان بإرشاد رباني.

ومن كل ذلك يتبيّن: أنّ كل ما جرى وما حدث وحصل لم يكن نتيجة أو بسبب مبدأ مؤثر موجود في نفس نوح عليه السلام، أو نتيجة وجود مقتضٍ في نفسه، بدليل:

أن الله تعالى أمر نوحاً بقوله: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (هود: من الآية٤٠)، إلاّ أنّ نوحاً، وحرصاً منه على ابنه ناداه وطلب منه أن يركب معهم: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (هود: ٤٢)، وبعد أن استوت السفينة على الجودي كرر نوح طلبه بنجاة ابنه من ربه: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ

(١) الكافي – الشيخ الكليني ٨/٢٨٢.

رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: ٤٥-٤٦).

وإنّما جرت الأمور وحصلت الحوادث من قبل الله تبارك وتعالى مباشرة وبلا توسط أيّ موجود آخر، إلاّ أنّها كانت بقوانين بديلة عن القوانين الطبيعية: في تحديد طريقة هلاك القوم، وفي كيفية صُنع السفينة ومقاومتها لتلك الأمواج التي كانت كالجبال، وفي كيفية إخراج المياه من الأرض بواسطة التنور، وتفجير العيون وفتح أبواب السماء، وفي كيفية طوفان السفينة حول البيت العتيق، وفي كيفية رسوها على الجودي، وفي كيفية تصريف تلك المياه العظيمة وبلعها من قبل الأرض... ونحو ذلك.

في زمن نبيّ الله إبراهيم

قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

إنَّ قصة أبي الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام مع النمرود وقومه معروفة ومعلومة للجميع، وقد بينها الكتاب والسُنّة كاملة، فقد كان إبراهيم عليه السلام في ذلك الزمن ولم يكن في الدنيا غيره يعبد الله ويوحده: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠).

وبعد أن بدأ دعوة قومه للتوحيد، ونبذ عبادة الأصنام، والمُحاجات التي جرت بينه وبينهم، فلما رآهم لم يستجيبوا له، ذهب إلى أصنامهم فكسّرها، فغضبوا غضباً شديداً، وتشاوروا في كيفية تعذيبه وقتله، فلم يجدوا أشدّ عذاباً له غير النار: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨).

فألقوا القبض عليه وحبسوه، وجمعوا له الحطب الكثير، ولمدة أربعين يوماً،

ونقلوه على الدواب، وقد وردت بهذا المعنى روايات عن طريق الفريقين، لا بأس أنْ نذكر هنا بعضها، ومَنْ ثمَّ نستنتج المطلوب منها: -

(قال مُقاتل: لما اجتمع نمرود وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بُنياناً كالحظيرة، وذلك قوله: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٩٧)، ثم جمعوا له الحطب الكثير، حتى أنّ المرأة لو مرِضت قالت: إنْ عافاني الله لأجعلن حطباً لإبراهيم، ونقلوا له الحطب على الدواب أربعين يوماً، فلما اشتعلت النار اشتدت وصار الهواء بحيث لو مرّ الطير في أقصى الهواء لاحترق، ثم أخذوا إبراهيم عليه السلام ورفعوه على رأس البُنيان وقيدوه، ثم اتخذوا منجنيقاً ووضعوه فيه مُقيداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومَنْ فيها من الملائكة إلاّ الثقلين صيحة واحدة، أيّ ربنا ليس في أرضك أحد يعبُدك غير إبراهيم، وأنّه يُحرق فيك فأذن لنا في نصرته، فقال سبحانه: إن استغاث بأحد منكم فأغيثوه، وإنْ لم يدع غيري فأنا أعلم بهِ وأنا وليه، فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار، أتاه خازن الرياح فقال: إنْ شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم عليه السلام: لا حاجة بيّ إليكم، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، وأنت حسبنا ونعم الوكيل...

وقيل: إنّه حين أُلقي في النار قال: (لا إله إلاّ أنت سبحانك ربّ العالمين، لك الحمد ولكَ المُلك، لا شريك لكَ...ثم وضعوه في المنجنيق ورموا بهِ إلى النار، فأتاه جبريل عليه السلام وقال: يا إبراهيم هل لكَ حاجة؟ قال: أما إليك فلا؟ قال: فاسأل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فقال الله تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: من الآية٦٩)[١].

(١) تفسير الرازي – الرازي ٢٢/١٨٧ - ١٨٨ - أقول: لنا في صيغة الدعاء الأول في الرواية تأمل، والصحيح عندنا ←

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: لمّا أُلقي إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وآله وسلم في النار، قال المَلَك خازن المطر: ربّ خليلك إبراهيم، رجا أن يؤذن له فيرسل المطر، قال: فكان أمر الله أسرع من ذلك فقال: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩)، فلم يبق في الأرض نار إلاّ طفئت)[١].

(علي بن إبراهيم عن أبيه، عن... عن أبان بن عثمان، عن حجر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (خالف إبراهيم صلى الله عليه، قومه وعاب آلهتهم... إلى قوله: فلما تولوا عنه مدبرين إلى عيد لهم، دخل إبراهيم صلى الله عليه، إلى آلهتهم بقدوم فكسرها إلاّ كبيراً لهم، ووضع القدوم في عنقه، فرجعوا إلى آلهتهم فنظروا إلى ما صُنع بها، فقالوا: لا والله ما اجترى عليها ولا كسرها إلاّ الفتى الذي كان يُعيبها ويبرأ منها، فلم يجدوا له قتلة أعظم من النار، فجُمع له الحطب واستجادوه، حتى إذا كان اليوم الذي يُحرق فيه برز له نمرود وجنوده، وقد بنى له بناءً لينظر إليه كيف تأخذه النار؟ ووضع إبراهيم في المنجنيق، وقالت الأرض: يا ربّ، ليس على ظهري أحد يعبُدك غيره يُحرق بالنار؟ قال الربُّ: إنْ دعاني كفيته)، فذكر أبان عن محمد بن مروان عمن رواه، عن أبي جعفر عليه السلام: أنّ دعاء إبراهيم صلى الله عليه، يومئذ كان: يا أحد يا أحد يا صمد يا صمد يا مَنْ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم قال: توكلت على الله، فقال الربُّ تبارك وتعالى: كُفيت، فقال للنار: ﴿كُونِي بَرْداً﴾! قال: فاضطربت أسنان إبراهيم من البرد، حتى قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، وانحط جبرئيل فإذا هو جالس مع إبراهيم يُحدثه في النار...الخ)[٢].

→ هو الدعاء المروي عن الإمام الصادق عليه السلام في الرواية الثالثة الآتية لمطابقته للشرع ومعقوليته – المؤلف.

(١) جامع البيان – ابن جرير الطبري ١٧/٥٨.

(٢) الكافي – الشيخ الكليني ٨/٣٦٩.

(... بإسناده إلى عبد الله بن هلال قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (لما أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار، تلقّاه جبرئيل في الهواء وهو يهوي فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا)[١].

(علي بن محمد بن عمران الزهري، معنعناً، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩)، قال: إنّ أول منجنيق عُمل في الدنيا منجنيق عُمل لإبراهيم بسور الكوفة في نهر يُقال لها (كوني) وفي قرية يُقال لها (قنطانا)، قال: عمل إبليس المنجنيق وأُجلس فيه إبراهيم عليه السلام وأرادوا أن يرموا بهِ في نارها، أتاه جبرئيل عليه السلام قال: السلام عليك يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته، ألك حاجة؟ قال: ما ليّ إليك حاجة، بعدها قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩)[٢].

ومن كل ذلك يتضح: أنّ معجزة جعل نار إبراهيم عليه السلام ﴿بَرْداً وَسَلاماً﴾ كان السبب القريب فيها هو التصرف الإلهي المباشر، وبلا توسط أيّ موجود آخر، إلاّ أنّها حصلت بعد دُعاء نبيّ الله إبراهيم عليه السلام ربه في نجاته وبقانون بديل عن القانون الطبيعي، ولم يكن السبب القريب فيها وجود مقتضٍ في نفس إبراهيم عليه السلام، ولا لوجود مبدأ مؤثر في نفسه حينها، بدليل الآتي: -

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩)، فالواضح منه أنّه أمر إلهي مباشر لتلك النار، وليس هو قول جبرائيل عليه السلام أو غيره، كما يظن البعض.

طالبت السماء والأرض ومَنْ فيها من الملائكة - إلاّ الثقلين - من الله تعالى

---

(١) علل الشرائع - الشيخ الصدوق ١/٣٦.

(٢) تفسير فرات - فرات بن إبراهيم الكوفي - ص ٢٦٣.

حفظ إبراهيم من تلك النار، لكونه الوحيد في الأرض الذي يعبد الله سبحانه، فقال تعالى: (إن استغاث بأحد منكم فأغيثوه، وإن لم يدعُ غيري فأنا أعلم بهِ وأنا وليه)، وهذا معناه: لو أنّ إبراهيم عليه السلام طلب العون في نجاته من جبرائيل أو من تلك الرياح أو من السماء والأرض أو الملائكة، لما جعل الله تعالى تلك النار (بَرْداً وَسَلاماً) عليه، ولتركه لمن دعاه غيره، وقد يكون ذلك من الكلمات التي ابتلاه الله بهنّ فأتمهنّ، ومن خلالها حصل على مقام (الإمامة): ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٢٤).

عندما وضعوه في المنجنيق - الذي علمهم إبليس صنعه - ورموه إلى النار، أتاه جبرائيل عليه السلام وقال له: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال إبراهيم: أما إليك فلا، قال: فاسأل ربك، قال: حسبي من سؤالي، علمه بحالي... الخ)، وهذا شاهد أيضاً أنه لم يكن في نفسه مقتضٍ أو مبدأ مؤثر لإحداث تلك المعجزة.

فوائد مُستقاة من القصة

قيل في نار إبراهيم عليه السلام تفسيرات وأقوال وآراء متعددة، نذكر هنا أهمها مع المناقشة إتماماً للفائدة: -

منها - كيف بردت تلك النار؟ أو كيف لم تحرق إبراهيم؟

فمنهم مَنْ قال: إنّ الله تعالى أزال عنها وما فيها من الحرّ والإحراق، وأبقى الإضاءة والإشراق.

ومنهم من قال: إنَّ الله تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه، كما يفعل بخزنة جهنم في الآخرة، وكما أنه ركبّ بُنيّة النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المُحماة، وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار)[1].

(١) السمندل: وهو صرف طائر لا ينظف إلاّ بالنار ولا يُحرق، وهو في جزيرة في البحر، كما ورد في شرح الأزهار ←

ومنهم من قال: إنّ الله سبحانه خلق بين إبراهيم وبين النار حائلاً يمنع وصول أثر النار إليه...

وقال بعضهم: (إنّ البرد إذا أفرط أهلك كالحرّ، بل لابدّ من الاعتدال، وذكروا لهذا الاعتدال ثلاثة أوجه: -

أحدها - إنّ الله تعالى قادر على تقدير بردها بالمقدار الذي لا يؤثر.

وثانيها - أنّ بعض النار صار برداً وبقي بعضها على حرارته، فتعادل الحرّ والبرد.

وثالثها - إنّه تعالى جعل في جسمه - أيّ إبراهيم - مزيد حرّ فسلم من ذلك البرد، بل قد انتفع بهِ والتذ.

وقال المحققون: والأول - أيّ القول الأول - أولى، لأنّ ظاهر قوله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ أنّ نفس النار صارت باردة حتى سلم إبراهيم من تأثيرها، لا أنّ النار بقيت كما كانت)[1].

أقول: إنّ كل هذه الأقوال، أو الاحتمالات، هي ضمن القدرة الإلهية، فهو القادر على كل شيء، إلاّ أنّ القول الأول منها - في نظرنا - هو الصواب، وهو ما ذهب إليه المحققون، وبدليل الآتي: -

إنّ تلك الآيات، أو المعاجز، أو الكرامات، الخارقة للعادة، حدثت وفق قانون بديل عن القانون الطبيعي، وهذا القانون البديل يخضع أيضاً لقاعدة السبب والمسبب

← - الإمام أحمد المرتضى ٣/٧٥، وقيل: إنّه دويبة ببلاد الترك، تتخذ منه مناديل، إذا اتسخت طُرحت في النار، فذهب الوسخ وبقى المنديل سالماً لا تعمل بهِ النار - كما جاء في تفسير الكشاف للزمخشري ٢/٤٥٥، وقيل: إنّ السمندل إذا انقطع نسله وهرم، أُلقي في النار فيعود شبابه، كما جاء بالصراط المستقيم - علي بن يونس العاملي ٢/٢٢٧، وقيل: السمندل يتولد في النار، كما جاء في تفسير الرازي - الرازي ١٩/٢٥، وغير ذلك.

(١) الأقوال المذكورة من تفسير الرازي ٢٢/١٨٧-١٨٩.

والعلة والمعلول خارق للعادة، وتسيطر على غيرها من القوانين الطبيعية المتعارفة، فجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام وإذهاب حرّ النار وإحراقها جاء نتيجة قانون بديل جعله الله تعالى في تلك النار المُعيّنة، وذلك بقوله لها: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، فتبدلت حرارة وإحراق تلك النار إلى برودة منعشة فيها السلامة، واحتفظت ببقية صفات النيران الطبيعية الأُخرى من نور ولهب. والله أعلم.

ومنها - هل شملت تلك المعجزة جميع النيران آنذاك؟: -

فمنهم من قال: (ولم يبق يومئذ في الدنيا نار إلاّ طفئت... ظنت أنّها هي تُعنى، عن السدي ومنهم من قال: (... ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس... وأنزل الله ناراً فانتفع بها بنو آدم، عن كعب الأحبار.

ومنهم من قال: إنّ النار هو اسم ماهية، فلابُدّ وأن يحصل هذا البرد في الماهية، ويلزم منه عمومه في كل أفراد الماهية...

ومنهم من قال: ... بل اختص بتلك النار فقط... الخ)[1].

أقول: إنّ القولين الأولين من هذه الأقوال رويا عن السدي وكعب الأحبار فقط، ولم نعثر على صدورهما من معصوم أبداً، وفي نظرنا أنّهما غير صحيحين، كما هو حال القول الثالث، أما القول الرابع فهو الصحيح، وإليك البيان: -

ذكرنا فيما سبق، أنّ الآية أو المعجزة أو الكرامة، تحصل بقانون بديل عن القانون الأصلي عند الضرورة فقط، وهذا القانون البديل يكون مُخصصاً لحدث مُعيّن، وفي مكان وزمان مُعيّنين، ولا تشمل غيرها من مثيلاتها، وبعد تحقق المطلوب ينتهي مفعول ذلك القانون البديل، فنار إبراهيم عليه السلام كانت مظاهرها الظاهرية

(١) وهذه الأقوال أيضاً من تفسير الرازي - الرازي ٢٢/١٨٩.

موجودة، وإنّما الذي سُلب منها حرارتها وإحراقها، أما بقية النيران في الأرض بقيّت على ما هي عليه وبكل صفاتها، ومنها الحرارة والإحراق.

أما إذا أخذنا بقول من يقول: إنّ ذلك شمل جميع النيران، فهذا يلزمنا أن نعمم ذلك على جميع أنواع المعجزات التي حصلت، ومعنى ذلك: أنّ جميع بحار الأرض انفلقت عندما انفلق البحر لموسى عليه السلام وقومه، وأنّ جميع جبال الأرض تمخضت وخرجت منها ناقة وفصيلها كناقة صالح عليه السلام، وأنّ جميع رياح الأرض تعصف عندما يأمر سليمان عليه السلام الريح بنقله، وأنّ جميع البشر يهلكون كما هلك قوم صالح وغيرهم بالصيحة، وأنّ جميع البشر ينامون كنومة أصحاب الكهف عندما ضرب الله: ﴿عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾، ولكانت جميع العصي في الأرض أفاعي عظيمة كعصا موسى عليه السلام تلقف كل شيء، ولفارت جميع تنانير الأرض ماءً عندما فار تنور نوح عليه السلام، ولأهلك الله سبحانه جميع البشر بحجارة من سجيل عندما أمر طير الأبابيل بضرب وإهلاك أصحاب الفيل...الخ، وهو أمر لا يُقرّه الكتاب ولا السُنّة، ولم يقل بهِ عالم أو مفسر، ولا يقبله عقل أو منطق.

ومن الأقوال المقبولة بهذا الشأن قول الرازي، إذ يقول: (... لأنّ الغرض إنّما تعلق ببرد تلك النار، وفي النار منافع للخلق، فلا يجوز تعطيلها، والمُراد خلاص إبراهيم لا إيصال الضرر إلى سائر الخلق)[1].

ومنها - أورد العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان، سؤالاً أو إشكالاً قد يصدر من البعض، ومفادهِ: (أنّ المعجزة لا تصبح معجزة لو عرفنا السبب الطبيعي لها، فهي عند قوم لا يعلمون سببها معجزة، أما الذين يعرفون سببها الطبيعي فهي عندهم ليست معجزة؟... ثُمَّ يُمكن للعلم لو ظفر بالأسباب الحقيقية الطبيعية القصوى لم يبق

(١) الرازي في تفسيره ١٨٩/٢٢. بتصرف واختصار.

مورد للمعجزة، ولم تكشف المعجزة عن الحق؟ إذن، فإنّ المعجزة لا حُجيّة فيها إلاّ على الجاهل بالسبب، فليست حُجّة في نفسها؟) وأجاب العلامة الطباطبائي عن ذلك بقوله: (ليست المعجزة معجزة من حيث إنّها مستندة إلى سبب طبيعي مجهول حتى تنسلخ عن اسمها عند ارتفاع الجهل وتسقط عن الحُجيّة، ولا أنّها معجزة من حيث استنادها إلى سبب مفارق للعادة، بل هي معجزة من حيث إنّها مستندة إلى أمر مفارق للعادة غير مغلوب السبب، قاهرة العلّة البتّة...الخ)[1].

أقول: وإضافة إلى إجابة العلامة الطباطبائي يمكن القول: -

لو أخذنا باحتمال، أو فرضيّة، أو نظريّة: كون المعجزة تحصل بقانون بديل عن القانون الطبيعي الأصلي، وهذا القانون البديل يخضع أيضاً للسبب والمسبب، والعلّة والمعلول، وهو من الأسرار الإلهية التي يُزود الله بها قسماً من أنبيائه ورسله وأوصيائه، فيكون سرّاً بين الله تبارك وتعالى وبينهم، لا يعرفه إلاّ هو سبحانه وهم عليهم السلام، ويستخدم من قبله تعالى، أو من قبل ذلك النبيّ أو الوصيّ عند الضرورة فقط، ويكون عادة مُخصصاً لحادث مُعيّن، وفي مكان وزمان مُعيّنين، وعلى يد نبيّ أو وصيّ مُعيّن، وبعد تحقق وحصول الغرض منه، يُرفع وتُرفع معه أسبابه ومسبباته، وعلله ومعلولاته، ولا يبقى لها أثر في الطبيعة، وبذلك، لا يتمكن العلم التوصل إليها، أو الظفر بأسبابها الحقيقية، فإذا أراد الله تعالى إحداث إعجاز آخر، أو طُلب من نبيّ أو وصيّ أمر إعجازي آخر، عندها يُحدث الله تعالى لها قانوناً بديلاً آخر، ثمّ يُرفع أيضاً بعد تحقق المطلوب، وبذلك فلا مجال للبحث العلمي من معرفتها وتصبح ليست معجزة، والله أعلم.

ومنها - قيل: (إنّ المعجزات لإقناع نفوس العامة، لقصور عقولهم عن إدراك

(١) العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان ١/٨٤-٨٥.

الحقائق العقلية، وأما الخاصة فإنّهم في غنى عن ذلك)[١].

أقول: ألم يكن قوم فرعون الذين كانوا حاضرين عنده عندما أراهم موسى عليه السلام بعض المعجزات، ألم يكن هؤلاء من الخاصة، وأنّهم من علية القوم؟ إلاّ أنّهم لم يُميزوا بين المعجزة والسحر، فاتّهموا موسى عليه السلام بالسحر!.

إنَّ الآيات والمعجزات تحصل - وكما بيّنّا سابقاً - إما لتأييد الرسالة والرسول، أو هي نوع من اللطف الإلهي بالأنبياء والأوصياء فتصدر عنهم الخوارق، أو تحدث باقتراح من الناس، ولا علاقة لها بنفوس وعقول العامة والخاصة منهم، والله أعلم.

في زمن نبيّ الله لوط عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٠).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٤).

(عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن سعيد قال: أخبرني زكريا بن محمد، عن أبيه، عن عمرو، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان قوم لوط من أفضل قوم خلقهم الله، فطلبهم إبليس الطلب الشديد، وكان من فضلهم وخيرهم أنّهم إذا خرجوا إلى العمل خرجوا بأجمعهم، وتبقى النساء خلفهم، فلم يزل إبليس يعتادهم، فكانوا إذا رجعوا خرّبَ إبليس ما يعملون، فقال بعضهم لبعض: تعالوا نرصد

(١) تفسير الميزان - العلامة الطباطبائي - ١/٨٥-٨٦.

هذا الذي يُخرّب متاعنا، فرصدوه فإذا هو غُلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقالوا له: أنت الذي تُخرّب متاعنا مرّة بعد مرّة؟ فاجتمع رأيهم على أن يقتلوه، فبيّتوه عند رجل، فلمّا كان الليل صاح، فقال له: مالك؟ فقال: كان أبي ينوّمني على بطنه، فقال له: قُم فنم على بطني، فلم يزل يُدلك الرجل حتى علمه أنّه يفعل بنفسه، ثُمّ انسلّ ففرَّ منهم، وأصبحوا، فجعل الرجل يُخبر بما فعل بالغُلام، ويُعجبِهم منه، وهم لا يعرفونه، فوضعوا أيديهم فيه حتى اكتفى الرجال بالرجال بعضهم ببعض، ثُمّ جعلوا يرصدون مارّة الطريق فيفعلون بهم، حتى تنكّبَ مدينتهم الناس، ثُمَّ تركوا نساءهم وأقبلوا على الغُلمان، فلما رأى أنّه قد أحكم أمره في الرجال جاء إلى النساء فصير نفسه امرأة، فقال: إنّ رجالكن يفعل بعضهم ببعض؟ قالوا: نعم قد رأينا ذلك، وكل ذلك يعظهم لوط ويوصيهم وإبليس يغويهم حتى استغنى النساء بالنساء الخ)[1].

(ومن حديث لجبرائيل عليه السلام مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في إهلاك قوم لوط عليه السلام قال: نوديت من تلقاء العرش لما طلع الفجر: يا جبرائيل حقَّ القول من الله بحتم عذاب قوم لوط، فاهبط إلى قرية قوم لوط وما حوت فاقلعها من تحت سبع أرضين، ثُمَّ اعرج بها إلى السماء فأوقفها حتّى يأتيك أمر الجبّار في قلبها، ودع منها آية بيّنة من منزل قوم لوط عبرة للسيارة، فهبطت على أهل القرية الظالمين، فضربت بجناحي الأيمن على ما حوى عليه شرقيّها، وضربت بجناحي الأيسر على ما حوى عليه غربيّها، فاقتلعتها يا محمد من تحت سبع أرضين، إلاّ منزل لوط آية للسيارة، ثُمَّ عرجت بها في خوافي جناحيّ حتى أوقفتها حتى تسمع أهل السماء وقاء ديوكها، ونباح كلابها، فلما طلعت الشمس نوديت من تلقاء العرش: يا جبرائيل اقلب القرية على القوم، فقلبتها عليهم حتى صار أسفلها أعلاها، وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل مسوّمة

(١) الكافي – الشيخ الكليني ٥/ ٥٤٤ -٥٤٥ .

عند ربّك، وما هي يا محمد من الظالمين من أُمتك ببعيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أرأيتك حين قلبتها في أيّ موضع من الأرض وقعت القرية وأهلها؟ فقال: يا محمد، وقعت فيما بين بحر الشام إلى مصر، فصارت تلولاً في البحر)[١].

قيل: (إنّ البشرية لم تعرف هذه الخصلة القبيحة - أيّ اللواط - قبل قوم لوط، وإنّما بدأها الشيطان بهم، وكم له من مبتكرات سيئة وخصال رديئة لقّنها لأقوام آخرين...).

وقد (حارب الإسلام هذه الجريمة بشدّة... وجعل عقوبة الفاعل والمفعول بهِ أحد أمور خمسة: القتل الرجم، الرمي من مكان مرتفع، أن يوضعا تحت بناء ويُهدم عليهما، الإحراق بالنار، والظاهر أنّ الإحراق لم يرد في الشريعة الإسلامية إلاّ في هذه الجريمة)[٢].

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ جامع غُلاماً جاء يوم القيامة جُنُباً، لا يُنقيّه ماء الدنيا، وغضِبَ الله عليه، ولعنه، وأعدّ له جهنم وساءت مصيراً...

ثم قال عليه السلام: إنّ الذكر يركب الذكر فيهتز العرش لذلك، وأنّ الرجل ليؤتى في حقبه فيحبسه الله على جسر جهنم حتى يفرغ الله من حساب الخلائق، ثُمّ يؤمر بهِ إلى جهنم فيُعذّب بطبقاتها طبقة طبقة إلى أسفلها، ولا يخرج منها)[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (هو ذنب لم يُعصَ الله بهِ إلاّ أُمة من الأُمم، فصنع بها ما ذكره في كتابه من رجمهم)[٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: (اللواط ما دون الدبر، والدبر هو الكفر)[٥].

---

(١) قصص الأنبياء – السيد نعمة الله الجزائري – ص ١٥٦.
(٢) قصص القرآن – علي محمد علي دخيل – ص ٧٢و٧٦.
(٣) الكافي – الشيخ الكليني ٥/٥٤٤.
(٤) جواهر الكلام – الشيخ الجواهري ٤١/٣٨١.
(٥) الكافي – الشيخ الكليني ٥/٥٤٤.

(ومن حديث المَلَك مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: وأما التل الأسود الذي رأيت عليه قوماً مخبّلين، تنفخ النار في أدبارهم فتخرج من أفواههم ومناخرهم وأعينهم وآذانهم، فأولئك الذين يعملون عمل قوم لوط، الفاعل والمفعول بهِ، فهم يُعذّبون حتى يصيروا إلى النار)[١].

(وقال الإمام الصادق عليه السلام: ما من عبد يخرج من الدنيا يستحل عمل قوم لوط إلاّ رماه الله بحجر من تلك الأحجار ليكون فيه منيّته، ولكن الخلائق لا يرونه)[٢].

(وعن ميمون اللبان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فقرأ عليه آيات من سورة هود، فلما بلغ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (هود: ٨٢-٨٣)، فقال: مَنْ مات مُصرّاً على اللواط لم يمت حتى يرميه الله بحجر من تلك الأحجار، تكون فيه منيّته ولا يراه أحد)[٣].

(محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أمكن من نفسه طائعاً يلعب به ألقى الله عليه شهوة النساء)[٤].

ونظراً لعلم الله تعالى بالآثار الوخيمة لهذه الفاحشة، وما يتولد عنها من أمراض عند الطرفين، والتي أحصى الطب الحديث ثمانية عشر نوعاً منها، أخطرها (الأيدز، السيلان، السفلس، البرود الجنسي والعنّة، التهاب الكبد الحاد والمزمن، أمراض جلدية

---

(١) الدر المنثور – السيوطي ٦/٦٩.
(٢) تفسير القمي – علي بن إبراهيم القمي ١/٣٣٦.
(٣) الكافي – الشيخ الكليني ٥/٥٤٨.
(٤) الكافي – الشيخ الكليني ٥/٥٤٨.

مختلفة، أمراض عضوية مختلفة... الخ).

لذا شاءت إرادته سبحانه تخليص المجتمعات البشرية من شرورهم، فأمر ملائكته المـوّكلين بهـذه المهمـة بـاقتلاعهم وأرضـهم وقلبـها علـيهم، وبـذلك تحققـت علـيهم العقوبات الخمس التي شرّعها الإسلام بحق اللائط والمليوط بهِ وهي: -

القتل: فإنّهم قُتلوا جميعاً - عدا لوط ومَنْ آمن معه -.

الرجم: فقد حصل بما وقع عليهم من الحجارة عند قلب مدنهم.

الرمي من مكان مرتفع: فهذا ما حصل عندما رفعهم جبرائيل عليه السلام حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم، وصياح الديّكة.

أنْ يوضعا تحت بناء ويُهدم عليهما: وقد حصل ذلك تماماً عليهم، فقد هُدمت دورهم وأبنيتهم عليهم.

الإحراق بالنار: وهذا حصل أيضاً بعد أن أصبحت مساكنهم عاليها سافلها، فلابُدّ وأن يصاحب ذلك الحرائق واشتعال النيران فيها.

وكل ذلك جرى وحصل وحدث بأوامر إلهية، ولم يكن في نفس لوط عليه السلام شيء من ذلك، كما أنّه لم يحدث نتيجة مبدأ مؤثر في نفسه، بدليل قوله لجبرائيل عندما أخبره بأنّهم بُعثوا في إهلاكهم، فقال له لوط: يا جبرائيل عجل عليهم، فقال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود: من الآية٨١)، والله أعلم.

في زمن نبيّ الله داود عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: من الآية٧٩).

فتسبيح الجبال والطير، أو سيرها مع داود عليه السلام كان بتسخير إلهي لتأييد الرسالة السماوية ونبوة داود عليه السلام، ولم يكن ذلك نتيجة مقتضٍ أو مبدأ مؤثر في نفس داود عليه السلام، وإنّما كان بمباشرة ربانية، وكما هو الظاهر من الآيات والروايات. والله أعلم.

في زمن نبيّ الله سليمان عليه السلام

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص: ٣٥)

وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨١).

لما طلب سليمان عليه السلام من الله سبحانه أن يهب له مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ بعده، فاستجاب تعالى لطلبه، و(سخر له الإنس والجن والشياطين، وجميع ما على وجه الأرض من حيوان وغيره، وكذلك سخر له الريح شديدة الهبوب، قال ابن عباس: إذا أراد أن تعصف الريح عصفت، وإذا أراد أن ترخى أُرخيت) فشملت مملكته الدنيا بأسرها، وكان يسكن بعلبك، وفي الوقت نفسه كان يُبنى له بيت المقدس...

ولما أصبحت مملكته أو ملكه بهذه السعة، وكان يحتاج الخروج إلى مختلف جوانبها، ويجتمع مع جنوده وقادته، وحتى لا يغيب عنه شيء من أطراف مملكته، ولعدم وجود وسائط نقل سريعة آنذاك، سخر الله تعالى له تلك القوى الكثيرة، ومن أهمها الريح التي جعلها الله طوع أمر سليمان عليه السلام، فكانت تحمله حيث أراد، وكانت تجري في الغداة مسيرة شهر، وفي الرواح كذلك)[1].

(١) قصص القرآن الكريم – علي محمد علي دخيل – ص٢٢٨، بتصرف واختصار وإضافات.

فقد ورد عن (الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: (أُعطي سليمان بن داود مُلك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمائة سنة وستة أشهر، ملكَ أهل الدنيا كلّهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع)[1].

أما كيفية نقل عرش بلقيس وما قيل عنه، فقد كان ذلك أيضاً بقانون بديل عن قانون نقل الأثاث وقطع المسافات الطويلة بواسطة ذلك العلم القليل الذي كان عند آصف بن برخيا وصيّ سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠)، فقيل: إنّ آصف خرّ ساجداً ودعا بما عنده من اسم الله الأعظم، فغار عرشها تحت الأرض ونبع عند كرسي سليمان عليه السلام عن طريق ملائكة موّكلين بتنفيذ ذلك العلم من الاسم الأعظم وبأمر الله تعالى، وقيل بطرق أُخرى، ولا يهم بيانها، فالنتيجة واحدة.

ومن ذلك يتضح: أنّ تسخير تلك القوى لسليمان عليه السلام لم يكن نتيجة مقتضٍ أو مبدأ نفسي مؤثر عنده، وإنّما كانت كلها بأمر إلهي مباشر وبقوانين بديلة، بدليل قول سليمان عليه السلام نفسه لما رأى العرش مستقراً عنده: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل: من الآية ٤٠). وقد أورد أخٌ لنا من الفضلاء - الذي نوهنا باسمه في المقدمة - مُلاحظات، أو إشكالات، على بعض مواضيع هذا البحث عند عرضه عليه، سنذكرها تباعاً في أماكنها من البحث، منها ملاحظة على جلب عرش بلقيس هذا نصها:

(لماذا تركت صاحب المعجزة (الذي عنده علم من الكتاب) وناقشت موضوع

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ٣٦٩/٧.

النبيّ سليمان الذي ليس لهُ أيّ دور سوى أنّه أمرَ بجلب العرش؟ هذا أولاً، أما ثانياً، وهو الأهم في نظري القاصر: استغرابكم قول النبيّ سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي... الخ﴾ فهل تُريد (وأنت سيد العارفين) أن تكون المعجزات بفعل فاعل وليس لله فيها يد... الخ) انتهت الملاحظة.

وجوابنا عن هذه الملاحظة، الآتي: -

أولاً- لم نترك التطرق لصاحب المعجزة وهو (آصف بن برخيا) وصيّ سليمان عليه السلام وبيّنا مكانته، وأنّه سجد لله ودعاه بما عنده من علم، أو من أحرف اسم الله الأعظم، فحصل ما أراد، وكما مُبيّن في محله.

ثانياً- لم نستغرب من قول سليمان عليه السلام (هذا من فضل ربيّ... الخ) وإنّما سقناه كدليل على أنّ تسخير تلك القوى لسليمان عليه السلام لم يكن نتيجة مقتضٍ نفسي عنده، وإنّما كانت بأوامر إلهية مُباشرة، وبقوانين بديلة، ولا يوجد فيما قلناه ما يدل على أنّنا (نُريد أن تكون المعجزات بفعل فاعل وليس لله فيها يد) كما تصوّر أحد الفضلاء.

في زمن نبيّ الله موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الأعراف: ١١٧)

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه: ٦٩)

وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الشعراء: ٤٥)

وقال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠)

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ (الأعراف: من الآية ١٦٠)

وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء: ٦٣)

ومن مضمون الآيات يُستشف: أنّ موسى عليه السلام لم تكن لديه فكرة أن يُلقي عصاه فتلقف ما يأفكون، أو أن يضرب بنفس تلك العصا ذلك الحجر المُعيّن، لتعريفه بـ(ا ل) التعريف، فكأنّه كان معلوماً، وليس كل حجر، وهو الذي كان موسى يأخذه معه أينما ذهب - كما وردَ في الروايات - وتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً على عدد أسباط بنيّ إسرائيل، ليكون لكل واحد منهم عينٌ يعلمونها، ويشربون منها.

كما لم تكن لديه فكرة أن يضرب بنفس تلك العصا ذلك البحر المُعيّن أيضاً، وأن ينفلق كالطود العظيم، ويسير موسى هو ومَنْ معه من بنيّ إسرائيل على أرض البحر وهي يابسة، وبعدة طُرق، لكل سبط طريق - كما أُشير إليه في الروايات -.

كل هذه الأمور، لم تكن قد خطرت على ذهن موسى عليه السلام على الرغم من أنّ الله تعالى قد مهد لذلك وأراه بعضها قبل ذلك، وكما منوه عنه بقوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ١٠)، إلاّ أنّه ومن شدة حراجة الموقف أخذه شيء من الخوف، ولم يلتفت إليها ولم يطلب تحقيقها، وقد يكون حينها لا يوجد في نفسه مقتضٍ أو مبدأ مؤثر، كما هو المُستشف من قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (طه: ٦٦)، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ

خِيفَةً مُوسَى ﴾ (طه: ٦٧) وقوله تعالى: ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى ﴾ (طه: ٦٨).

وقد أوردَ أحد الفضلاء هنا ملاحظة على (القسم الأول) من المعاجز، هذا نصها:

(قلتم (.. تحدث من قبل الله تعالى مباشرة وبلا توسط أيّ موجود آخر..) ألم يكُ موسى عليه السلام هو الواسطة؟ إذ لو ألقى العصا غيره ما فعلت فعلها، ولا أدت مهمتها، والدليل: أنّ هارون عليه السلام كان شريك موسى في أمره، لكنّه لم يستعمل هذه العصا مرّة واحدة، مما يُفيد بأنّ لموسى خصوصية في نفسه تؤهله لمثل هذه الأعمال الإعجازية.. كذلك ما وردَ في ص ٢٨، من ضرب الحجر بالعصا، وضرب البحر بها كلها تُشير إلى الوسائط، كالعصا وموسى عليه السلام ولو كانت من عند الله حصراً (كما زعمتم) لتفجر الماء من الحجر ولانفلق البحر دون تدخل موسى وعصاه) انتهت الملاحظة.

ورأيُنا، أو أجابتنا عن هذه الملاحظة، أو الإشكال، هو الآتي: -

أولاً- كان الموضوع بصدد مناقشة (السبب القريب في تحقق الخارق للعادة، هل هو الله وحده، أم هو القوانين الطبيعية، أم نفس النبيّ وبإذن الله تعالى) والمقصود بعبارة (وبلا توسط أيّ موجود آخر) أيّ بدون طلب حصول الخارق من طرف آخر كالنبيّ ونحوه، وإنّما يحصل من قبله تعالى مباشرة.

ثانياً- أرجو أن لا يغيب عن بال أحد الفضلاء، بل عن بالنا جميعاً، أنّ الله (أبى أن يُجري الأشياء إلاّ بالأسباب) والقانون البديل الذي نفترضه أو نحتمله، يكون أيضاً حاوياً للأسباب والمُسببات، والعلل والمعلولات، وقد يكون من هذه الأسباب أو العلل: شخص موسى عليه السلام وعصاه والحجر، ونحوها.

ثالثاً- إنّ تعلق المشيئة الإلهية بالشيء هو (الفاعل) وليس لحامل ذلك الشيء دور في (الفعل) المطلوب، فعندما تعلقت مشيئة الله سبحانه بتلك العصا أن تكون أفعى

عظيمة تلقف ما يأتي به السحرة، فهي ستكون كذلك سواءً كان المُلقي لها موسى أو هارون (عليهما السلام)، أو أيّ نبيّ أو وصيّ أو وليّ غيرهما، لأنّ المعجز أو الخارق للعادة الذي أراد الله تعالى حصوله مُتعلق بتلك العصا، أو أيّ شيء آخر، وليس مُتعلقاً بنوعية أو شخصية المُلقي لها. والله أعلم.

وأثناء إعدادنا الإجابة عن هذا الإشكال، عثرنا على قولين لعلمين من مفسري مدرسة أهل البيت عليهم السلام يؤيدان ما ذهبنا إليه، وهما: -

أولهما- للعلامة الطباطبائي، إذ جاء فيه بالنصّ: (... والتعبير عن العصا (بما في يمينك) من ألطف التعبير وأعمقه، فإنّ فيه إشارة إلى أن ليس للشيء من الحقيقة إلاّ ما أراد الله، فإنْ أراد لما في اليمين أن يكون عصا كان عصا، وإن أراد أن يكون حيّة كان حيّة، فماله من نفسه شيء... الخ)[1].

ثانيهما- للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، إذ جاء فيه بالنصّ: (ومما يُلفت النظر أنّه لم يقل (إلق عصاك) بل يقول: (إلق ما في يمينك) وربما كان هذا التعبير إشارة إلى عدم الاهتمام بالعصا وإشارة إلى أنّ العصا ليست مسألة مُهمة، بل المهم إرادة الله وأمره، فإذا أراد الله شيئاً، فليست العصا فقط، بل أقل وأصغر منها قادرة على إظهار مثل هذه المقدرة)[2].

كما أوردَ أحد الفضلاء ملاحظة أُخرى عن الموضوع نفسه، ونصها: (المعجزة التي يُشير إليها أحد الباحثين، هي العمل الخارق للعادة الذي يقوم به الشخص المؤهل من قبل الله تعالى (كالأنبياء عليهم السلام) وليس ما يُزودهم به الله كدليل على صدق نبوتهم، كقرآن محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعصا موسى عليه السلام وإحياء

(١) العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان ١٤ / ١٧٨.

(٢) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل ١٠ / ٢٨ – ٢٩.

الموتى لعيسى عليه السلام الخ، فإذا قرأ محمد صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن لم يأتِ بمعجزة، ولكنّه عندما شقَ القمر فهذه معجزة لهُ، وكذلك ما تقوم بهِ العصا بأمر الله ليس بمعجزة لأنّه فعل الله، والله كل أمره معجز، حتى خلق الذبابة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج: من الآية٧٣)، لكنّ قول موسى للسامري: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ﴾ (طه: من الآية٩٧) فأصبح كل من يمسه ينصعق، فهذه معجزة، وهكذا، لذا كان خوف موسى من عمل السحرة هو تشابه حركة العصي مع عصاه، فأعلمه الله بأنّ عصاه (ستلقف ما يأفكون) ولا دخل لموسى في ذلك، كما لو قرأ أحد آيات من القرآن مقابل قصيدة شعرٍ، فالإعجاز للقرآن ولا دخل للقارئ فيه) انتهت الملاحظة الثانية.

وقد استنتجنا من ملاحظة أحد الفضلاء المذكورة آنفاً، أمرين: -

أولهما- إنّه يُفرق بين المعجزة التي تحصل كدليل على صدق النبوّة، ولا يُسميها (معجزة) وإنّما يُسميها (صنع الله، أو فعل الله، أو أمر الله).

ثانيهما- إنّ (المعجزة) في نظره، هو ما يقوم بهِ الشخص بمقتضٍ نفسي أو بمؤهل شخصي فقط.

وفي فهمنا المتواضع: أنّ القرآن الكريم وشق القمر لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعصا موسى وانفلاق البحر وقوله للسامري - لا مساس -، وصنع سفينة نوح بتلك الهندسة الربانية وفوران التنور وتفجير العيون وفتح أبواب السماء ورسو السفينة وتصريف المياه، وخروج الناقة وفصيلها من الجبل بدعاء صالح، ونار إبراهيم العظيمة، وهلاك قوم لوط، وتسخير الجبال والطير بالتسبيح مع داود، وتسخير الرياح والجن والشياطين والطير لسليمان، وتكلم عيسى في المهد وإحياءه الموتى وخلقه طيراً من

الطين وإبراء الأكمه والأبرص وإنزال المائدة ورفعه إلى السماء، وإنامة أصحاب الكهف والحفاظ عليهم، وإهلاك أصحاب الفيل وحماية البيت العتيق... الخ.

فهي كلها من مصدر واحد هو الله تبارك وتعالى، فهي إذاً (صنع الله، وفعل الله، ويأمر الله)، وبالتالي فهي كلها (معاجز وكرامات)، وهذا ما وجدناه في التُراث والمصادر المختلفة وما اعتاد عليه الناس من تسميتها (معاجز أو كرامات) بل وينسبونها للنبيّ الذي حصلت في زمانه، كقولهم (نار إبراهيم، ناقة صالح... الخ).

والقرآن المجيد قد يؤيد ما بيناه آنفاً، إذ نجد فيه أنّ موسى عليه السلام عندما جاء إلى فرعون وأخبره بأنّه رسول من ربِّ العالمين، قال له فرعون - كما يحكيه القرآن -: ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٠٦ -١٠٩).

فقول فرعون: (إن كنت جئت بآية) فالآية هنا بمعنى (المعجزة أو الخارق للعادة) والكل بأمر الله وإذنه تعالى.

وفي مناقشة مباشرة مع أحد الفضلاء، تبيّن لنا أنّه قد تولد عنده تصوّر بأنّنا نتهمه بأنّه (يُنكر معاجز الأنبياء) فقلنا له: معاذ الله يا أخي أن أُقحمك بالخروج عن ربقة الإسلام، أو أنّك تُنكر معاجز الأنبياء، فأنت عندنا - والله يشهد - ذلك المؤمن القدوة لنا، فإنّ اتهمناك فلابدَّ أن نتهم أنفسنا أولاً ولكنّ ما تفضلتم بهِ بذهابكم إلى التفريق بين المعاجز، هو الذي ألجأنا لما قلناه.

ثُمَّ بينا له، أنّ ما نُريد الوصول إليه هو: أنّ ما حصل في زمن الأنبياء والأوصياء السابقين للخاتم صلى الله عليه وآله وسلم من معاجز وكرامات، لم تحصل نتيجة

(مبادئ نفسانية، أو مقتضٍ نفسي مؤثر) في نفوسهم، كما هو المفهوم من قولكم: (... وإنّما المعجزة (موضوع البحث) هي ما يقوم بهِ الشخص بمقتضٍ نفسي أو بمؤهل شخصي... الخ).

ومن ذلك يظهر تطابق الفكرة فيما بيننا، غير أنّ الخلاف فيها بالتسميات، فأنتم تسمونها (صنع الله، فعل الله، أمر الله) ونحن نسميها (معاجز وكرامات) لعدم وجود فرق بينهما - كما نحتمل -.

أما بصدد ما قاله عن خوف موسى عليه السلام بأنّه كان لتشابه حركة العصي مع عصاه، ففي نظرنا أنّه شيء مُستبعد: لأنّ السحرة هم الذين ألقوا ما عندهم أولاً، فتميّز عملهم للجميع، وأنّ ما يأتي لاحقاً من قبل موسى سيكون مُختلفاً ومميّزاً أيضاً، والصحيح، أنّ خوف موسى عليه السلام كان على الرسالة السماوية، وأن لا ينتصر الباطل على الحق وتكون له الغَلَبَة، لذا جاء قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٧-١١٩).

أما عن قول موسى عليه السلام للسامري: (لا مساس) ففيه نظر أيضاً، إذ قال بعض المفسرين: (إنّ جملة (لا مساس) إشارة إلى أحد القوانين الجزائية في شريعة موسى عليه السلام التي كانت تصدر في حق من يرتكب جريمة كبيرة، وكان الفرد يبدو كموجود شرير نجس قذر، فلا يقربه أحد ولا يقرب أحداً، فأضطر السامري بعد الحادثة أن يخرج من جماعة بنيّ إسرائيل ويترك دياره وأهله، ويتوارى في الصحراء... الخ)[1].

(١) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – في تفسيره الأمثل ١٠ / ٦٦ – ٦٧.

في زمن أصحاب الكهف عليهم السلام

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾ (الكهف: ٩).

فهؤلاء الفتية آمنوا بوحدانية الله، وأنكروا ربوبية البشر من الملوك ورفضوها، ففروا بدينهم، تاركين ما كانوا فيه من عزّة وسلطان، حيث كانوا وزراء في مملكة (دقيانوس) وهم ستة، وكانت لهم عنده منزلة كبيرة، ثُمَّ لحِق بهم ذلك الراعي الذي كان يُشاركهم التفكير والرأي والعقيدة، وعندما علِمَ الملك بحالهم وهروبهم، طلبهم ليعثر عليهم ثُمَّ القصاص منهم، وبعد أن أجهدهم السير آووا إلى كهف في طريقهم، فضرب الله تعالى على آذانهم، فناموا سنين عدداً: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾ (الكهف: ١٠ - ١١).

وقد يكون هذا الضرب الإلهي على آذانهم هو القانون البديل لنومهم تلك الفترة الزمنيّة الطويلة والخارقة للعادة، بحيث جعل أجسامهم دائمة الحاجة للنوم، أو إذهاب عدم الشعور بالزمن بالنسبة لهم بدليل قولهم المحكي في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ (الكهف: ١٩).

وكل ذلك جرى وحصل ليس بسبب وجود مقتضٍ أو مبدأ مؤثر في نفوسهم، وإنّما كان بأمر إلهي مباشر، ولكن بقوانين بديلة، أنامتهم كل تلك المدة مع توفير كل أسباب الحفاظ عليهم من كل سوء أو مكروه بإيصال الشمس والهواء إليهم لكي لا

تتأثر أبدانهم بالرطوبات وما تنتجه، وتعديل بعض أجهزة أبدانهم، كالغذائية والدموية، مما يُلائم وضعهم الذي أراده الله تعالى لهم، والله أعلم.

وهنا أورد أحد الفضلاء ملاحظة هذا نصها:

(ص ٣٤ الفقرة الأخيرة (وكل ذلك جرى وحصل ليس بسبب وجود مقتضٍ أو مبدأ مؤثر في نفوسهم) ولم يقل أحد أنّه كان مقتضى في نفوسهم؟ أظن أنّ الموضوع برمته خارج عن دائرة البحث، لأنّ ما حدث هو منّة من الله تعالى، رأفة بهم ولا دخل لهم فيه.. مثله ما يحدث في كل زمان، فكم من حادث سيارة أودى بحياة جميع ركابها ما عدا طفل صغير أو امرأة، فهل هذه معجزة قام بها الطفل أو المرأة بموجب مقتضٍ لديهما؟ وهذا القول ينسحب على مثيلاته في الصفحات التالية).

وأجابتنا عن هذه الملاحظة، هو الآتي: -

أولاً- الظاهر أنّ أحد الفضلاء لم يُركز على ما وردَ في قول العالم المذكور في البحث، والذي نصه: (وبالجملة، جميع الأمور الخارقة للعادة سواءً سُميّت معجزة أم سحراً أو غير ذلك، ككرامات الأولياء وسائر الخصال المُكتسبة بالارتياضات والمجاهدات، جميعها مُستندة إلى مبادئ نفسانية ومُقتضيات إرادية... الخ)

وقول الباحث المذكور مُكرراً في البحث، والذي نصه: (... إذاً السبب للإتيان بالخارق للعادة، كالمعجزة والكرامة، هو نفس النبيّ أو الإمام أو الوليّ، وهو بمثابة المقتضي لتحقق الخارق... ومن المعلوم أنّ السبب القريب لتحقق الخارق للعادة لا يختص بالأنبياء والأولياء وإنّما هو شامل لكل خارق من سحر أو كرامة ونحوها، فإنّ نفس الآتي بالخارق هو السبب القريب في ذلك وإن توقف على الإذن الإلهي).

فهل هناك قول أوضح من هذين القولين، إذ أثبتا فيهما بأنّ: (المعجزة، أو الكرامة،

أو السحر، مُستندة إلى مبادئ نفسانية ومقتضيات إرادية، وأنّ نفس النبيّ أو الإمام أو الوليّ هو السبب للإتيان بالخارق للعادة، وأنّ ذلك شامل لكل خارق بما فيها السحر؟).

وإشكالنا ليس بصدد المعاجز الإلهية، فقد أثبتنا من خلال البحث أنّ هناك معاجز إلهية تحصل نتيجة المقتضى النفسي للنبيّ أو الوصيّ، والذي احتملنا أنّه من مُختصات الخاتم وعترته المعصومين عليهم السلام، وإنّما إشكالنا على الخارق للعادة الذي يأتي بهِ الساحر نتيجة علوم وفنون وطرق السحر، لا عن مقتضٍ نفسي لديه.

ثانياً- إنّ الغاية والهدف من بحثنا هو بيان: أنّ المعجزة الإلهية شيء والسحر شيء آخر، وأنّ السحر علم كباقي العلوم، له طُرقهُ وفنونه الخاصة، وأنّ الساحر عندما يأتي بشيء يُخيل للناظر أنّه خارق للعادة - أيّ معجزة - لم يأتِ بهِ استناداً إلى مقتضٍ نفسي عنده، وإنّما استناداً لعلم السحر.

ثالثاً- إن حديثنا في الصفحة (٣٤) من البحث، كان عن كيفية نوم أصحاب الكهف تلك المُدة الطويلة، وقول أحد الفضلاء عنهم: (ما حدث هو منّة من الله تعالى رأفة بهم ولا دخل لهم فيه... الخ) فهو يؤيد ما ذهبنا إليه، إذ قلنا عنهم: إنّ كل ما جرى وحصل لهم، ليس نتيجة مقتضٍ أو مبدأ مؤثر في نفوسهم.

ولا نعلم، هل أن أحد الفضلاء قصد بقوله هذا: أن ما حدث لأصحاب الكهف كان أمراً طبيعياً، وأنّه غير خارق للعادة، وبالتالي فهو ليس معجزة، وهو مما يُستشف من المثل الذي ضربه لحالهم في حادث السيارة وموت جميع ركابها عدا أحدهم، ثُمَّ تساءل قائلاً: فهل هذه معجزة قام بها الطفل أو المرأة بموجب مقتضٍ لديهما؟ وهو أمرٌ مُستغرب حقاً، لأنّنا: -

لم نذكر في بحثنا أنّ هناك معجزة حصلت لأحدٍ نتيجة مقتضٍ نفسي أبداً، وإنّما

احتملنا حصر حصول ذلك بالنبيّ الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعترته المعصومين عليهم السلام.

إنّ المثل الذي ساقه أحد الفضلاء، لا ينطبق على قضيّة أصحاب الكهف، إذ إنّ قضيتهم كانت إعجازية وخارقة للعادة وبقانون بديل، أما حادث السيارة ونجاة أحد الركاب، فهذا أمرٌ مُتعلق بما حدده الله تعالى بالآجال بأنواعها، فالناجي من الركاب لم يحن أجله بعد، فأنجاه الله سبحانه بسبب ما، وهو أيضاً أمر إعجازي.

في زمن أصحاب الفيل

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ (الفيل: ١ - ٥).

قيل إنّ: (أبرهة الحبشي كان جندياً بسيطاً في جيش ملك الحبشة، وفي إحدى الغزوات في اليمن قتل قائده (روزبه) ونصّبَ نفسه مكانه أميراً على اليمن... وكان طاغية... وأخذ يتدرج في الطغيان، فبنى بيتاً للعبادة وأمر الناس بحجه، ولكي يحقق ذلك سار بجيشه لتهديم الكعبة المعظمة...

وكان عبد المطلب بن هاشم جدّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وكافله، ذا شخصية كثيرة الأبعاد، فهو زعيم قريش بلا مُنازع، وساقي الحجيج من زمزم، وبلغ من المجد والسؤدد حتى كانت قريش تسميه (إبراهيم الثاني) إذ لم يكن له في قريش وغيرها نظير، حتى أنّ الإسلام أقرَّ بعض تشريعاته، وأمضى بعض سنُنه، مما يدل على أنه كان على الحنيفية السمحاء، شريعة جده إبراهيم...)[1].

(١) قصص القرآن الكريم – علي محمد علي دخيل – ص ٤١٩ – ٤٢٠، باختصار وتصرف.

(روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: (يا علي إنَّ عبد المطلب سنَّ في الجاهلية خمس سنن أجراها الله في الإسلام، حرّمَ نساء الآباء فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء: من الآية٢٢) ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدّق به فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ (الأنفال: من الآية٤١)، ولما حفر زمزم سمّاها: سقاية الحاج، فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (التوبة: من الآية١٩)، وسنَّ في القتل مائة من الإبل، فأجرى الله عزَّ وجلَّ ذلك في الإسلام، ولم يكن للطواف عدد عند قريش، فسنَّ فيهم عبد المطلب سبعة أشواط، فأجرى الله ذلك في الإسلام، يا علي: إنَّ عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبُد الأصنام، ولا يأكُل كل ما ذُبحَ على النُصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام)[1].

وعندما علِمت قريش وغيرها بنيّة أبرهة ومسيره بجيشه إليهم، تركوا مكة وديارهم وصعدوا إلى رؤوس الجبال، ولم يبقَ بمكة غير عبد المطلب بن هاشم، أقام على سقايته، وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار، أقام على حجابة البيت، وبعد أن جرى ما جرى بين عبد المطلب وأبرهة، دعا الله تعالى أن يهلك الطاغية ويحمي بيته، فاستجاب الله دعاءه وفعل بأبرهة وجيشه ما فعل وأهلكهم.

وكل ذلك لم يكن بسبب مقتضٍ أو مبدأ مؤثر في نفس عبد المطلب، وإنّما كان بأمر إلهي مباشر، وبقوانين حرب بديلة لم يعرفها الناس آنذاك، بدليل قول عبد المطلب لأبرهة: ... أنا ربُّ الإبل، ولهذا البيت ربّ يمنعه)[2]. والله أعلم.

---

(١) مكارم الأخلاق – الشيخ الطبرسي – ص ٤٤٠.

(٢) جامع أحاديث الشيعة – السيد البروجردي ١٠/٤٥.

القسم الثاني: المعاجز والكرامات والخارق للعادة، التي تحصل بقانون بديل عن القانون الطبيعي

وله أسباب ومسببات وعلل ومعلولات، وهو من الأسرار بين الله وبين مَنْ يشاء من أنبيائه، ومشروط بإذنه تعالى، وباقتراح من الناس، وبدعاء النبيّ، أو الوصيّ، ولا أثر له قبل استخدامه وبعده، ولا دخل (للمبادئ النفسانية، أو المقتضي النفسي المؤثر) فيها، نذكر بعضها: -

في زمن نبيّ الله صالح عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ وَأَخَذَ

الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (هود: ٦١-٦٨).

بُعث نبيّ الله صالح عليه السلام في قومه وعمره ست عشرة سنة، فلبث فيهم حتى بلغ عمره مائة وعشرين سنة، وهم لا يُجيبونه إلى خير.

وبعد أن يئس منهم خيّرهم بين أمرين: إما أن يطلبوا منه آية أو معجزة، وإن تحققت يؤمنوا بهِ، وإما أن يسأل هو آلهتهم، فإن أجابوه خرج عنهم؟ فقبلوا بذلك، وطلبوا منه أن يبدأ هو بسؤال آلهتهم، فلما سألها كلها - وكان عددها سبعين صنماً - فلم تجبه، وفشلت في الاختبار، بعد ذلك: انتدبوا من بينهم سبعين رجلاً من كبرائهم ووجهائهم، وخرجوا مع صالح إلى جبل قريب، فقالوا: يا صالح أُدع ربك ليخرج لنا من هذا الجبل الساعة ناقة حمراء شقراء وبراء عشراء بين جنبيها ميل، فسأل ربه، وحقق لهم ما طلبوا، ثم طلبوا منه أن يُخرج معها فصيلها، ففعل، ثم جعل لها يوماً للشرب وجعل لهم يوماً، إلاّ أنهم عادوا إلى كفرهم وعصيانهم، فعقروا الناقة، والقصة معروفة.

ومنها نعلم: أنّ معجزة وآية ناقة نبيّ الله صالح، كانت بسؤال وطلب من قومه، فدعا هو ربه فاستجاب الله دعاءه، وأخرج الناقة من ذلك الجبل المُعيّن والمحدد، بقانون بديل عن القانون الطبيعي الخاص بولادة ناقة من ناقة أُخرى، فجعل الجبل يلد ناقة، وهو القادر على كل شيء.

أما إهلاكهم، فكان أيضاً بقانون بديل عن القانون الطبيعي للموت، وجعل هلاكهم وموتهم جميعاً - عدا صالح والذين آمنوا معه - بأن أمر جبرائيل عليه السلام أو غيره، أن يصيح بهم صيحة خاصة فيها قابلية إزهاق روح سامعها - من غير المؤمنين طبعاً -، أو أنّها مصممة لإسماع غير المؤمنين فقط، ولا يسمعها المؤمن، فلا تؤثر عليه، وقد تكون هي الرحمة التي بها أنجى الله نبيه صالحاً والذين آمنوا معه والمشار إليها بقوله

تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (هود: ٦٦) فكان في تلك الصيحة هلاكهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين، والله أعلم.

في زمن نبيّ الله عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: ١١٠).

إنّ ما جرى وحدث من آيات ومعجزات على يد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: من خلقه طيراً من الطين ونفخ الروح فيه، وإبراء الأكمه والأبرص، وإخراج الموتى، ونحو ذلك، لم يكن بسبب وجود مقتضٍ في نفسه أو عن مبدأ مؤثر من عنده، وإنّما كانت بأوامر إلهية مباشرة لتأييد الرسالة والرسول، وبقوانين بديله عن القوانين الطبيعية الأصلية.

وكذلك معجزة إنزال المائدة: لم تكن نتيجة مقتضٍ في نفس عيسى عليه السلام وإنّما كانت بطلب من الحواريين، وكان عيسى عليه السلام مخالفاً لذلك ورافضاً له وغير راضٍ عنه، كما هو الواضح من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ١١٢).



الفصل الثاني

القسم الثالث من المعاجز والكرامات والخارق للعادة، واختصاصها بالخاتم وأوصيانه عليهم السلام

هي المعاجز والآيات والكرامات والخارق للعادة، الحاصلة وفق (القسم الثالث) من أقسام المعاجز، التي تحصل بقانون بديل، ولكن بوجود (مبادئ نفسانية، أو مقتضٍ نفسي مؤثر) في نفس النبيّ أو الوصيّ عند الحاجة، وبعد الإذن الإلهي، وبعد التكلم (التمتمة) بكلمات غير معروفة للسامع لها، وهي أيضاً من الأسرار التي بينهم وبين الله تعالى، وهي (من اللطف الإلهي).

والظاهر من الروايات: أنّ هذا القسم الأخير من أقسام المعاجز، ليس متوفراً لكل الأنبياء والرسل والأوصياء، وإنّما هو - في نظرنا وفهمنا المتواضع - من مختصات أول الأنبياء والرسل وخاتمهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وأول الأوصياء وخاتمهم أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين (عليهم السلام) لما حازوه من صفات ومميزات ومؤهلات وإمكانات واستعدادات في مرحلة خلقهم النوري الأول عندما لم يكن هناك مخلوق غيرهم، ولما حصلوا عليه من السبق في مرحلة الإشهاد والإقرار في عالم الذرّ، وبعد أن اطلع سبحانه اطلّاعه فلم يجد أنقى وأصفى وأتقى وأخلص وأعلم وأكمل.. و.. و.. الخ، من تلك الذوات، فحمّلهم دينه وعلمه بعد أن طهرهم من الرجس، مما مكنهم من مسّ الكتاب المكنون وتحصيل علومه ومعارفه، وبذلك جُمع لهم (العلم اللدّني وعلم الكتاب) ومنهما تكونت القدرة

(والمبادئ النفسانية المؤثرة) في نفوسهم الشريفة.

كما نحتمل: أنّه لم يُشاركهم في هذه المكانة غيرهم من الأنبياء والأوصياء السابقين عليهم - في نشأة الدنيا طبعاً -، بينما شاركوا هُم الجميع في كل أقسام المعاجز، للأسباب والأدلة الآتية: -

الصفات والمميزات الخاصة التي حبا الله تعالى بها الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، والتي يشترك معه في بعضها أهل بيته المعصومون عليهم السلام والتي منها: -

أولاً- إنّه صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام أول المخلوقات النورية، وقبل أن يخلق الله تعالى أيّ مخلوقٍ سواهم.

ثانياً- إطلاعهم من قبل الله تعالى على علوم ومعارف كيفية إيجاد المخلوقات، وإلهاء ذلك العلم إليهم في أول مرحلة خلقهم أنواراً.

ثالثاً- إطلاعهم على خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام وعرضها عليهم وتعريفهم بأرواح مُحبيهم ومواليهم وشيعتهم في مرحلة من مراحل عالم الذرّ بواسطة الطينة المرحومة.

رابعاً- اتصالهم بالكتاب المكنون الذي عند الله، كونهم (مُطهرين) مما أهلهم إلى مسّ علومه ومعارفه الغيبية.

خامساً- امتلاكهم اثنين وسبعين حرفاً من حروف الاسم الأعظم.

سادساً- ما يحصلون عليه من جديد في ليالي الجُمع عندما يؤذن لأرواح الأنبياء والأوصياء - حيّهم وميتهم - بالعروج إلى العرش - وهو العلم كما ثبت في الروايات -.

سابعاً- العلم المكتوب الذي ورثوه من النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهو علم الأولين والآخرين، وعلم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة.

ثامناً- عدم حجب أخبار السماء المُستجدة عن الإمام من قبل الله سبحانه صباحاً ومساءً، كونهم حبل الله المتين الممدود بين السماء والأرض.

تاسعاً- طريقة النكث في الأرض، وما تُخبرهم بهِ عمّا يُريدون من أخبارها وأخبار مَنْ عليها.

عاشراً- عندما يحتاج الإمام لشيء، أعلمه الله بهِ بواسطة ووسيلة مُعيّنة.

حادي عشر- الزيادة المستمرة - ليلاً ونهاراً - من قبل الله بما يصدر من عنده، فيبدأ بالنبيّ ثُمَّ الوصيّ ثُمَّ الأوصياء، واحداً بعد واحدٍ، أمواتهم وأحياؤهم، وقد يكون ذلك مختصاً بأمور (البَدآء).

ثاني عشر- الإلهام الممنوح لهم من قبل الله سبحانه، وقد يكون من ضمنه (الفراسة) التي ينظرون بها.

ثالث عشر- تحديث المَلَك لهم بإذن الله تعالى.

رابع عشر- بواسطة (روح القدس) الذي بهِ يُرى، ويسددهم عندما يُطلب من قبلهم.

وقد أوردَ أحد الفضلاء ملاحظات على بعض هذه الصفات والمميزات، وكالآتي:

(الفقرة - سادساً - يُفهم منها أنّ ما لدى الخاتم وآله صلى الله عليه وآله وسلم لدى جميع الأنبياء إذ يُدعون في كل جمعة ليزدادوا علماً)...

وجوابنا عنها: إنّ ذلك حق، ولكنّ المهام مُختلفة، ولما كانت رسالة نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هي خاتمة للرسالات جميعاً، ومُستمرة إلى نهاية نشأة الدُنيا والبرزخ ويوم القيامة الكُبرى، فلابدّ من تزويد حاملها، ومن بعده أوصيائه بتلك العلوم لإدامتها واستمراريتها، أما بقيّة الأنبياء، فيكون ذلك للعلم فقط، ليكونوا على بيّنة مما جرى يوم الإشهاد.

فرد الأخ على أجابتنا هذه بقوله: (إذن ما لدى الأنبياء لديهم، وليس موضوعنا العمل).

وقولنا عنه: هناك فرق واضح بين أن يكون العلم للإطلاع والشهادة، وبين أن يكون للعمل والتنفيذ في نشأة الدُنيا. والله أعلم.

(الفقرة - تاسعاً- يُفهم منها بأنّ الأرض أعلم منهم عليهم السلام بما يجري عليها، لأنّ المسؤول أعلم من السائل، كما أنّها تُناقض ما وردَ في الفقرة - سابعاً-)...

وجوابنا عنها:

ليس المسؤول أعلم من السائل دائماً، فقد يسأل الله عزَّ وجلَّ عباده، وهو العليم الخبير: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ (طه: ١٧)، وقد يسأل الأنبياء من دونهم عن شيء وهم أعلم بهِ من غيرهم، وقد يسأل المعلم أو الأُستاذ تلميذه عن مسألة، وهو يعلمها جيداً، فالأرض ليست بأعلم من المعصومين عليهم السلام، وإنّما لكل مخلوق من مخلوقات الله سبحانه واجباته ومهامه في هذا الكون، وقد جعل الأرض وكلفها بأن تكون وسيلة طائعة من وسائل إطلاعهم عليهم السلام على ما يُريدون لحالة مُعيّنة تستوجب الإجابة الآنية، ولهذا السبب وأمثاله، يتضح عدم التناقض بينها وبين ما وردَ في الفقرة - سابعاً- فقد يحتاج أحدهم عليهم السلام إلى أمرٍ وهو بعيد عن داره أو مصادر تلك العلوم المكتوبة الموروثة، فيلجأ إلى أقرب وسيلة أو طريق لمعرفة المطلوب.والله أعلم.

فرد الأخ على أجابتنا هذه بقوله: (إذن الأرض تُعلمهم وفق هذا الطرح - قولك وليس قولي -)

وقولنا عنه: الوسيلة تُهيئ وتوصل للمعلومة، ولا تُعلِم - حسب فهمنا-

(الفقرات من - أولاً إلى الرابع عشر - لم تذكر المصدر الذي أخذت منه هذه الأمور)

وجوابنا عنها: مصادر الفقرات المذكورة هو بحثنا المُعد للطبع والموسوم بـ(العترة وباطن القرآن) من الصفحة ٢٠٧ - ٢١٠، وقد أشرنا هناك إلى مصادرها، وهي كثيرة، منها (تفسير الميزان، وتفسير الرازي، وتفسير الأمثل، وتفسير البيان، وتفسير الزمخشري والكشّاف والألوسي، وغيرهم).

أما الأسباب المؤهلة للنبيّ وآله عليهم السلام أن يأتوا بالمعجزات من أنفسهم الشريفة فهي: -

أولاً- فضله صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الرسل ببعثته إلى الناس كافة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ (سبأ: من الآية٢٨).

ثانياً- جعله صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ثالثاً- كونه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: من الآية٤٠)، بالنسبة لنشأة الدنيا.

رابعاً- كون القرآن مُهيمناً على جميع الكتب السماوية، وتبياناً لكل شيء، ومحفوظاً من التحريف، ومُعجزاً باقياً ببقاء الدنيا كما هو المُشار إليه في كثير من آياته الشريفات.

خامساً- لمّا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رحمة لكل العالمين، لزم أن يكون أفضل من كل العالمين.

سادساً- لأنَّ الله تعالى قرن ذكره صلى الله عليه وآله وسلم مع ذكره سبحانه في الشهادة والآذان والتشهد، ولم يكن ذكر سائر الأنبياء كذلك.

سابعاً- لأنَّ الله تعالى قرن طاعته صلى الله عليه وآله وسلم بطاعته سبحانه، وبيعته ببيعته، وعزته بعزته، ورضاه برضاه، وإجابته بإجابته، وقد ذكر ذلك بعدة سور من كتابه المجيد.

ثامناً- كونه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر الأنبياء والمرسلين معاجزاً وأفضلها، ومنها الباقية، أما معجزات غيره فمحدودة ومعطلة حالياً.

تاسعاً- لّما كان النبيُّ محمد صلى الله عليه وآله أول وخاتم الرسل، فوجب أن يكون أفضلهم، لأنَّ نسخ الفاضل بالمفضول قبيح في المعقول.

عاشراً- لّما كان الإسلام آخر الأديان وأكملها، فمن تكون رسالته إبلاغ أكمل الأديان، لابدّ من أن يكون هو نفسه أرفع المرسلين، ولا سيما أنّ القرآن يقول فيه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ (النساء: ٤١).

وقد أورد أحد الفضلاء ملاحظات على بعض هذه الأسباب، وكالآتي: -

- (الفقرة - ثامناً -) هلاّ دللتنا على معاجز النبي صلى الله عليه وآله وسلم الباقية، وأين هي؟ فلو قلت القرآن فهو لم يصنعه، وإنّما أُنزل عليه تأييداً لنبوته صلى الله عليه وآله وسلم كعصا موسى عليه السلام وإمكانيات عيسى عليه السلام، ثُمَّ إنّ صحف السابقين محفوظة لدى الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف)...

وجوابنا عنها: لقد استفدنا من ملاحظة الأخ - جزاه الله خيراً - وقمنا بتعديل الفقرة بما يُناسب المضمون، أما معاجز النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الباقية، والتي طلب الأخ دلالته عليها، وأين هي؟ فيكفينا منها إخباره بالمغيبات الكثيرة التي جرت وتجري إلى نهاية الدُنيا، والتي تحققت وتتحقق تباعاً، وغيرها مما ذكرناه سابقاً.

وكونها باقية وليست فانية، لأنّها تعمل وتنتج، كتحقق إخباره بالمغيبات،

وعرض أعمال العباد عليه، ورده السلام على من يُسلم عليه من قريب أو بعيد، واستغفاره لمن طلب ذلك منه مُخلصاً، ونحو ذلك.

ومقصودنا من أنّ معاجز غيره (مُعطلة حالياً) أيّ، أنّها مُعطلة الفعل، ونحن نعتقد كما تعتقدون، بأنّها محفوظة لدى الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وأنّه سيُخرجها ويستخدمها، فينشر راية جده المصطفى، ويلبس عمامته ويتلقد سيفه، ويُخرج عصا موسى وخاتم سليمان، وغير ذلك مما أدخره الله تعالى لعونه، ولم يكن قصدنا أنّها فانية بمعنى العدم.

- (الفقرة - عاشراً) الآية واضحة أنّ الشهادة على الأُمّة وليست على الأنبياء بدليل (من كل أُمّة) ثُمَّ كلمة (هؤلاء) اسم إشارة للتعريف، ولو كان المعني بها الأنبياء عليهم السلام لكانت (على أولئك شهيداً). والله أعلم.

وجوابنا عنها: الأقوال في تفسير الآية المذكورة مُختلفة، ولكنّ ما ورد عنها من مفسري مدرسة أهل البيت عليهم السلام - وكأنّه هو المجمع عليه - هو الآتي: -

(إنّ الأُمم يوم القيامة تجحد تأدية رسالات رسلها وتقول: ما جاءنا من بشير ولا نذير، والرسل يستشهدون بنبينا، فيقول نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لكل أُمة: قد جاءكم بشير ونذير، والله على كل شيء قدير، أيّ، مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل عليكم رسالاتهم)[1].

(عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يصف فيه يوم القيامة قال عليه السلام: يجتمعون في موطن يُستنطق فيه جميع الخلق، فلا يتكلم أحد إلاّ من أذَنَ لهُ الرحمن وقال صواباً، فيُقام الرسول، فيُسأل، فذلك قوله لمحمد صلى الله عليه وآله

(١) تفسير الصافي - الفيض الكاشاني ٢ / ٢٤.

وسلم: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ (النساء: ٤١)، وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هُم الرسل)[١].

(عن.. عن سُماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾، قال: نزلت في أُمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، في كل قرن منهم إمام منّا شاهد عليهم، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم شاهد علينا)[٢].

(... ومن ذلك قول الله عزَّ وجلَّ لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ يعني: أهل زمانه، لأنّه لا يُقال (هؤلاء) إلاّ للحضور دون من لم يكن بعد)[٣].

ومن كل ذلك يتضح: أنّ نزول الآية في هذه الأُمّة لا يُنافي عموم حكمها - كما يقولون - فلا تنافي إذن بين الروايات، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يكون شاهداً على الأئمة من أُوصيائه عليهم السلام ومن كان معهم من أُمته في كل قرن وكذلك يكون شهيداً على الرسل الذين هُم بدورهم شهداء على أُممهم، عندما يطلبون منه ذلك، فيشهد لهم بتبليغ الرسالات، فهو إذن الشهيد على الشهداء، والشهداء هُم خلفاؤه من المعصومين والرسل السابقين عليهم السلام. والله أعلم.

أما الأدلة الروائية التي تثبت قيامه صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام بالمعجزات بكل أقسامها ومن أنفسهم بعد الإذن الإلهي، وهي كثيرة، نذكر هنا بعضها: -

---

(١) تفسير العيّاشي – محمد بن مسعود العيّاشي ١/٢٤٢ .

(٢) الكافي – الشيخ الكُليني ١ / ١٩٠.

(٣) شرح الأخبار – القاضي النعمان المغربي ١/٩٥.

أولاً- قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر: ١)

ورد في الروايات والأخبار، (إنّ المشركين من أهل مكة وغيرها، اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطلبوا منه آية على صدق دعوته ونبوته، فقالوا: إن كنتَ صادقاً في مُدّعاك، فشق لنا القمر فرقتين! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم، وكان القمر وقتها بدراً، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسأل ربهُ القادر والمُتصرف بمخلوقاته، أن يُعطيه ما قالوا وما سألوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله يُنادي: يا فلان، يا فلان، اشهدوا)[1].

ورغم مُشاهدة هذا الحدث وهذه المعجزة من قبل أغلب أهل مكة، بعد استثناء النائمين وغير الحاضرين حينها، ومن قبل غيرهم في أماكن أُخرى، ورغم رواية هذا الإعجاز من قبل أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وحذيفة بن اليمان وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وأنس وغيرهم، وشهادتهم على مُشاهدة الحدث بأعينهم، حتى أنّ ابن مسعود يُقسم بالله، بأنّه رأى جبل حراء بين فلقي القمر، ورغم شهادة العائدين من السفر من خارج مكة على مُشاهدة الحدث في أماكن أُخرى غير مكة، رغم كل ذلك، إلاّ أنّ طُغاة قريش ومشركي العرب وغيرهم، أنكروا ذلك جحوداً وعناداً، فمن قائل يقول: سحرنا محمد، وآخر يقول: سحرنا ابن أبي كبشة، وثالث يقول: سحر مستمر... الخ.

ثانياً- (حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رضي الله عليه) قال: ... عن... عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس، قال: كُنا جلوساً في محفل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا، فرأينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أشار بطرفه إلى السماء، فنظرنا فرأينا سحابة قد أقبلت، فقال لها: أقبلي، فأقبلت، ثُمَّ قال لها: أقبلي، فأقبلت ثُمَّ قال لها: أقبلي،

(١) مجمع البيان – للطبرسي مجلد ٩و١٠ ص ١٨٦، عن ابن عباس، وغيره من المصادر.

فأقبلت، فرأينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قام قائماً على قدميه، فأدخل يديه في السحاب حتى استبان لنا بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاستخرج من ذلك السحاب جامة بيضاء مملوءة رطباً، فأكل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الجام، وسبح الجام في كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فناوله علي بن أبي طالب، فأكل علي عليه السلام من الجام، فسبح الجام في كف علي عليه السلام، فقال رجل: يا رسول الله، أكلت من الجام، وناولته علي بن أبي طالب! فأنطق الله عزَّ وجلَّ الجام، وهو يقول: لا إله إلاّ الله، خالق الظلمات والنور، اعلموا معاشر الناس أنّي هدية الصادق إلى نبيه الناطق، ولا يأكُل منّي إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ)[1].

ثالثاً- (روى جماعة عن الشيخ أبي جعفر بن بابويه، أخبرنا... أخبرنا... عن فضيل الرسان، عن أبي جعفر عليه السلام: أنّ رجلاً قال لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين لو أريتنا ما نطمئن بهِ مما أهدى إليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لو رأيتم عجيبة من عجائبي لكفرتم وقلتم إنّي ساحر كذّاب وكاهن، وهو من أحسن قولكم، قالوا: ما منّا أحد إلاّ وهو يعلم أنّك ورِثت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصار إليك علمه، قال: علم العالم شديد لا يحتمله إلاّ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وأيده بروح منه، ثُمَّ قال: إذا أبيتم إلاّ أن أُريكم بعض عجائبي وما آتاني الله من العلم اتبعوا أثري إذا صليت العشاء الآخرة، فلما صلاّها أخذ طريقه إلى ظهر الكوفة فاتبعه سبعون رجلاً كانوا في أنفسهم خيار الناس من شيعته، فقال لهم علي عليه السلام: إنّي لست أُريكم شيئاً حتى آخذ عليكم عهد الله وميثاقه ألا تكفروا بيّ ولا ترموني بمعضلة، فوالله ما أُريكم إلاّ ما علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذ عليهم العهد والميثاق أشدّ ما أخذ الله على رسله من عهد وميثاق، ثُمَّ

(١) الأمالي – الشيخ الصدوق – ص ٥٨٠-٥٨١.

قال: حولوا وجوهكم عنّي حتى أدعوا بما أُريد، فسمعوا جميعاً يدعو بدعوات لا يعرفونها، ثُمَّ قال: حولوا وجوهكم، فحولوا، فإذا هُم بجنات وأنهار وقصور من جانب، وسعير تتلظى من جانب، حتى أنهم ما شكوا أنّها الجنّة والنار، فقال أحسنهم: إنّ هذا لسحر عظيم، ورجعوا كفّاراً إلاّ رجلين، فلما رجع مع الرجلين قال لهما: قد سمعتما مقالتهم وأخذي عليهم العهود والمواثيق ورجوعهم يكفرون، أما والله أنّها لحجتي عليهم غداً عند الله تعالى، يعلم أنّي لست بساحر ولا كاهن ولا يعرف هذا ليّ ولا لآبائي، ولكنّه علم الله وعلم رسوله أنهاه الله إلى رسوله وأنهاه رسوله إليّ وأنهيته إليكم، فإذا رددتم عليّ فعلى الله رددتم، حتى إذا صار إلى باب مسجد الكوفة دعا بدعوات يُسمعان، فإذا حصى المسجد درّ وياقوت، فقال لهما: ما تريان؟ قالا: هذا درّ وياقوت، فقال: صدقتما، لو أقسمت على ربي فيما هو أعظم من ذلك لأبرَّ قسمي، فرجع أحدهما كافراً، وأما الآخر فثبت، فقال عليه السلام: إن أخذت منه شيئاً ندِمت وإن تركت ندِمت، فلم يدعه حرصه حتى أخذ درة فصرّها في كُمّه، حتى أصبح، نظر إليها فإذا هي درة بيضاء لم ينظر الناس إلى مثلها قط، فقال: يا أمير المؤمنين، أنّي أخذت من ذلك الدُرّ واحدة، وهي معي، فقال: ما دعاك إلى ذلك؟ فقال: أحببت أن أعلم أحق هو أم باطل، قال: إنّك إن رددتها إلى موضعها الذي أخذتها منه عوضك الله منها الجنّة، وإن أنت لم تردها عوضك الله منها النار، فقام الرجل فردها إلى موضعها الذي أخذها منه فحولها الله حصاة كما كانت، قال بعض الناس: كان هذا ميثم التمّار، وقال بعضهم: عمرو بن الحمق)[1].

رابعاً- (وعن قتيبة بن الجهم، قال: لما دخل علي عليه السلام إلى بلاد صفّين، نزل بقرية يُقال لها صندودا، فعبر عنها وعرج بنا في موضع أرض بلقع، فقال له مالك

(١) مختصر بصائر الدرجات – الحسن بن سليمان الحلي – ص ١١٧-١١٩.

بن الحارث الأشتر: نزلت على غير ماء، قال: إنَّ الله تعالى يُسقينا في هذا الموضع ماءً أصفى من الياقوت وأبرد من الثلج، فتعجبنا - ولا عجب من قول أمير المؤمنين عليه السلام - فوقف على أرض، فقال: يا مالك احتفر أنت وأصحابك، فاحتفرنا، فإذا نحن بصخرة سوداء عظيمة فيها حلقة تبرق كاللُجين، فلم نستطع أن نُزيلها، فقال علي عليه السلام: اللهم إنّي أسألك أن تمدني بحسن المعونة، وتكلم بكلام حسبناه سريانياً، ثُمَّ أخذها فرمى بها، فظهر لنا ماء عذب، فشربنا منه وسقينا دوابنا، ثُمَّ ردّ الصخرة، وأمرنا أن نحثو عليها التراب، فلما سرنا غير بعيد، قال عليه السلام: مَنْ يعرف منكم موضع العين؟ قلنا: كلنا نعرف، فرجعنا، فخفي علينا أشدّ خفاء، فإذا نحن بصومعة راهب، فدنونا منها ومنه، فقلنا: هل عندك ماء، فسقانا ماءً مراً جشباً، فقلنا له: لو شرِبت من الماء الذي سقانا منه صاحبنا من عين ههنا، قال: صاحبكم نبيّ؟ قلنا: وصيّ نبيّ، فانطلق معنا إلى علي عليه السلام، فلما بصر بهِ أمير المؤمنين عليه السلام قال: أنت شمعون؟ قال: نعم، هذا اسم سمتني بهِ أُمي ما اطلع عليه أحد إلاّ الله، ثُمَّ قال: ما اسم هذه العين؟ قال عليه السلام: عين (راحوما) من الجنّة، شرِب منها ثلاثمائة نبيّ وثلاثمائة وصيّ وأنا خير الوصيين شرِبت منها، قال الراهب: هكذا وجدت في جميع الكتب، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنّك وصيّ محمد، ثُمَّ قال علي عليه السلام: والله لو أنّ رجلاً منّا قام على جسر ثُمَّ عُرِضت عليه هذه الأُمة لحدثهم بأسمائهم وأنسابهم)[1].

خامساً- (حدثنا العباس بن الفضل، عن...عن عمّار الساباطي، قال: قدِمَ أمير المؤمنين عليه السلام المدائن، فنزل بإيوان كسرى، وكان معه دلف [ابن] منجم كسرى، فلما صلى الزوال قام [و] قال لدلف: قُم معي، وكان معه جماعة من [أهل] ساباط،

(١) مختصر بصائر الدرجات – الحسن بن سليمان الحلي – ص ١١٩-١٢٠.

فما زال يطوف في مساكن كسرى ويقول لدلف: كان لكسرى [في] هذا المكان كذا وكذا، فيقول دلف: هو والله كذلك، فما زال على ذلك حتى طاف المواضع بجميع من كانوا معه ودلف يقول: يا سيدي كأنّك وضعت [هذه] الأشياء في هذه الأمكنة!! ثُمَّ نظر صلوات الله عليه إلى جمجمة نخرة، فقال لبعض أصحابه: خُذ هذه الجُمجُمة، وكانت مطروحة، وجاء عليه السلام إلى الإيوان وجلس فيه، ودعا بطست، وصبّ فيه ماءً، فقال له: دع هذه الجُمجُمة في الطست، ثُمَّ قال: أقسمت عليكِ يا جُمجُمة، أخبريني مَنْ أنا؟ ومَنْ أنت؟ فنطقت الجُمجُمة بلسان فصيح فقالت: أما أنت، فأمير المؤمنين، وسيد الوصيين، وإمام المتقين في الظاهر والباطن وأعظم من أن توصف، وأما أنا فعبد الله وابن أمة الله كسرى أنو شيروان، فانصرف القوم الذين كانوا معه من أهل ساباط إلى أهليهم وأخبروهم بما كان وبما سمعوه من الجُمجُمة، فاضطربوا واختلفوا في معنى أمير المؤمنين عليه السلام، فحضروه، فقال بعضهم: قد أفسد هؤلاء قلوبنا بما أخبرونا عنك... الخ)[1].

سادساً- (وردَ عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أنّه قال: والله ما قلعت باب خيبر وقذفت بهِ أربعين ذراعاً لم تحس بهِ أعضائي، بقوة جسدية ولا حركة غذائية، ولكن أُيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مُضيئة، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء)[2].

سابعاً- (علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن... عن محمد بن فلان الواقفي قال: كان ليّ ابن عم يُقال له: الحسن بن عبد الله، كان زاهداً وكان من أعبد أهل زمانه وكان يتقيه السلطان لجده في الدين واجتهاده، وربما استقبل السلطان بكلام صعب

(١) نوادر المعجزات – محمد بن جرير الطبري (الشيعي) – ص ٢١.

(٢) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى - محمد بن علي الطبري ص ٢٩٤.

يعضه ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، وكان السلطان يحتمله لصلاحه، ولم تزل هذه حالته حتى كان يوم من الأيام إذ دخل عليه أبو الحسن موسى عليه السلام وهو في المسجد، فرآه فأومأ إليه، فأتاه، فقال له: يا أبا علي، ما أحب إليّ ما أنت فيه وأسرني إلاّ أنّه ليست لك معرفة، فاطلب المعرفة قال: جُعلت فداك، وما المعرفة؟ قال: اذهب فتفقه واطلب الحديث، قال: عمّن؟ قال: عن فقهاء أهل المدينة، ثُمَّ اعرض عليّ الحديث، فذهب، فكتب ثم جاء فقرأه عليه فأسقطه كله، ثم قال له: اذهب فاعرف المعرفة، وكان الرجل معنياً بدينه، فلم يزل يترصد أبا الحسن عليه السلام حتى خرج إلى ضيعة له، فلقيه في الطريق فقال له: جُعلت فداك، إنّي أحتج عليك بين يدي الله، فدلني على المعرفة، قال: فأخبره بأمير المؤمنين عليه السلام وما كان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بأمر الرجلين، فقبِلَ منه، ثم قال له: فمن كان بعد أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: الحسن عليه السلام ثم الحُسين عليه السلام، حتى انتهى إلى نفسه ثم سكت، قال: فقال له: جُعلت فداك، فمَنْ هو اليوم؟ قال: إنْ أخبرتُك تقبل؟ قال: بلى جُعلت فداك؟ قال: أنا هو، قال: فشيء أستدل بهِ؟ قال: أذهب إلى تلك الشجرة - وأشار [بيده] إلى أُم غيلان - فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: أقبلي، قال: فأتيتها فرأيتها والله تخد الأرض خداً حتى وقفت بين يديه، ثم أشار إليها فرجعت، قال: فأقر بهِ ثم لزم الصمت والعبادة، فكان لا يراه أحد يتكلم بعد ذلك)[1].

ثامناً - (ابن شهر آشوب، قال: في رواية: إنّ الرشيد أمرَ حميد بن مهران الحاجب بالاستخفاف بهِ - أيّ بالإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، فقال له: إنّ القوم قد افتتنوا بكَ بلا حُجة، فأُريد أن يأكلني هذان الأسدان المصوران على هذا المسند، فأشار عليه السلام إليهما وقال: خذا عدو الله، فأخذاه وأكلاه، ثُمَّ قالا: وما

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ١/٣٥٣.

الأمر؟ نأخذ الرشيد؟ فقال: لا، عودا إلى مكانكما)[1].

والروايات بهذا الشأن كثيرة، نكتفي بهذا المقدار منها.

وقد أوردَ أحد الفضلاء ملاحظة على بعض هذه الفقرات قائلاً:

(لقد تحقق ما ذكرتم في الفقرات - ثالثاً ورابعاً وخامساً وسابعاً - بعلم مُسبق من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطلب من الناس ودعاء من الإمام عليه السلام فلماذا تقبله من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم دون مقتضٍ أو مؤثر، وتشكل عليه في باقي الأنبياء عليهم السلام كمائدة عيسى عليه السلام مثلاً، لقد امتدح الله القوم الذين: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (البقرة: من الآية ٤)، وكذلك: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة: من الآية ٢٨٥)، انتهى.

وجوابنا عنها هو:

١. الظاهر من قول أحد الفضلاء في هذه الملاحظة: أنّ الأمر قد التبس عليه، فلو عاد إلى العنوان لوجد أنّ نصه كان: (الأدلة الروائية التي تُثبت قيامه صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام بالمعجزات من أنفسهم بعد الإذن الإلهي).

وقصدنا من ذلك: أنّهم بإمكانهم ويستطيعون الإتيان بالمعجزة أو الكرامة أو الخارق للعادة بموجب مقتضٍ أو مؤثر في نفوسهم الشريفة، والذي احتملنا انحصاره بهم دون غيرهم من الأنبياء والأوصياء السابقين لهم، للأسباب التي ذكرناها في محلها، ولم يكن قصدنا أنّهم يقومون بذلك (دون مقتضٍ أو مؤثر) كما تصوّر الأخ، حتى يُقال: نقبله منهم ونُشكل عليه في باقي الأنبياء عليهم السلام.

(١) من المبدأ إلى المعاد في حوار بين طالبين - الشيخ المنتظري ص ٢٤٢ -٢٤٣، ومدينة المعاجز - السيد هاشم البحراني ٦/٤١١ و بحار الأنوار - الشيخ المجلسي ٤٨/٤١، وغيرهما وبألفاظ مختلفة.

٢. لا يُزكي الأنفس إلاّ الله سبحانه، إلاّ أنّنا - وحسب اعتقادنا - ممن يؤمن بما أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أُنزل من قبله، كما نؤمن بالله وكتبه ورسله ولا نفرق بين أحدٍ من رسله، ونسأل الله بحق محمد وآله الطاهرين أن يجعل اعتقادنا هذا صحيحاً وحقّاً، وأن يتقبله منّا.

ولكن، ما الحيلة وأنّنا لم نجد في الأخبار والروايات ما يدل على اشتراك الأنبياء والأوصياء السابقين للخاتم وأوصيائه بمثل تلك المعاجز والكرامات التي تحصل نتيجة مبادئ نفسانية، أو بمقتضٍ مؤثر في نفوسهم الشريفة؟ وهل يجوز أو يحق لنا إشراكهم فيها دون دليل؟.

كما أنّ الله تعالى فضَّلَ بين رُسله وأنبيائه، وأقرَّ هذا التفضيل بينهم في كتابه المجيد بقوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٣)، وقد أجمع المسلمون على كون الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أفضلهم وأشرفهم، فما المانع أن يُميّزه عنهم بأمور تستلزمها استمرارية رسالته الخاتمة، واحتمالنا المنوّه عنه من هذا الباب ليس إلاّ.

٣. أما مائدة عيسى عليه السلام فقد قلنا عنها في ما مرَّ من البحث: إنّها لم تكن نتيجة مقتضي في نفس عيسى عليه السلام، وإنّما كانت بطلب من الحواريين، وكان عيسى عليه السلام مُخالفاً لذلك الطلب ورافضاً له وغير راضٍ عنه، كما هو الواضح من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ١١٢).

ومن كل ما مرّ علينا، يُمكننا أن نستنتج حقائق كثيرة: -

منها - إنَّ جميع الأنبياء والرسل والأوصياء السابقين - زماناً في نشأة الدنيا -

للخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه، لم تتوفر لهم تلك الصفات والميزات التي استحقها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعترته المعصومون عليهم السلام بعد اجتياز الإشهاد والإقرارات في نشأة عالم الذرّ، والابتلاءات والامتحانات المترتبة عليهم في نشأة الدنيا، وقبولهم بها، لأنّها من ضمن رضا الله، و(رضا الله رضانا أهل البيت)، ولم يدعيها أحد منهم أبداً. والله أعلم.

وقد أوردَ أحد الفضلاء ملاحظة على هذه الفقرة، هذا نصها: -

(المقارنة بين الأنبياء عليهم السلام وتفضيل الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وهو الحق، لكنّه خارج عن دائرة البحث، وإن قلتم: إنّ المعجزات تتناسب طردياً مع الأفضلية، فلا نرى هناك مُلازمة بذلك، وإلاّ لكان آصف ابن برخيا أفضل من سليمان عليه السلام...

وإن رضا الله هو رضا جميع الأنبياء عليهم السلام بداهة وليس بحاجة إلى تصريح، والعبارة التي ذكرتها (رضا الله رضانا أهل البيت) لم يُصرح بها النبيّ أو أحد المعصومين سوى الحُسين عليه السلام مروراً أثناء خطبة ألقاها ردّاً على معترض له على خروجه لأنّ الأمر مفروغ منه وإلاّ كيف تُفسر ترك إبراهيم عليه السلام لزوجته النُفساء ووليدها (بواد غير ذي زرع..) دون حماية ولا زاد، أم كيف تُفسر ذبحه لفلذة كبده بيده وكذلك رضا إسماعيل بالذبح، أليس كل ذلك رضاً برضا الربّ وتسليماً لأمره؟

وجوابنا عنها:

إنّ ما ذكرناه من صفات ومميزات للخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام كان لبيان سبب اختصاصهم القيام بالمعاجز والكرامات نتيجة مقتضٍ، أو مبدأ مؤثر في نفوسهم الشريفة، فالملازمة ضرورية لبيان ذلك، فلو اكتفينا بالقول: إنّ الأمر

ليس متوفراً لجميع الأنبياء والأوصياء، وأنّه من مُختصات محمد وآله عليهم السلام فقط وسكتنا، لقيل لنا: ما الدليل، وما هي الأسباب لهذا الاختصاص؟

وليست المسألة (أنّ المعاجز تتناسب طردياً مع الأفضلية) وإنّما بيّنا هناك: أنّ الخاتم وأُوصياءه توفرت لهم تلك الصفات والمميزات بعد اجتيازهم إشهاد وإقرار عالم الذرّ بنجاح وتفوق، وأخذوا منها بقدرهم واستيعابهم، ولم يتوفر مثل ذلك لبقية الأنبياء والأوصياء، فكل أخذ حظه واستحقاقه من الوجود وكماله.

أما آصف بن برخيا، فهو وصيّ سليمان عليه السلام، ومن المعلوم أنّ الوصيّ يأخذ علومه من النبيّ الذي هو وصيّ لهُ، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام وهو خاتم الأوصياء وأفضلهم وأشرفهم، يُخبرنا بأنّه أخذ علومه من خاتم الأنبياء بقوله: (علمني.. أو زقني رسول الله ألف باب... الخ الحديث) فكل ما يأتي من معاجز أو كرامات أو خارق للعادة من الأوصياء هو من تعليم الأنبياء، وبالتالي يُمكن نسبة ما يقوم بهِ الأوصياء إلى الأنبياء، وقد مرَّ علينا في الروايات أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان وقبل أن يُنفذ ما يُطلب منه يُبيّن للناس: إنّ ما سيقوم بهِ هو نتيجة علم، علمه الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأودعه النبيّ عنده، فكيف يكون آصف بن برخيا أفضل من سليمان عليه السلام وهو الذي سخر الله تعالى له كثير من الأمور الإعجازية والخارقة للعادة، إذ جعل الريح طوع أمره، ويُكلم الطير، ويعرف لغة النمل، واستخدام الجن والشياطين، وغير ذلك من المعاجز الإلهية.

أما عن رضا الله، وأنّه هو رضا جميع الأنبياء عليهم السلام، فنقول: نعم، إنّ رضا الله هو رضا جميع الأنبياء، وهو حقٌ، ولم نُنكره، ولم نقصده، وقد يكون هناك التباس عن قولنا في نهاية الفقرة الأولى من الاستنتاج حيث قلنا: ولم يدعيها أحد منهم

أبداً فالمقصود بذلك تلك الصفات والميزات التي حصل عليها الخاتم وآله عليهم السلام في عالم الذرّ، ولا علاقة لها برضا الله سبحانه.

أما كون قول: (رضا الله رضانا أهل البيت) بأنّه لم يُصرح بهِ النبي أو أحد المعصومين سوى الحُسين عليه السلام فهذا لا ينفي عدم ثبوته عنهم عليهم السلام فقولهم واحد، بدليل: -

(عن... عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الحديث أسمعهُ منك، أرويه عن أبيك؟ أو أسمعه من أبيك، أرويه عنك؟ قال: سواء، إلاّ أنّك ترويه عن أبي أحبَّ إليَّ)[١]

(عن حفص بن البختري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: نسمع الحديث منك، فلا أدري منك سماعه، أو من أبيك؟ فقال: ما سمعته مني فاروه عن أبي، وما سمعته فاروه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[٢].

إضافة إلى ذلك، فإنّ هذا القول مروي عن الزهراء (عليها السلام): في حديث طويل بين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبين بضعته فاطمة عليها السلام كان يُخبرها فيه بما يجري عليهم من بعده، فبكت، فأمرها بالصبر... فقالت: سمعاً وطاعة يا أبتاه... تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلاّ ما يُرضي الربّ، فرضا الله رضانا أهل البيت)[٣].

كما يُمكن إضافة قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن ابنته فاطمة الزهراء: (يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها) إلى ما تقدم، فالقول المذكور إذن ثابت عنهم عليهم السلام وإن صدر من واحدٍ منهم فقط.

---

(١) الكافي – الشيخ الكُليني ١/٥١.

(٢) المُهذب – القاضي ابن البراج ١/٢٠.

(٣) ذكره العاملي في الانتصار ٧/١١٥، وذكره الشيخ علي الكوراني في – جواهر التاريخ ١/١١٥.

وهنا اعترض أحد الفضلاء قائلاً: سبحان الله: هل نفيت ذلك أنا حتى تردَّ عليَّ هكذا؟.

فأجبناه: إنّ قولكم: (لم يُصرح بهِ النبي أو أحد المعصومين سوى الحُسين عليه السلام يتبادر منه إلى ذهن القارئ أو السامع بأنّه قول غير مؤكد، أو فيه نظر، وإلاّ لما أوردتموه، وردّنا كان للتوضيح، ولم نقصد بهِ أنّكم تنفون ثبوته.

ومنها - لّما كان نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مُرسَلاً للناس كافة، وأنّه رحمة للعالمين، وأنّه خاتم النبيين، وأنَّ معنى الخاتمية: (هو الذي ختم مراتب الكمال كلها) كما يقول العلماء، فمَنْ تكون رسالته كذلك، فلا بُدّ أنْ تكون نفسه أرفع من جميع النفوس، لأنَّ (المُرسَل إلى قومه يُعطى من كنوز التوحيد وجواهر المعرفة على قدر ما حُمّل من الرسالة، فيُعطى من الكنوز الروحانية بقدر ذلك الموضع، أما المُرسَل إلى كل أهل الشرق والغرب - إنسهم وجنهم -، فلابُدّ من أنْ يُعطى من المعرفة بقدر ما يُمكنه من أنْ يقوم بسعيه بأمورهم، فنسبة نبوته ورسالته لغيره كنسبة كل المشارق والمغارب إلى نسبة بعض البلاد المخصوصة)[1].

وهذا أمر لم يتوفر للأنبياء والرسل والأوصياء السابقين للخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّما أختصه الله تعالى بهِ وبأوصيائه فقط، لأنَّ رسالته هي الخاتمة ومستمرة، فلابُدَّ من توفير تلك الأسباب وغيرها له صلى الله عليه وآله وسلم ولأوصيائه من بعده ليتمكنوا من حفظ الرسالة الخاتمة وإدامتها وضمان استمراريتها إلى كمالها ونهايتها. والله أعلم.

وعلى هذه الفقرة، أوردَ أحد الفضلاء ملاحظة، هذا نصها: (كل رسالات أُولي العزم عليهم السلام عالمية).

(١) الرازي في تفسيره ٤٣٢/٣.

وجوابنا عنها:

نُسلّم مع الأخ، أنّ (كل رسالات أُولي العزم عليهم السلام عالمية)، ولكن علينا أن نُفرق بينها وبين الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات وتحتويها، بل ومُهيمنة عليها، وأنّها مُستمرة إلى يوم الفصل الأكبر، فرسالة بهذه الضخامة والسعة، وعظمة المهام، لابدَّ أن تكون مُميّزة عن غيرها، ولابدَّ لحاملها أن يكون مُميّزاً عن غيره بكثير من الأمور:

ومنها - لم يثبت في الروايات، أنَّ نبياً أو رسولاً أو وصيّاً من السابقين للخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه جرت أو حدثت على يديه آية أو معجزة أو كرامة، بإشارة منه بطرفه إلى السماء، أو تكلمت الحيوانات أو الجمادات أو النباتات، معهم أو الشهادة لهم بالنبوّة أو الوصاية، أو انقلاب الحصى والتراب إلى درّ وجواهر وياقوت وذهب عندما يُريدون ذلك ويأمرون بهِ، أو أراءة عوالم ما وراء الطبيعة (البرزخ، والجنّة والنار، وما فيها) لمن طلب منهم ذلك، أو معرفتهم بخزائن الأرض ومصادر المياه العذبة فيها، كما لم يثبت لهم أنّهم أحدثوا آية أو معجزة أو كرامة، بمجرد التمتمة بكلمات فيحدث ما يُريدون؟

وقد توفر كل ذلك لأول وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم ولأول وخاتم الأوصياء أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام، وكما تبيّن لنا في الروايات آنفة الذكر.

وفي اعتقادنا، أنَّ تلك التمتمة بالكلمات أو الدعوات التي تصدر من النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أو من أحد أوصيائه المعصومين عليهم السلام والتي لا يعرفها السامع لها، ما هي إلاّ من الأسرار الإلهية بين الله تبارك وتعالى وبينهم، والتي من خلالها يطلبون الإذن الإلهي لإحداث ما يُريدون، وإيجاد القانون البديل عن القانون الطبيعي لتلك الحالة، والذي هو - أيّ القانون البديل - معروف ومعلوم لديهم،

بتعليم إلهي مُسبق عن طريق تلك العلوم والمعارف المتنوعة - المذكورة سابقاً - ومنها، امتلاكهم اثنين وسبعين حرفاً من حروف الاسم الأعظم، المتكوّن من ثلاثة وسبعين حرفاً، حيث استأثر الله سبحانه بحرف منها لذاته المقدسة.

ولذلك قال العلماء والمفسرون: إنَّ الآيات والمعجزات والكرامات - سوى القرآن - التي حدثت على يديّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم في حياته كثيرة جداً، إذ قال بعضهم: إنّها (ثلاثة آلاف) مثل (إطعام الجمع الكثير بالطعام القليل، وكذلك إروائهم الماء، وحنين الجذع الذي كان يستند إليه إذا خطب لّما تحول إلى المنبر، فلما جاء إليه والتزمه سكن، وتسبيح الحصى في كفّه، وكلام الذراع وقولها له: لا تأكلني فإنّي مسمومة، ومنها: أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لما استسقى لقومه فجاء المطر، فشكوا إليه هدم المنازل، فقال: حوالينا ولا علينا) وأشار إلى السحاب فصار كالإكليل حول المدينة والشمس طالعة في المدينة، ومنها: انشقاق القمر، وقد نطق القرآن بهِ، وشكوى البعير، والعلوم والأخبار بالمغيبات، كقوله لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: ((تُقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين)) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: (إنّك تقتل ذا الثدية، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمّار: (تقتلك الفئة الباغية)، وفضائله الشخصية، وشرف نسبه، وخُلُقه، وحلمه، وفصاحته، وشمائله) وغير ذلك من الآيات الباهرات التي هي معروفة ومذكورة في مصادر المسلمين)[1].

أما الآيات والمعجزات والكرامات التي حدثت، وتحدث بعد مماته صلى الله عليه وآله وسلم بواسطته فهي كثيرة أيضاً، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

عرض أعمال أُمته عليه بأوقات مُعيّنة.

رده السلام على مَنْ يُسلم عليه من القرب أو البعد.

(١) الاقتصاد - الشيخ الطوسي – ص ١٨١ باختصار وتصرف وإضافات من مصادر أُخرى.

فرحه وسروره بأعمال أُمته الصالحة، وحُزنه من الطالح منها.

استغفاره من ربه لمن طلب منه ذلك مُخلصاً.

شفاعته إلى الله تعالى في قضاء حوائج أُمته المختلفة لمن طلب منه ذلك، وغيرها.

وكل ذلك ينسحب بالضرورة على حال أوصيائهِ المعصومين عليهم السلام في حياتهم وبعد مماتهم، لكونهم الامتداد الطبيعي لرسالته، وحفظتها، ويتمتعون بنفس مؤهلاته صلى الله عليه وآله وسلم عدا النبوّة. والله أعلم.

وقد أوردَ أحد الفضلاء ملاحظتين على هذه الفقرة، هما: -

الأولى - قال فيها: (إنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو نبينا، وعترته عليهم السلام أئمتنا، لذلك لدينا عنهم رصيدٌ روائيٌ ضخمٌ، بينما باقي الأنبياء عليهم السلام لا نملك عنهم سوى ما ورد في القرآن، وحتى قصص الأنبياء هي مأخوذة منه، وما وردَ في القرآن لمحات بما في ذلك الخاتمَ صلى الله عليه وآله وسلم، فهل لكَ أن تخبرنا عن معجزات الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن سوى شق القمر.. لذلك تُعتبر المُقارنة غير عادلة، بل غير منطقية، لأنَّ الجهل بالشيء لا يعني عدمه...

وجوابنا عنها:

لا نوافق أحد الفضلاء عن قوله: بأنّنا لا نملك عن الأنبياء السابقين سوى ما وردَ في القرآن، وأنّ حتى قصصهم مأخوذة منه... الخ)، إذ إنّ الموروث الديني وكُتب السيّر والتاريخ مليئة وتعج بأخبار الأنبياء والأوصياء، ولولاها لما عرفنا تفاصيل كيف رفع الله إدريس عليه السلام إلى السماء الفلانية، وكم استمر نوح في صنع السفينة، وكيفية ختم التنور، ولا عرفنا ما جرى بين صالح عليه السلام وبين قومه، ولا ما جرى بين إبراهيم عليه السلام وبين جبرائيل عليه السلام عند قذفه إلى النار، وما جرى بينه

وبين طاغية زمانه، وكيف كسّرَ أصنامهم، ومن علمهم صنع المنجنيق، ولما عرفنا أحوال قوم لوط عليه السلام، ولماذا تركوا النساء ومارسوا اللواط، ولا كيفية هلاكهم، ولما عرفنا تفاصيل تسخير الجبال والطير لداود، ولا كيفية تسبيحها معه، ولا ما قيل عن مُلك سليمان عليه السلام وبساطه وجيوشه، ونقل عرش بلقيس ومَنْ الذي أتى بهِ، ولا ما قيل عن كيفية إبراء الأكمه والأبرص والمرضى وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام، ولا ما قيل عن أصحاب الكهف، وفي أيّ زمان كانوا، وكيفية هروبهم، ولا ما قيل عن أصحاب الفيل، وكيفية مسيرهم ثم هلاكهم وماذا كانت تحمل طير الأبابيل بأرجلِها.. و.. و... الخ.

فكل ذلك لم يُذكر في القرآن، وإنّما ذُكر ووردَ في مصادر المسلمين، فلو أنّ نبيّاً أو وصيّاً من السابقين للخاتم صلى الله عليه وآله وسلم جرت أو حصلت لهُ مُعجزة أو كرامة بإشارة طرفه، أو تكلمت الحيوانات أو الجمادات وغيرها معهم أو شهدت لهم بالنبوّة والوصاية، كما حصل للخاتم وأوصيائه عليهم السلام لما توانت تلك المصادر عن ذكرها أبداً، ولكنّ شيء من هذا لم يحصل لهم فلم يُذكر، فأين (غير العدالة، وغير المنطقية) في كلامنا.

الثانية - قال فيها: (تقول: إنّ التمتمة أسرارٌ إلهية خاصة بهم - لماذا لا تكون نفس الكلمات التي كان يقولها النبيون السابقون وبنفس لغاتهم؟ خصوصاً لدينا الكثير من الأدعية منسوبة إلى بعض الأنبياء عليهم السلام كدعاء داود ودعاء أيوب ودعاء الخضر الذي هو دعاء كميل، ولو قرأت دعاء السمات لرأيت جميع مضامينه تخص السابق منهم عليهم السلام) انتهت.

وجوابنا عنها: إذا كانت تلك (التمتمة) نفس الكلمات التي كان يقولها النبيون

السابقون، فلماذا لم تُعطِ ثمارها، ولم نرَ آثارها التي كانت تحصل للخاتم وآله عليهم السلام في حينه؟ ثُمَّ لا ننسى: أنّ الخاتم وآله عليهم السلام أعلم من جميع الأنبياء والأوصياء والمخلوقات جميعاً، ولا يحتاجون لمن يُعلمهم مُطلقاً. والله أعلم.

وعلق الأخ على أجابتنا هذه قائلاً:

(مَنْ يعرفها غير المعصومين حتى نقول إنّها لم تُعطِ ثمارها، هل جرّبها أحد غيرهم وعلِمَ أنّها لا تنفع، ألاّ ينفع دعاء كُميل اليوم والسمات وغيره؟ ولماذا يحثوّن الأُمّة على قراءتها؟

وجوابنا على هذه التعليقة:

لم نقل في جوابنا: أنّها لا تنفع، بل قلنا: لم تُعطِ ثمارها كما كان يحصل من معاجز أو كرامات بعد التمتمة بها من قبل الخاتم وآله؟ إذ لم يُذكر مثل ذلك في التُراث؟ هذا إذا كان افتراضكم صحيحاً بأنّ تلك الكلمات (التمتمة) هي جزء من أدعيّة الأنبياء السابقين، أما إذا لم يكن كذلك، فالفرق واضح. والله أعلم.



الفصل الثالث

مصدر السحر، وكيف وضع في الأرض؟ وكيف تعلمه إبليس، وكيف عَلَّمَهُ للناس؟

بعد التعرف على معنى المعاجز، وبيان أقسامها، وتصنيف معاجز الأنبياء حسب أقسامها الثلاثة، نتعرض في هذا الفصل إلى السحر، ولكن، قبل بدء الدخول في بيان السحر وأنواعه، وطرقه وكل ما يتعلق بهِ، والسحرة وأصنافهم وأحوالهم، وكل ما يتعلق بهم، لا بُدّ من بيان أمور مهمة لها علاقة مُباشرة بالموضوع، وهي مُقتبسة من آراء العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان، نُلخصها هُنا على شكل نُقاط لتسهيل فهمها، وباختصار وتصرف، وهي: -

(إنَّ قضية السحر والسحرة المنتشرة في أغلب تفاسير المفسرين، مُستندة إلى قصة أو قصتين معروفتين تتعرضان إلى أمر سليمان النبيّ عليه السلام والمَلَكين ببابل هاروت وماروت، وهما يهوديتا المنشأ، والقرآن المجيد يُخبرنا بأنّ اليهود أهل تحريف وتغيير في المعارف والحقائق بما يُناسب منافعهم، فهم والحال هذه، لا يُمكن الاطمئنان لما ورد عنهم في تلكما القصتين اللتين زعموا فيهما: أنّ سليمان عليه السلام إنّما مَلَكَ المُلك وسخر الجنّ والإنس والوحش والطير، وأتى بغرائب الأمور وخوارقها بالسحر الذي هو بعض ما في أيديهم، وينسبون بعضه الآخر إلى المَلَكَين ببابل هاروت وماروت...

ردّ القرآن عليهم وكذّبَ مُدّعاهم، وأخبر بأنّ سليمان عليه السلام لم يكن يعمل السحر، كيف والسحر كُفر بالله وتصرف في الكون على خلاف ما وضع الله العادة

عليه، وأظهره على خيال الموجودات الحيّة وحواسها؟... وبذلك نزهه من الكُفر لأنّه نبيّ معصوم...

كان واجب المَلَكَين ببابل (هاروت وماروت) هو الكشف عن ماهية السحر، وتعليم الناس كيفية معرفته، والتفريق بينه وبين المعجزة الإلهية...

الظاهر أنّ اليهود كان لهم تسرب دقيق ونفوذ عميق بين أصحاب الحديث (المسلمين) في الصدر الأول، فقد لعِبوا في رواياتهم بكل ما شاءوا من الدسّ والخلط، وأعانهم على ذلك قوم آخرون... لكنّ الله حفظ كتابه من هوساتهم...

إنّ كل خلط ودسّ يدفعه القرآن، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فاتركوه)، فهو ميزان لا يحيف، وقال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال: ٨)، ولا معنى لإحقاق الحق ولا إبطال الباطل إلاّ إظهار صفتهما...

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: من الآية٧)، ومعناه: أنّ قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حُجة على مَنْ كان في عصره أو الموجودين بعد ارتحاله من الدنيا، ولولا ذلك لما استقر من الدين حجر على حجر...

نظراً لكثرة وقوع الدسّ والخلط في المعارف المنقولة الدينية، فليس ببدع يختص بالدين، فالدسّ والخلط فيه أزيد من قبل أيدي السياسات الكلية والجزئية بِهِ ألعب؟...

إنّ الفطرة الإنسانية توجب عدم تصديق كل ما يقرع السمع من الأخبار المنقولة، بل علينا أن نزنها بالميزان الحق، فإن وافقته قبلناها، وإن خالفته وكذبها طرحناها، وإن لم يتميّز حقه من باطله وصدقه من كذبه توقفنا فيه من غير قبول ولا ردّ، هذا كله إذا كُنّا أصحاب خبرة بهذا الشأن، وأما ما لا خبرة للإنسان فيه، فعلينا

الرجوع بذلك إلى أهل خبرته والأخذ منهم... الخ)[١].

وفي بحث له (فلسفي) يقول: من المعلوم وقوع أفعال خارقة للعادة للمشاهدة والنقل، فقلما يوجد منّا من لم يُشاهد شيئاً من خوارق الأفعال، أو لم يُنقل إليه شيء من ذلك - قليلاً أو كثيراً - إلاّ أنّ البحث الدقيق في كثير منها يُبيّن رجوعها إلى الأسباب الطبيعية العادية، مثل: -

- أكل السموم، حمل الأثقال، المشي على حبل ممدود في الهواء فهذه تتكئ على أسباب طبيعية عادية.

- الدخول في النار وعدم الاحتراق بها من جهة طلاية (الطلق) ببدنه...

كتابة كتاب لا يُرى ما مكتوب فيه، ولا يقرأه إلاّ صاحبه، كُتب بمائع لا يظهر إلاّ إذا عُرض الكتاب على النار...

- كثير منها يحصل بحركات سريعة تخفى على الحسّ لسرعتها، فلا يرى الحسّ إلاّ أنّه وقع من غير سبب طبيعي، كالخوارق التي يأتي بها أصحاب الشعبذة...

فهذه كلها مستندة إلى أسباب عادية مخفية على حسّنا، أو غير مقدورة لنا.. الخ)[٢].

وهناك بعض الخوارق لا تحال إلى الأسباب الطبيعية الجارية على العادة، مثل: -

(الإخبار ببعض المغيبات خصوصاً ما يقع في المستقبل / أعمال الحُبّ والبغض / والعقد والحل / والتنويم والتمريض وعقد النوم / والإحضار والتحريكات بالإرادة... الخ، مما يقع من أرباب الرياضات، وهي أمور غير قابلة للإنكار، وهي مستندة إلى قوة الإرادة والإيمان بالتأثير على تشتت أنواعها، فالإرادة تابعة للعلم والإذعان السابق عليه... مثل

---

(١) جميع النقاط من تفسير الميزان – العلامة الطباطبائي ١/٢٣٨-٢٤٠، باختصار وتصرف.

(٢) المصدر السابق نفسه والصفحات.

(كتابة شيء خاص، بمداد خاص في مكان خاص) لبعض أعمال الحُبّ والبغض...

إنّ الملاك في التأثير تحقق العلم الجازم من صاحب خرق العادة، وأما مطابقة هذا العلم للخارج فغير لازم...)[1].

وفي بحث له (علمي) يُقسم فيه تلك العلوم الباحثة عن غرائب التأثير، وهي كثيرة، وذكر ما هو المعروف والمشهور منها، والتي تكوّن أوائل حروف أسمائها جملة (كله سرّ) وهي التي تُسمى (العلوم الخمسة الخفية) وهي: -

١. الكيمياء: وهو العلم الباحث عن كيفية تبديل صوّر العناصر بعضها إلى بعض.

٢. الليمياء: وهو العلم الباحث عن كيفية التأثيرات الإرادية باتصالها بالأرواح القويّة العالية، كالأرواح الموكلة بالكواكب والحوادث، وغير ذلك، بتسخيرها أو باتصالها واستمدادها من الجنّ بتسخيرهم، وهو فن التسخيرات.

٣. الهيمياء: وهو العلم الباحث عن تركيب قوى العالم العلوي مع العناصر السفلية، للحصول على عجائب التأثيرات، وهو الطلسمات، فإنّ للكواكب العلوية والأوضاع السماوية ارتباطات مع الحوادث المادية، كما أنّ العناصر والمركبات وكيفياتها الطبيعية كذلك، فلو رُكبت الأشكال السماوية المناسبة لحادثة من الحوادث، كموت فلان، وحيّاة فلان، وبقاء فلان مثلاً مع الصورة المادية المناسبة، أنتج ذلك الحصول على المُراد، وهذا معنى الطلسم.

٤. السيمياء: وهو العلم الباحث عن تمزيج القوى الإرادية مع القوى الخاصة المادية، للحصول على غرائب التصرف في الأمور الطبيعية، ومنه التصرف في الخيال المسمى (بسحر العيون) وهذا الفن من أصدق مصاديق السحر.

---

(١) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ١/ ٢٣٨- ٢٤٠.

٥. الريمياء: وهو العلم الباحث عن استخدام القوى المادية، للحصول على آثارها، بحيث يظهر للحسّ أنّها آثار خارقة بنحو من الأنحاء، وهو الشعبذة.

ومن العلوم المُلحقة بما مرّ: علم الأعداد والأوفاق، وهو الباحث عن ارتباطات الأعداد والحروف للمطالب، ووضع العدد أو الحروف المناسبة للمطلوب في جداول مثلثة أو مربعة أو غير ذلك، على ترتيب مخصوص.

ومنها أيضاً - الخافية -: وهو تكسير حروف المطلوب أو ما يناسب المطلوب من الأسماء واستخراج أسماء الملائكة أو الشياطين الموكلة بالمطلوب، والدعوة بالعزائم المؤلفة منها للنيل على المطلوب...

ومن الفنون المُلحقة بذلك: التنويم المغناطيسي، وإحضار الأرواح، وهما كما مرّ من تأثير الإرادة والتصرف في الخيال...الخ)[1].

وبعد ذلك نعود للتعرف على مصدر السحر، هل هو الله تعالى؟ أم إبليس والشياطين؟ أم غيرهم؟: -

قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٠٢).

و(ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا

(١) تفسير الميزان – العلامة الطباطبائي ١/٢٤١ – بتصرف واختصار.

الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ في حديث: (... فلما هلك سليمان وضع إبليس السحر وكتبه في كتاب ثُمَّ طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، مَنْ أراد كذا وكذا فليعمل كذا وكذا، ثُمَّ دفنه تحت سريره، ثُمَّ استثاره، فقرأه، فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلاّ بهذا، وقال المؤمنون: بل هو عبد الله ونبيّه، فقال الله جلَّ ذكره: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾[1].

ومن الآية والرواية نستنتج الآتي: -

يُقرر القرآن، أنّ السحر كفر بالله، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ (البقرة: من الآية١٠٢)، وهذا معناه: أنّ مَنْ يتعاطى السحر كافر ومغضوب عليه في الآخرة، وغضب الله تعالى لا يحصل إلاّ على من خالف أوامره وعصاه، وقد نزّه تعالى نبيّه سليمان عليه السلام من أن يُنسب إليه السحر، فكيف بذاته المقدسة، إذ قال تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ (أيّ، أنّ سليمان لم يسحر حتى يكفر، ولكنّ الشياطين كفروا بتعليمهم الناس السحر.. فسليمان عليه السلام أعلى كعباً وأقدس ساحة من أن يُنسب إليه السحر والكفر، وقد وصفه الله سبحانه: بأنّه كان عبداً صالحاً ونبياً مُرسلاً، آتاه العلم والحكمة ووهب له من الملك ما لا ينبغي لأحد من بعده، فلم يكن بساحر، بل هو من القصص الخرافية والأساطير التي وضعتها الشياطين.. الخ)[2].

أما الرواية عن المعصوم، وهو الإمام الباقر عليه السلام فهي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، فالإمام عليه السلام يُخبرنا: أنّه لما هلك سليمان وضع إبليس السحر وكتبه في كتاب ثم طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا

(١) تفسير القمي – علي بن إبراهيم القمي ١/٥٤ .

(٢) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ١/ ٢٣٢-٢٣٣. باختصار وتصرف.

للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، مَنْ أراد كذا وكذا، فليعمل كذا وكذا، ثم دفنه تحت سرير سليمان، ثم أخرجه لهم... الخ)

ومن ذلك يثبت: أنّ الله تبارك وتعالى، لم ينزل السحر، وإنّما كان من وضع إبليس اللعين، بدليل: -

إنّ السحر كفر، والله تعالى لا يرضى لعباده الكفر.

وأنّ أغلب السحر ضار، والله تعالى ينهى عن كل شيء ضار.

أنّه تعالى لم يرض أن يوصف نبيّ من أنبيائه بأنّه ساحر، فكيف يرضى ذلك لذاته المقدسة.

وهنا يردُ سؤال: كيف تعلم إبليس السحر، ومَنْ علمه ذلك؟ وكيف علمه إلى الناس؟

وفي جوابه نقول، والله المُستعان بالتوسل بمحمد وآله الطاهرين عليهم السلام: من المعلوم أنّ اللعين إبليس كان يعيش في السماء مع الملائكة، وكان محسوباً عليهم، وكان يعبد الله معهم، وبديهي أنّه وبحكم مكانه وقربه من مصادر العلوم الإلهية الكونية هناك، كان يطّلع على بعض تلك العلوم وأسبابها ومسبباتها ونتائجها، أو لا أقل يسمع عنها ويحفظها، لذا ورد في الرواية آنفة الذكر على لسانه: (مَنْ أراد كذا وكذا، فليعمل كذا وكذا...) مُشيراً إلى ارتباط الأسباب بالمسببات والعلل بالمعلولات.

وبعد أن طرده الله عزَّ وجلَّ من رحمته وقربه، بعد عصيانه أمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام، طلب الإمهال والنظرة، والإغواء والوسوسة والتزيين بين العباد، فنزل إلى الأرض وهو حاقد على آدم عليه السلام وذريته وكل ذلك منشأه الحسد له ولذريته، فوظف ما لديه من بعض العلوم التي اكتسبها من العالم العلوي في إضلال

الناس، بالإغواء مرة، وبالوسوسة أُخرى، وبالتزيين ثالثة، وكان من أهم تلك الأمور التي وضعها للإضلال هو (علم السحر والكهانة)، لأنّها تُخرج العاملين بها من ربقة الدين، ويُصبحون كفّاراً، وهو غاية ما يُريده ويطلبه إبليس ويتمناه.

فإبليس إذن، هو مصدر ضرر وشرّ (السحر والكهانة)، لوضعه علومهما وطرق تحصيلهما، ثُمَّ علّمها لشياطين الجنّ من قومه، وقام هؤلاء بنشرها بين شياطين الإنس، (فإليه ينتهي الشرّ كله، وانتشاره منه لعنه الله إلى أوليائه بالوحي والوسوسة)[1].

وقد أوردَ أحد الفضلاء على ما تقدم ملاحظة والتي نصها: -

(إذا كان إبليس لعنه الله قد جلب هذا العلم من مكان القُرب والتي سميتها العلوم الإلهية فإذن هي علوم سامية مصدرها هو الله وإنّما إبليس قام بنقلها فقط، وهذا مُخالف لما قدمتم من أنّه كُفر وهو من وضع إبليس كما في بداية هذه الصفحة) انتهت الملاحظة.

وجوابنا عنها: لقد أجبنا عن هذا التساؤل أو الملاحظة من خلال البحث الآتي، وأنّ الأخ أطلع عليه بدليل وجود تعليقة له بقلم الرصاص، سنرد عليها لاحقاً، فلا داعي للإعادة، فراجع.

وبتاريخ ٢٠١٢/٣/٢٤ م، وأثناء ردّنا على الملاحظة، وجدنا رواية لها علاقة بما نحن بصدده، ونرى من المُفيد ذكر بعضها هنا إتماماً للفائدة، وهي: -

(في حديث الزنديق الذي سأل الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: أفيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب والحمار أو غير ذلك؟ قال: هو أعجز من ذلك وأضعف من أن يُغيّر خلق الله سبحانه، إنّ مَنْ أبطل ما ركّبه الله تعالى وصوّره، فهو شريك الله تعالى في خلقه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لو قدِرَ الساحر

(١) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ١/ ٢٣٤.

على ما وصفت، لدفع عن نفسه الهرم والآفة والمرض، ونفى البياض عن رأسه والفقر عن ساحته، ثُمَّ سأله الزنديق فيما سأله، فقال: أخبرني عن السحر، ما أصله؟ وكيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه، وما يفعل؟ قال عليه السلام: إنّ السحر على وجوه شتى: وجه منها بمنزلة الطب، كما أنّ الأطباء وضعوا لكل داء دواء، فكذلك علم السحر، احتالوا لكل صحة آفة، ولكل عافية عاهة، ولكل معنى حيلة، ومنه نوع آخر: خطفة وسرعة ومخاريق وخفة، ونوع منه ما يأخذ أولياء الشياطين منهم، قال: من أين علم الشياطين السحر؟ قال: من حيث عرف الأطباء الطب، بعضه تجربة وبعضه علاج، قال: فما تقول في المَلَكين هاروت وماروت، وما يقول الناس بأنّهما يُعلمان السحر؟ فقال: إنّهما موضع ابتلاء، وموقف فتنة، تسبيحهما: (اليوم: لو فعل الإنسان كذا وكذا لكان كذا، ولو يعالج بكذا أو كذا، صار كذا)، فيتعلمون منهما ما يخرج عنهما، فيقولان لهم: إنّما نحن فتنة فلا تأخذوا عنّا ما يضركم ولا ينفعكم... إلى أن قال عليه السلام: وأنّ من أكبر السحر النميمة، يُفرق بها بين المتحابين ويجلب العداوة بين المتصافين، ويسفك بها الدماء وتهدم بها الدور، ويكشف بها الستور، والنمام أشد من وطأ على أرض بقدم... الخ الحديث)[1].

وهنا يرد سؤال آخر: إذا كان إبليس هو مَنْ وضع السحر، فما هو دور (المَلَكَين) ببابل (هاروت وماروت)، وماذا كانا يُعلمان الناس؟.

وعنه نقول: (لمّا كان السحر كثيراً ومنتشراً بين الناس على عهد مُلك سليمان عليه السلام بحيث أصبح من الصعب التمييز بينه وبين معاجز الأنبياء والرُسل، أهبط الله مَلَكَين من ملائكته، هما (هاروت وماروت) إلى الأرض في بابل، أهبطهما على

(١) الحدائق الناضرة – المحقق البحراني ١٨/١٧٢ - ١٧٤، والاحتجاج – الشيخ الطوسي ٣/٨١-٨٣ طبعة النجف الأشرف.

صورة الإنس لئلا ينفر الناس منهما إذا كانا على صورة الملائكة، وأنزل عليهما وصف السحر وماهيته، وكيفية الاحتيال فيه، ليعرفا ذلك ويعرفاه للناس فيجتنبوه، وحتى يُميّزوا بينه وبين معاجز الأنبياء، لأنَّ السحر علم له قوانينه وطرقه الخاصة - كما بيّنا سابقاً -، أما المعجزة الإلهية التي تأتي وتظهر على يد الأنبياء فهي شيء يختلف عن ذلك، لأنّها تحصل بقانون بديل عن القانون الطبيعي، ومخالفة للقوانين الطبيعية لجميع العلوم، ثُمَّ يُرفع هذا القانون البديل بعد تحصيل المطلوب، كما تُرفع آثاره من الطبيعة وكأنّه شيء لم يكن، وهذا من الأسرار الخفيّة بين الله تبارك وتعالى وبين بعض أنبيائه ورسله وأوصيائه، وهي غير معروفة من قبل الناس أو السحرة أبداً، لذا نجدهم يُسارعون بتصديقها والاعتراف بها حال حصولها، لعلمهم الثابت أنّها ليست من فنون السحر، وهذا ما حدث فعلاً مع سحرة فرعون، فهم لما رأوا عصا موسى عليه السلام تلقف إفكهم، علموا أنّ ذلك شيء فوق قدرات السحر، وأنّه أمر إلهي، فصدقوا وآمنوا.

وهنا أوردَ أحد الفضلاء الملاحظة الآتية: -

(لقد ذكرتم (في ص ٦٩) ما نصه: (إنّ الفطرة الإنسانية توجب عدم تصديق كل ما يطرق السمع من الأخبار المنقولة... الخ)، فكيف صدّقت رواية أنّ المَلَكين هاروت وماروت أُنزلا لكي يُعلما الناس السحر كي يجتنبوه.. فهل يُعقل أن أُعلِم المراهق كيف يصنع المخدر كي يجتنبه، أو أُعلِم الناس كيفية تزوير العملة كي يبتعدوا عنها؟ ثُمَّ لماذا أنزل الله ملائكة لغرض تفادي السحر دون سواه، ولماذا أبقاهم ببابل، والمفروض أنّهم والحال هذه يمشون بين الناس ويجتمعون بهم ويُقيمون لهم الندوات، ويزورون مُختلف المُدن؟ أليس مهمة دعوة الناس إلى عبادة الله واجتناب ما يكره الله تخص الأنبياء عليهم السلام وهو القائل تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾ (الإسراء: ٩٥) ثُمَّ إنّ الآية صريحة (...فيتعلمون

منهما..) ألف الاثنين، ثُمَّ تُبيّن الآية طبيعة هذا العلم ونتائجه البشعة) انتهت الملاحظة.

وفي الجواب عن ذلك نقول: -

١. إنّ القول المنوه عنه في الملاحظة، هو للعلامة الطباطبائي ذكره في تفسيره الميزان ١/٢٣٨-٢٤٠ وليس لنا، وقد نوهنا عن ذلك في محله، ونحن نؤيده ونعمل بهِ بتسديد من الله سبحانه.

٢. أنا لم أُصدق الرواية، وإنّما صدّقت الآية المُستندة لها الرواية، إذ يقول تعالى: ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ (البقرة: من الآية١٠٢)، وما قلناه هو ما قال بهِ وذهب إليه أغلب المفسرين المسلمين، بما فيهم مُفسرو مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهو ما موجود في مصادرنا المُعتبرة، فإذا لم أُصدق الرواية المستندة والمُستخرجة من الآية، فبمن أُصدق إذن؟ وإذا كان الأخ يعرف أو مُطّلع على رواية، أو روايات بديلة لهذه، أو غيرها، فنقول له - وحسب تعبيره -: فهلا دللتنا عليها لنأخذ بها؟.

٣. نعم يُعقل: أنّ المراهق الذي افترضتم تعليمه صنع المُخدر، والناس الذين علمتموهم كيفية تزوير العملة أن يجتنبوها ويبتعدوا عنها:

إما بسبب إيمانهم بالله سبحانه والتزامهم بتنفيذ أوامره، والانتهاء عن نواهيه، واتباعهم الأنبياء والرُسل والأولياء، ويُقرون بالمعاد ويخافون مما فيه، فإنّهم حتماً سيتجنبون صُنع المُخدر وتزوير العملة، بل وكل ما نهى الله عنه، ومنه السحر، وخير مثال على ذلك ما عشناه في العراق بعد سقوط النظام السابق، وبعد دخول قوات الاحتلال وما حدث من فوضى وهرج ومرج وفقدان الأمن وغياب السلطة والانفلات في كل شيء، وعمليات ما يُسمى (بالفرهود، والحواسم) وما جرى من نهب وسلب،

إلاّ أنّنا وجدنا الكثير من المؤمنين قد امتنعوا عن ممارسة تلك الأعمال المُحرمة رغم فاقتهم وحاجتهم الماسة، وعلى الرغم من معرفتهم كيفية السرقة، إضافة إلى تسهيل هذه الأمور للجميع من قبل جنود قوات الاحتلال، ولكنهم لم يقدموا على ذلك، بل وكانوا يستنكرونه ويرفضونه ويذمون ويلومون القائمين بهِ.

وإما بسبب العلم بمضارها الاجتماعية والقانونية المترتبة على فاعلها، وإما لمضارها الصحيّة، فالطبيب الذي يدرس علم الطب - مثلاً - يتعلم أسباب الإصابة بالأمراض، والعوامل المُساعدة على ذلك، كما يتعلم كيفية وطرق علاجها، إلاّ أنّه لا يُقدم عليها ولا يُمارسها، بل يتجنبها ويبتعد عنها حتماً، وسيأمر غيره بذلك أيضاً، لتعلمه وعلمه بمضارها.

وهذا ما قررته وأشارت إليه تكملة الآية الشريفة آنفة الذكر، إذ قال تعالى: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: من الآية ١٠٢).

وعلق الأخ على إجابتنا هذه بقوله: (لا يستويان مثلاً) دون أن يُبيّن دليلاً أو برهاناً.

٤. إنّ الحكمة من إنزال المَلَكَين كان لأجل تعليم بعض طرق السحر وفنونه، حتى يُمكن التمييز بينه وبين المعجزة الإلهية، وجاء ذلك في زمن انتشر فيه السحر بشكل واسع في المجتمعات، هذا أولاً وثانياً - احتمالاً - إنّ إبليس لعنه الله وقومه وأتباعه من شياطين الإنس الذين تعلموا علم السحر وطرقه وفنونه، لم يُطلعوا الناس على ذلك العلم، ولجهلهم بهِ كانوا يتصورون أنّ ما يأتي بهِ الساحر من الخارق للعادة هو معجزة، وأنّه من دون سبب، فجاء الملكان لبيان تلك الطرق والفنون التي يستخدمها الساحر، وأنّها سبب تلك الخوارق، وأنّها ليست معاجز... الخ.

٥. اختلفت الروايات والأقوال في تحديد مكان نزول المَلَكَين، فقيل: ببابل العراق، لأنّه تبلبلت بها الألسن، وقيل: إنّها بابل دماوند، وقيل: هي من نصيبين إلى رأس العين)[1] وغير ذلك. وقد يكون كل ذلك صحيحاً، لاحتمال تنقل المَلَكَين من مكان إلى آخر، ومن بلد إلى غيره، كما وردَ في الروايات أنّ المَلَكَين كانا يُعلمان ملِك أو رئيس أو مسؤول ذلك البلد، وهو يقوم بنشره، أو أنّهما كانا يُعلمان مجموعة مُعيّنة من سكان ذلك البلد وهم بدورهم يوّضحون للبقية أسباب حصول الخارق السحري، ويبينون لهم أنّها نتيجة علوم السحر وطرقه وفنونه، وأنّها ليست معاجز، وقد تكون تلك المجاميع كافية لتأدية هذه المهمة، خصوصاً إذا علِمنا أنّ البُلدان المسكونة آنذاك قليلة، وأنّ عدد السكان البشري حينها قليل أيضاً، إذ ليس من المعقول القول بأنّ مهمتهما كانت تعليم ذلك لكل فرد فرد من سُكان الأرض كلها. والله أعلم.

٦. لم نجد في الآية الكريمة، أو في الروايات ما يُشير إلى أنّ المَلَكَين كانا يدعوان الناس إلى عبادة الله واجتناب ما يكره، وإنّما حددت الآية والرواية مهتهما بتعليم خفايا السحر، وأنّه منهي عنه فقط وبذلك فلا تزاحم بين مهام الأنبياء عليهم السلام وبين مهامهما.

وهنا يبرز سؤال ثالث، وهو: إذا كان السحر والكهانة كُفراً، وهما ضاران، فلماذا وجِدَ علم السحر؟ إذ من المعلوم أنّ كل شيء موجود في هذا الكون هو مخلوق لله تعالى، وبالتالي، فعلم السحر من مخلوقاته سبحانه؟ وأنّ تعليم المَلَكَين قوانينه وطرقه للناس، أليس حراماً؟..

وفي جوابه نقول: إنّ كثيراً من الأمور مُحرّمة في نظر الشريعة الإسلامية، وبقية الديانات، وتوصل مرتكبها إلى الكُفر، وإحداث الضرر بنفسه أو بغيره، إلاّ أنّ تَعلُم

(١) التبيان – الشيخ الطوسي ١/٣٧٤.

أحكامها الشرعيّة والاطلاع عليها لتجنبها غير مُحرّم، فالقتل والزنا واللواط وشرب الخمر، وغير ذلك، فكلها مُحرمة وبعضها يوصل إلى الكُفر، ولكنّ الذي يُريد أن يتعلم ويعرف أحكامها الشرعيّة لا يأثم بسبب مجرد تعلمه ومعرفته إياها، وإنّما يترتب الإثم إذا ارتكب العمل ومارسه)[١]

وقد كان المَلَكَان يقولان لمن يُعلمانه ويُطلعانه على ما أُنزل إليهما من علم السحر بالإخطار والإلهام، وقبل أن يُعلّماه: (إنّما نحن فتنة لكم وامتحان تمتحنون بنا بما نعلمكم، فلا تكفر باستعماله)[٢]، ويشترطان على كل متعلم أن لا يعدل عن الغرض في إلقائه إليه، فإنّه إنّما أُلقي إليك لتجتنبه لا لتفعله.

وعلى هذا التأويل: لا يكون تعلم علم السحر كُفراً ومعصية حاله حال معرفة بقية المحرمات.

وقد علق أحد الفضلاء على السطر الأخير قائلاً: (بحدود علمنا القاصر، لم يُجوّز هذا العمل الكثير من مراجعنا) انتهى.

وجوابنا عنه، هو: نعم، هُناك من أجازه:

قال الشيخ الطبرسي: (... وقال قوم: المَلَكان علما السحر وأمرا الناس باجتنابه وترك علمه، لأنّ النهي عن تحريم الشيء وإيجاب تركه تابع العلم، وذلك جائز)[٣].

وقال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ما نصه: (... والملاحظة التي تستحق الانتباه هي أنّ السحر ممنوع في الإسلام، ويُعد من الذنوب الكبيرة، لأنّه في كثير من الأحيان سبب لضلال الناس، وتحريف الحقائق، وتزلزل عقائد السذج، ومن الطبيعي

(١) تمّ تعديل صياغة هذه الفقرة استناداً لملاحظة مُفيدة من أحد الفضلاء، فجزاه الله خيراً.

(٢) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ١/ ٢٣٣.

(٣) الرسائل العشر – الشيخ الطبرسي – ص ٣٣٥.

أنّ لهذا الحُكم الإسلامي- ككثير من الأحكام الأُخرى - موارد استثناء، ومن جملتها تعلُم السحر لإبطال إدعاء المُدّعين للنبوّة، أو لإزالة أثره ممن رأوا منه الضرر والأذى... الخ)[١].

ومن ذلك يتضح: أنّ تعلُم علم السحر للأغراض المذكورة آنفاً، فهو من المُستثنيات من الحُرمة، إلاّ أنّ العلماء والفقهاء قد ينهون حتى عن ذلك، مخافة الضعف أمام مُغرياته والانزلاق أو الانجرار وراء وسوسة الشياطين وممارسته في أمور ضارة ومُحرمة، أما تعلُم علمه للكسب المادي وغيره فهو مُحرم شرعاً واعتبِر الساحر كالكافر.

وهو ما حصل فعلاً لبعض الشياطين من الجنّ والإنس - من غير المؤمنين - لما تعلموا من المَلَكَين وصف السحر وماهيته، وكيفية الاحتيال فيه، استعملوه لأغراض نهى الله عنها واعتبرها من الكُفر، أما المؤمنون من الجنّ والإنس ممن تعلمه، اجتنبوه، وانتفعوا بالاطلاع على كيفيته فقط، وبذلك أطاعوا أمر الله تعالى... الخ)[٢].

والذي يجب أن نعلمه جيداً (أنّ الله تعالى لم يخلق شيئاً اسمه (حرام) حتى يُنسب إليه سبحانه، كالروح مثلاً ونحوه، بل الحرام يكون بالعرض، نتيجة مُخالفة نواهيه سبحانه، فلا يُمكننا أن ننسب المحرمات والفواحش إليه، لأنّه تعالى ينفيها عنه نفياً قاطعاً، وينسبها إلى الشيطان اللعين، ولكن ليست نسبة الخلق لها من قبل الشيطان، إذ إنّ ذلك من مُعتقدات الثنوية، الذين يقولون: إنّ للخير إلهاً وللشرّ إلهاً، وإنّما نسبتها إليه نسبة غواية ووسوسة، ونسبة أمر لمتبعيه. والله العالم)[٣].

فلله حدود، لا يُمكن تجاوزها، والتلاعب بتلك الحدود يأتي نتيجة تصرف الإنسان الاختياري، ولم يأمره الله بذلك، فالشخص الذي يذبح شاة على الوجه

(١) تفسير الأمثل – الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ١٠/٢٩-٣٢.
(٢) أغرب وأجمل المضامين في أقوال المعصومين ١/١٣٦ – للمؤلف.
(٣) أغرب وأجمل المضامين في أقوال المعصومين ٢/٥٧ – للمؤلف.

الشرعي، هو (تصرف)، وإذا ذبحها خلافاً للشرع فهو (تصرف) أيضاً، وكل ما في الأمر: أنّ التصرف الأول كان على وفق ما أمر الله، وضمن ما حدده، أما التصرف الثاني، فكان تصرفاً على وفق ما نهى عنه الله، وخارج حدوده، وبهذين التصرفين الاختياريين صارت ذبيحة الأول حلالاً، وذبيحة الثاني حراماً، وهذا ليس معناه: أنّ الشخص هو الذي يوجد الحرام لأنّ وجود الحرام عرضي - كما أسلفنا- والله العالم)[١].

وملخص الموضوع: (إنّ الله سبحانه لم يخلق شيئاً حراماً ولا عُسراً، فهما شيئان عرضيان، والإنسان بتصرفه الاختياري، وبمخالفته للقوانين والأسباب الإلهية، يجعل الحلال حراماً، وبتصرفه الحُرّ أيضاً يُمكنه أن يستخرج من أعماق العُسرّ يُسراً، و(إنّ الله لا يُغيّر ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم)[٢]. والله أعلم.

وهنا أوردَ أحد الفضلاء ملاحظة يقول فيها: -

(الميتة، الدم، لحم الخنزير، المُنخنقة، النطيحة، المُتردية، الكلب، الضبع، الذئب، ما ليس له فلس من الأسماك، القرد، وغيرها وغيرها، هل خلقها غير الله، أم أنّها ليست بحرام؟ انتهت.

وفي الجواب نقول: -

١. فيما يخص (الميتة، المنخنقة، النطيحة، المتردية) كلها ليست حراماً ذاتاً، وإنّما أصبحت مُحرمة لعدم تذكيتها وفق التذكية الشرعية، ولو أنّها أُدرِكت وهي حيّة - وإن كانت في أنفاسها الأخيرة - وذُكِيت حسب ما أمر الله تعالى، لأصبحت حلالاً وطاهرة، وهي بعدُ وفي كلا الحالتين من مخلوقات الله تعالى، تحرُمْ بسبب عرضي وتحِلُ بغيره.

٢. أما فيما يخص (الدم) فحاله حال بعض أجزاء الذبيحة التي حرّمتها السُنّة

(١) المصدر السابق نفسه ٢/٥٨ – للمؤلف، باختصار وتصرف.

(٢) المصدر السابق نفسه ٢/ ٦٥ – للمؤلف .

النبويّة، لأسباب صحية أو غيرها، وكذلك بالنسبة لما ليس له فلس من الأسماك التزاماً بما وردَ عنها بالسُنّة الشريفة عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام فقط، أما بقية المدارس والمذاهب، فلها رأي آخر بالموضوع.

٣. أما فيما يخص (الخنزير والكلب) فقد عرفنا من الكتاب والسُنّة أنّهما نجسان، وأنّ نجاستهما نجاسة عين، وقد يُلحق بهذا الحكم معهما غيرهما، لأسباب وحكمة نجهلها في الوقت الحاضر، وإن كشف الطبّ الحديث بعضها.

ولكنّ الذي نُريد قوله، وأن لا يغيب عن بالنا: أنّ النجاسة شيء، والحُرمة شيء آخر، فقد أجازت الشريعة الإسلامية اقتناء وتربية النجس، والاستفادة منه في بعض الأمور، كالكلب مثلاً، إلاّ أنّها لم تجوّز أكله لنجاسته عيناً، فهي إذن مخلوقات من مخلوقات الله تعالى، وليست حراماً ذاتاً، وإنّما نجسة. والله أعلم.

فرد الأخ على إجابتنا هذه قائلاً: (إنّي لم أقل إنّ الحُرمة والنجاسة سواء، فالقرد والذئب والوزغ كلها طاهرة، وغيرها الكثير، لكنّها حرام، وأنت تقول: إنّ الله لم يخلق حراماً مُطلقاً، فكيف تُفسر ذلك؟).

فأجبناه بالآتي: قال العلماء: إنّ (الأعيان النجسة) أشياء مُعيّنة، حكمت الشريعة بأنّها نجسة وقذرة بطبيعتها بصورة أصيلة، لم تكتسب هذه النجاسة من المُلاقاة لشيء آخر قذر)[1].

والكلب والخنزير نجسان عيناً وذاتاً بكل ما فيهما، لكنّهما ليسا مخلوقين حراماً ذاتاً، أو بصورة أصيلة كما في نجاستهما، إذ إنّ أصل الخلقة - وللجميع - كان حلالاً طاهراً، وبعد أن أخذ كلٌ قَدَرَهُ وحظهُ من الوجود وكمال الوجود، وحسب الاستيعاب والقابلية، فأصبح هذا بما اكتسبه طاهراً، وأصبح هذا وبما اكتسبه أيضاً نجساً، وأصبح

(١) الفتاوى الواضحة – العلامة السيد محمد باقر الصدر.

هذا أبيضَ وذاك أسودَ، وهذا ذكراً وتلك أُنثى، وهذ طويلاً وذاك قصيراً... الخ

إذن، كل مخلوق فهو حلال ذاتاً وأصلاً، وإنّما لحِقت بهِ الحُرمة بعد اكتسابه أموراً جعلته نجساً عيناً وذاتاً، فحُرمة أكله أو استعماله مستندة إلى ما اكتسبه من صفات رذيلة وقذرة وليست بسبب خلقه الأول، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة: من الآية٧)، فلا يُعقل أن يكون المخلوق حَسَناً وهو بنفس الوقت حراماً، فالحُرمة مُنافية للحُسن.

فالبول والعَذِرّة من الإنسان والحيوان، نجسين عيناً، ولا يطهران بحال، وكذلك الدم، فهو نجس عيناً، في الإنسان والحيوان، ومعلوم أنّه موجود ويسري في أغلب بدن الإنسان ذلك المخلوق الذي فضله الخالق تعالى على كثير من مخلوقاته، وهو نجس عين، إلاّ أنّ الإنسان لا يُعتبر مخلوقاً حراماً بسببه.

فالحُرمة إذن في الأشياء عرضيّة، وليست ذاتية في أصل الخلقة.

وكل ما حرمته الشريعة، فلحكمة وسبب، معنوي أو مادي، فلم يُحرم الله تعالى شيئاً، ونهى عنه إلاّ وفيه مضار، إما صحيّة أو اقتصادية أو اجتماعية تربوية، ولم يُحلل سبحانه شيئاً، وأمرَ بهِ، إلاّ وفيه منافع، إما صحيّة أو اقتصادية أو اجتماعية تربوية.

والكتاب والسُنّة يؤيدان ذلك، فهناك روايات عديدة تُثبت بعض مضار أكل لحم الخنزير، فمنها ما يؤثر أخلاقياً - كالديوثية - ومنها صحياً، وهكذا بالنسبة لجميع المُحرمات.

وهذا كله بالنسبة للإنسان فقط، أما بالنسبة لغير الإنسان فقد يكون أكل (النجس المُحرم) غير ضار لآكلهِ، فالحيّة حُرم أكلها على الإنسان لما قد تُسببه من ضرر له من ناحية سُميتها ولكن هناك بعض المخلوقات تكون الحيّة من أشهى وجباتها، وتكون نافعة لها هي وسُمها.



الفصل الرابع

المبادئ النفسانية أو المقتضي النفسي المؤثر، وعلاقتها بالسبب القريب في تحقق المعجزة

إنَّ كل ما ذكرناه سابقاً كان بصدد الاحتمالين (الأول والثاني) من احتمالات السبب القريب في تحقق المعجزة أو الكرامة أو الخارق للعادة.

أما في هذا الفصل، سنتعرض لمُناقشة (الاحتمال الثالث) منها، والتأمل في التعريفات التي قيلت فيه، وهي:

أولها: (إنّ السبب القريب في تحقق المعجز هو نفس النبيّ بإذن الله تعالى، كما هو الحال في تصرّف الإنسان في بدنه من القيام والقعود ونحوها من الأفعال، فإنَّ الإنسان وإنْ كان هو الذي يقوم بتلك الأفعال لكن بإذن وإقدار الله تعالى، ولو لم يشأ الله ذلك لما تمكن الإنسان من ذلك الفعل، وهكذا الأمر بالنسبة للإتيان بالخارق للعادة والتصرّف في الكون، فالذي يأتي بالمعجزة هو النبيّ، لكن بإذن منه تعالى... الخ)[1].

ثانيها: (وبالجملة، جميع الأمور الخارقة للعادة سواءً سُميت معجزة أو سحراً أو غير ذلك، ككرامات الأولياء وسائر الخصال المكتسبة بالارتياضات والمجاهدات، جميعها مستندة إلى مبادئ نفسانية ومقتضيات إرادية .. الخ)[2].

ثالثها: (... إذاً السبب للإتيان بالخارق للعادة، كالمعجزة والكرامة، هو نفس

(١) الولاية التكوينية - كمال الحيدري - ص ٣٥.

(٢) تفسير الميزان – العلامة الطباطبائي ٨٢/١.

النبيّ أو الإمام أو الوليّ، وهو بمثابة المقتضي لتحقق الخارق... ومن المعلوم، أنّ السبب القريب لتحقّق الخارق للعادة لا يختص بالأنبياء والأولياء، وإنّما هو شامل لكلّ خارقٍ من سحر أو كرامة ونحوها، فإنَّ نفس الآتي بالخارق هو السبب القريب في ذلك، وإنْ توقف على الإذن الإلهي)[١].

والتأمل في هذه التعريفات أو الأقوال، يقودنا إلى ضرورة الإلمام بشيء مما قيل عن علوم السحر والاطلاع عليها وما علاقتها بالسبب القريب لتحقق الخارق للعادة.

ولكن، وقبل الدخول في ذلك، لابدَّ لنا من معرفة الإجابة على السؤالين الآتيين، لتتضح لنا الفكرة عن موضوع البحث الأصلي والجوهري، وهما: -

السؤال الأول - ما هو المقصود بالمبادئ النفسانية، أو المقتضي النفسي المؤثر، وما معناهما؟.

السؤال الثاني - كيف يتم تحصيل هذه المبادئ النفسانية أو المقتضي النفسي المؤثر عند النبيّ أو الوصيّ أو الوليّ، وما هي طرق تحصيلها؟.

جواب السؤال الأول: من خلال مطالعاتنا المتواضعة في بعض المصادر، والاستفسار من بعض الفضلاء، تمكنا من جمع التعريفات الآتية عن السؤال الأول، وهي:

التعريف الأول: إنّ (المبادئ النفسانية) المؤثرة هي: تمليك الله تعالى إمكانية التصرف لمن يشاء من غير استقلال في هذا التمليك، ولا يتم التصرف فيه إلاّ بعد إذن الآذن)[٢].

التعريف الثاني: إنّ المبادئ النفسانية هي (المؤهل، أو المؤهلات) التي يملكها النبيّ أو الوصيّ أو الوليّ)[٣].

---

(١) الولاية التكوينية - كمال الحيدري - ص ٣٦.

(٢) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ١/٨١.

(٣) رأي الأخ صاحب الملاحظات، وقد يُشاركه غيره فيه.

التعريف الثالث: إن المبادئ النفسانية هي (منحة إلهية)[١].

التعريف الرابع: إن المبادئ النفسانية هي من باب (عبدي أطعني تكن مَثَلي تقل للشيء كُن فيكون)[٢].

التعريف الخامس: (باستطاعة الإنسان الكامل أن يبلغ مرتبة العقل والتجرد التام في هذه النشأة المادية من عالم الدُنيا، ومن هنا تمكن الأنبياء وأئمة الهُدى (عليهم السلام) بمجرد إرادتهم من دون حاجة إلى أداة مادية من الإتيان بالمعاجز، فكما نتمكن بمجرد إرادتنا وبإذن الله من خلق الصور المتنوعة في أذهاننا، فإنّ باستطاعتهم خلق هذه الأشياء في العالم الخارجي بإذن الله...الخ)[٣].

التعريف السادس: (للنفوس القُدسية البالغة في الكمال إلى حدّ التجرد عن البدن وإن كانت مُلتحفة بجلابيبه ومُتغطية بأغطية الشوائب المادية، وكأنّها لما رُزقت من الإعراض عمّا سوى القبلة الحقيقية ومن التوجه والإقبال عليها بالكُلية، فصار كل كمال لها بالقوة فعلياً، قد نضت تلك الأغطية وخلعت تلك الأغشية، وألقت تلك الجلابيب الحسيّة، وخلُصت إلى الحضرة القُدسيّة، مُتصلة بالملأ الأعلى، مرتوية بالكأس الأوفى، مُشاهدة لأمور تعجز عن إدراكها الأوهام، وتكل عن بيانها العبارات والأفهام، مُبتهجة بما لا عين رأت ولا أُذن سمِعت، صادرة عن كمالاتها الحاصلة لها آثار هي المُعجزات والكرامات، حتى أنّها لو فارقت أبدانها بالكُليّة لما زاد ذلك الاستغراق وتلك المشاهدة على من كان قبل المُفارقة.. الخ)[٤].

---

(١) رأي بعضهم، بما فيهم الأخ صاحب الملاحظات.

(٢) رأي بعض الفضلاء، ورأي المؤلف أيضاً.

(٣) الشيخ المنتظري – في كتابه – من المبدأ إلى المعاد في حوار بين طالبين – ص ٢٤٢-٢٤٣، استخرجنا التعريف استنتاجاً من شرحه لكلام أمير المؤمنين عليه السلام: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً) المؤلف.

(٤) ابن ميثم البحراني – في كتابه – شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين - ص ٥٢ – ٥٤، واستخرجنا التعريف استنتاجاً ←

هذا ما مكننا الله عزَّ وجلَّ من جمعه بصدد الإجابة عن السؤال الأول لبيان تعريفات (المبادئ النفسانية، أو المقتضي النفسي المؤثر)، وهو كل ما توصلنا إليه - حسب قناعتنا - وليس لدينا المزيد، حيث ذلك مبلغ علمنا، وغاية مجهودنا، بل هو مقدار قابليتنا واستعدادنا، فإذا كان في مخزون مَنْ مَنَّ الله عليهم بعلوم ومعارف غير هذه التعريفات، فليفيدونا بها لاعتمادها في البحث وأضافتها إليه، وهو طلب مفتوح ومستمر أمام الجميع.

مواصفات ومُميزات المبادئ النفسانيّة والمقتضي النفسي المؤثر:

وضع العلماء مواصفات ومُميّزات لهذه (المبادئ النفسانية أو المقتضي النفسي المؤثر)، ندرج هنا ما وفِقنا من جمعه منها، وهي: -

١. إنّ هذه المبادئ النفسانية هي أمر وراء الطبيعة وفوق المادة...

٢. وأنّها منصورة بإرادة الله سبحانه...

٣. وأنّها إذا قابلها مانعٌ ماديٌ أفاضت إمداداً على السبب بما لا يُقاومه سبب مادي يمنعه...

٤. وإنّها تتوقف على أمر من الله تعالى يُصاحب الإذن الذي يتوقف عليه أيضاً.

٥. إنّ تأثيرها يتوقف على مُصادفة السبب أو يتحد مع أمر الله سبحانه[1].

وهذا معناه: أنّ من تمكن من تلك (المبادئ النفسانية، أو المقتضي النفسي المؤثر) وامتلكها - بمواصفاتها ومميزاتها وشروطها، يستطيع الإتيان بالمعجزة أو الكرامة أو الخارق للعادة، كلما أراد ذلك، أو اقتضته الحاجة.

→ من شرحه لكلام أمير المؤمنين عليه السلام المذكور آنفاً. المؤلف.

(١) المواصفات والمميزات المذكور من ١ - ٥ للعلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ١/٧٥ و١/٨٢-٨٣.

جواب السؤال الثاني: من مجموع التعريفات (للمبادئ النفسانية، أو المقتضي النفسي المؤثر) آنفة الذكر، ومواصفاتها ومُميزاتها، يُمكن التوصل من خلالها إلى معرفة (طُرق تحصيلها) بشكل عام، وهي: -

١. الدخول في حضيرة الولاية الإلهية، والتقرب إلى ساحة القدس والكبرياء.

٢. الركون إلى القدرة المُطلقة الإلهية، وإلى أيّ مبلغ ركن إليها انقادت له الأشياء على قدره.

٣. إذا شُفِعَت الإرادة باليقين والإيمان الشديد، والإذعان الجازم.

٤. إذا كمُل الإنسان، وبلغ مرتبة العقل والتجرد التام في هذه النشأة المادية من عالم الدُنيا.

٥. إذا بلغت النفوس القدسية في الكمال حدَّ التجرد عن البدن وخلعت الأغشية، وخلصت إلى الحضرة القدسية، صدرت عن كمالاتها الحاصلة لها آثار، هي المعجزات والكرامات.

وبعد ذلك نعود لمناقشة علوم السحر، فنقول:

إنَّ السحر مختلف، وإنَّ طرق تحصيله مختلفة أيضاً، وقد قسمه العلماء إلى أنواع:

الأول- (ما ينتج ويتكي على أسباب طبيعية عادية، مثل (أكل السموم، وحمل الأثقال، والمشي على حبل ممدود في الهواء) ونحو ذلك...

الثاني- ما ينتج ويتكي على تمزيج قوى مادية خاصة، ونتيجة لتفاعلها مع بعضها تحصل أمور غريبة في الأمور الطبيعية، تؤثر على الخيال، وهو ما يُسمى (بسحر العيون) مثل (حبال سحرة فرعون وطليها بمادة تتمدد في الشمس، فتظهر حركة في الحبال وكأنّها تسعى، وكالدخول في النار وعدم الاحتراق بها نتيجة الطلي بمادة مانعة من الاحتراق

(الطلق)[١]، وككتابة كتاب بمائع لا يظهر ما مكتوب إلاّ إذا عُرضَ على النار...

الثالث- ما ينتج ويتكي على حركات سريعة، تخفى على الحسّ لسرعتها، فيتصوّر الرائي أنّ ذلك الأمر وقع من غير سبب، ويعتبره شيئاً خارقاً للعادة، وهي (الشعبذة).

الرابع- ما لا يُمكن إحالته إلى الأسباب المذكورة في الأنواع السابقة، أو أنّه ينتج أو يتكي على الأسباب الجارية على العادة، مثل (الإخبار بالمغيبات وما يقع في المستقبل، أعمال الحُبّ والبغض، والعقد والحلّ، والتنويم والتمريض، عقد النوم، إحضار الأرواح، التحريكات بالإرادة، أو كتابة شيء خاص بمداد خاص في مكان خاص لبعض أعمال الحُبّ والبغض...الخ)[٢].

وهنا، لابدَّ من مناقشة أنواع السحر وغيره، وهل أنّ ما يحصل عنها من خوارق للعادة، مُستند فعلاً إلى تلك (المبادئ النفسانية، أو المقتضي النفسي المؤثر) من نفس الساحر والكاهن وأرباب المجاهدات وأهل الارتياض؟ أم أنّ ما يأتون بهِ من الخوارق للعادة، يستند إلى علوم خاصة بها، لا علاقة لها بالمبادئ النفسانية أو المقتضي النفسي المؤثر في نفوسهم؟، فنقول بعد الاستعانة بالله سبحانه: -

أولاً: إذا تأملنا في الأنواع الثلاثة الأولى من أنواع السحر - آنفة الذكر - نجد أنّها تحصل بالاستناد إلى علوم، لها قوانينها وطرقها وفنونها الخاصة بها، موجودة في الطبيعة، حالها حال بقيّة أنواع العلوم الأُخرى (كالطب، والهندسة، والفيزياء والكيمياء، والرياضيات... وغيرها).

---

(١) الطلق – هو النشادر – علوم الإمام علي عليه السلام العجيبة – دار الجوادين – ص٢٢، الطبعة الأولى ٢٠١١م -١٤٣٢هـ.

(٢) طرق تحصيل السحر – من الأول إلى الرابع – من تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ١/٢٣٨-٢٤٠ باختصار وتصرف.

والساحر والكاهن وأرباب المجاهدات وأهل الارتياض، عندما يأتون بما هو في الظاهر (مُعجزة أو خارق للعادة) فإنّما يأتون بهِ بعد تعلمهم ذلك العلم المُتعلق بذلك النوع من الخارق وإتقان فنونه، فبواسطته تمكنوا من الإتيان بشيء من آثار ذلك العلم، والذي نُطلق عليه (السحر) والذي أغلبه خيال وتوهم، وتصوير الشيء بخلاف صورته، فترى العين شيئاً تظن أنّه كما ترى، وليس الأمر كذلك، ومثاله:

إنّ كثيراً منا قد شاهد عياناً، أو عن طريق شاشات التلفاز بأنّ أحدهم ممن يُسمونه (ساحراً) يأتي برجل - بل غالباً - بامرأة خليعة، ويضعها على طاولة مستطيلة، ويهيئ ما يحتاجه من لوازم لعمله، ثُمَّ يقوم وكأنّه يقطع تلك المرأة إلى نصفين، بواسطة آلة قطع (المنشار عادة)، ونراها وكأنّها أصبحت نصفين، كل جزء على حده، إلاّ أنّنا لم نرَ شيئاً من آثار ذلك القطع المنشاري، كخروج دماء من بدنها، أو تعلق جزء من لحمها أو أعضائها بتلك الآلة القاطعة، كجزء من أمعائها مثلاً، لأنَّ القطع يكون غالباً من منتصفها.

وهذا دليل قاطع على أنّ ذلك العمل لم يكن حقيقياً، وإنّما هو مُجرد تخيُّل ناتج عن طرق وفنون خاصة، وهو دليل أيضاً على أنّ ذلك العمل لم يكن صادراً عن (مبادئ نفسانية أو مقتضٍ نفسي مؤثر).

أما المُعجزة الإلهية، فهي حقيقية، وتراها عين الرائي كما هي على حقيقتها، وليست خيالاً، فالمُعجزة الإلهية شيء حقيقي، والسحر شيء آخر خيالي وهمي، ولهذا السبب سارع كبار السحرة الذين انتخبهم فرعون من أطراف مملكته، بالإيمان بربّ موسى عليه السلام ودعوته، بعد أن عرفوا، وتأكد لهم أنّ ما جاء بهِ موسى عليه السلام ليس من أنواع السحر التي خبروا قوانينها، وطرقها جيداً: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه: ٧٠)، ولّما توعدهم فرعون بالصلب والقتل وتقطيع

الأيدي والأرجل، لم يُثنهم ذلك عن موقفهم بعد معرفتهم الحقيقة: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه: ٧١-٧٣).

والسحر علم خاص يُمكن تعلمه من قبل طالبه، أما المُعجزة فليست كذلك، ولا يُمكن لأحدٍ أن يتعلم كيفية حصولها، لأنّها تحصل بقانون بديل عن القانون الطبيعي، وهذا من الأسرار الإلهية بين الله تبارك وتعالى وبين أنبيائه وأوليائه، يطلبون تحقيقه إذا اقتضت الحاجة، فيأذن سبحانه بذلك، إتماماً للحُجة، وتأييداً لمقامات ورسالات الأنبياء والأوصياء والأولياء. هذا أولاً...

وثانياً: إذا كانت المُعجزة حالها حال السحر (لكون قانون العليّة والمعلوليّة شاملاً لكل خارق للعادة، سواء كان الخارق مُعجزة أم كرامة أم سحراً، ونحوها)[1]، فهذا يُجيز ويسمح للقائل أن يقول: إنّ مُعجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، هي سحر أيضاً، وهذا بعينه ما ظنّه وقاله فرعون وقومه عندما اتهموا نبيّ الله موسى عليه السلام بأنّه ساحر، وهو نفس ما قيل عن أغلب مُعجزات الأنبياء، بما فيهم الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بعد شقّ القمر، وانقلاع الشجرة وسيرها نحوه، وغير ذلك.

وثالثاً، إذا كان (السبب القريب لتحقّق الخارق للعادة لا يختص بالأنبياء والأولياء، وإنّما هو شامل لكلّ خارقٍ من سحرٍ أو كرامة ونحوها، فإنّ نفس الآتي بالخارق هو السبب القريب في ذلك، وإنْ توقف على الإذن الإلهي... الخ)[2].

فالقرآن الكريم يُخبرنا، بأن سحرة فرعون كانوا يتمنون ويرغبون بشدّة أن ينجح عملهم ويؤدي غرضه في الانتصار على نبيّ الله موسى عليه السلام، ودليل ذلك قوله

(١) القول كمال الحيدري – في كتابه – الولاية التكوينية – ص ٣٢ -.

(٢) المصدر السابق نفسه – ص ٣٦.

تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الأعراف: ١١٣)، واشتراطهم على فرعون بأن يمنحهم جوائز ثمينة مُميّزة، وأن تكون لهم عنده مكانة في الدولة، فقد وردَ في الأخبار - ما معناه وليس نصه -: أنّ فرعون جمع ألف ساحر، ثُمَّ اختار منهم مائة، واختار من المائة ثمانين، وقالوا: ليس في الدُنيا أسحرَّ منّا، فإن غلبنا موسى فما يكون لنا عندك؟ قال: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الشعراء: من الآية٤٢)، أيّ: من المقربين عندي، أُشارككم في مُلكي، قالوا: فإنْ غلبنا موسى وأبطل سحرنا، علِمنا أن ما جاء بهِ ليس من قبل السحر ولا من قبل الحيلة، وآمنا بهِ وصدّقناه؟ فقال فرعون: إنْ غلبكم موسى، صدّقته أنا أيضاً معكم وكان فرعون وهامان قد تعلما السحر، وإنّما غلبا الناس بالسحر، وادعى فرعون الربوبية بالسحر)[1].

وقد وجدنا كل ذلك قد تحقق لهم من ناحية السحر، فإنّ حبالهم التي ألقوها كان الرائي يراها أفاعي تتحرك واسترهبت الناس، وهذا معناه: أنّ ما كانوا يُريدونه قد تحقق نتيجة علم السحر وطرقه، ولم يكن نتيجة وجود (المبدأ والمقتضي في نفوسهم) إذ إنّ (المبدأ والمقتضي الذي كان في نفوسهم) هو تحقيق الانتصار على موسى عليه السلام وفوزهم عليه، وهو ما لم يتحقق لهم، بل كان موسى عليه السلام هو المنتصر عليهم.

فإنْ قيل: إنَّ ذلك لم يتحقق لهم لعدم حصول الإذن الإلهي بذلك؟

فالقول عنه: لمّا كان أغلب السحر ضارّاً وغير نافع، ولمّا كان الله تعالى لا يأمر بكل شيء ضار، فهذا معناه: أنّ الإذن الإلهي لا يحصل، ولا يُمنح لأيّ ساحر مُطلقاً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه: من الآية٦٩)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ

(١) تفسير القُميّ – علي بن إبراهيم القمي ٢/١٢٠.

﴿الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس: ٨١-٨٢).

ومن ذلك يظهر: أنَّ السحر من عمل الإفساد في الأرض، وأنّ الله سبحانه تكفّلَ بإبطاله، لأنّه تعالى (لا يُصلح عمل المفسدين)، ومنه يتضح أيضاً: أنَّ (المبدأ والمقتضي النفساني) عند الساحر، ليس سبباً لتحقّق الخارق للعادة، ولا يؤثر في حصوله، وإنّما تحدث آثار السحر وفق قوانينه وطرقه.

والمُحصلة النهائية ممّا مَرَّ: إنَّ الله تعالى قد منع الإذن عن كل ضار، فيثبت عندها، أنَّ السحر شيء، والمعجزة الإلهية شيء آخر، قد تحصل عن (مبدأ ومقتضٍ نفساني) من قبل الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه المعصومين عليهم السلام فقط، إن اقتضت الحاجة لذلك، وبقانون بديل. والله أعلم.

وقد يعترض معترض قائلاً:

إذا كان الأمر كذلك، إذاً فما معنى قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية١٠٢)؟.

فقولنا عنه: إنَّ هذا الإذن الإلهي المُشار إليه في الآية الشريفة من عدمه، قد يحصل بتمهيد من الإنسان نفسه وباختياره الحُرّ، وإليك شرحه:

إذا كان الزوجان، أو غيرهما من الناس، من المؤمنين بالله تعالى، ومتوكلين عليه، ويعتقدون: أنّه لا ضارّ ولا نافع إلاّ الله، ويقومون بأداء واجباتهم الدينية، ويتحصنون من شرور شياطين الجنّ والإنس بما يقرؤونه من كتاب الله العزيز، وبالأدعية المأثورة عن المعصوم، ويلجؤون في أمورهم لله الحافظ القدير، ويطلبون عونه فإنّه عزَّ وجلَّ يشملهم برعايته وحفظه، ويمنع عنهم كل مكروه، فلا يضرهم كيد السحرة وسحرهم.

أما إذا كان الزوجان، أو غيرهما من الناس، على عكس ذلك، وأنّهم من

ضعيفي الإيمان، أو من غير المؤمنين ومن غير المتوكلين على الله سبحانه، ولا يقرؤون القرآن، ولا يدعون بالمأثور، ويبتعدون دائماً عن الله تعالى بأعمالهم الطالحة، فلا يشملهم حفظ الله، ويُخلي بينهم وبين أعمالهم البعيدة عن رضاه سبحانه، فعند ذلك يُمكن أن يؤثر فيهم سحر الساحر، وكيد الفاجر، وهو نوع من الإذن الإلهي، ولكن باختيار الإنسان نفسه.

وهذه الحال لا تقتصر على المرء وزوجه فقط، بل تنسحب على جميع الناس، فالساحر قد يوظف مكائده لإيقاع الضرر بين الأب وابنه، وبين الابن وأُمه، وبين الصديق وصديقه، وبين الرحم ورحمه، وذلك سبب من أسباب تحريم السحر والكهانة في الشريعة الإسلامية. والله أعلم.

وقد أورد أحد الفضلاء على بعض ما جاء آنفاً، ملاحظات، نذكرها مع الردّ عليها، وهي: -

الملاحظة الأولى: يقول فيها: (إنّها تكون حصيلة علم له قوانينه.. والقائم بهِ قد تعلم ذلك العلم وأتقن فنونه) وهو نفس ما يقوله السيد الطباطبائي ولكن بألفاظ مُختلفة).

وفي الجواب نقول: الفرق بين ما يقصده الطباطبائي وبين ما يخطر في بالنا، أنّ السيد يقول: إنّ كل خارق للعادة يكون نتيجة مقتضٍ نفسي مؤثر، بما في ذلك السحر، أما الذي نحتمله هو: أنّ السحر يحصل نتيجة طرق وفنون علم خاص بهِ، وليس نتيجة مقتضٍ نفسي مؤثر عنده.

الملاحظة الثانية: قال فيها: (إنّ رغبة السحرة ومُقتضى نفوسهم قد حقق الخارق للعادة، وهو سعي الحبال والعصي التي ليس من طبيعتها السعي، وهذا أمر خارق للعادة التي هي السكون، لكن تغلب عصا موسى عليه السلام على عصي وحبال

السحرة هو كون الأولى حقيقة والثانية سحراً)...

وجوابنا عن ذلك من وجوه: -

- إنّ سعي حبال وعصي سحرة فرعون - وهو أمر خارق للعادة لناظره - تحقق، أو حصل نتيجة ما تمرن عليه السحرة من علم السحر وطرقه وفنونه كثيراً، وعرفوا كل دقائقه وزواياه وعقده وحيّله، ولم يحصل لهم ذلك نتيجة مقتضٍ نفسي، بدليل:

لو أنّ موسى عليه السلام فاجأ السحرة وطلب منهم أمراً غير إلقاء العصي والحبال، مما لم يكن في حسبانهم، لوجدناهم عاجزين عن تحقيق ذلك، لأنّ (أيّ ساحر يستطيع أن يقوم بأعمال محدودة، وإذا أراد ما هو أعظم منها فسيعجز، والساحر لا يستطيع أن يقوم بالعمل الخارق وفق اقتراح الناس، إلاّ أن يكون ذلك الاقتراح مُطابقاً لما تمرن عليه... بينما [نجد أنّ الخاتم وآله المعصومين عليهم السلام ونتيجة وجود المبادئ النفسانية والمقتضي النفسي المؤثر في نفوسهم الشريفة] ولما كانوا يستمدون العون من قدرة الله الأزلية، فإنّهم قادرون على القيام بأيّ عمل خارق للعادة في الأرض والسماء، ومن كل نوع وشكل... [و] كانوا يقومون مراراً وتكراراً بمعاجز مهمة كان يطلبها الناس... الخ)[1].

فإن قيل: إن كان الأمر كذلك، فلماذا لم يُفاجئهم موسى عليه السلام بطلب غير إلقاء العصي والحبال؟

وجوابه: إنّ موسى عليه السلام وفي بداية مجيئه مع أخيه هارون إلى فرعون، ودعوته وقومه للتوحيد وعبادة الله، ونبذ الشُرك، طلبوا منهما دليلاً على صدق نبوتهما وما يقولان، فأراهم موسى عليه السلام بعض الآيات والمعاجز، وكان أهمُها: أن ألقى عصاه فتحولت إلى ثُعبان عظيم مُخيف ومهول - كما وصفتها

(١) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – في تفسيره الأمثل ١٠/٣١-٣٢، وما بين المعقوفتين للمؤلف.

الروايات - وكانت هي المعجزة الطاغية على غيرها، لذا قال فرعون وحاشيته - كما حكاه الله في كتابه -: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ (طه: من الآية ٥٧-٥٨).

وإن قيل: يقوم بعض السحرة بأعمالهم في قاعات أو أماكن يحضرها جمع من الناس، فيقوم أحدهم ويقترح على الساحر القيام بعمل مُعيّن، فيأتي بهِ؟

وجوابه: إما أن يكون ذلك الاقتراح مُطابقاً لما تمرن عليه الساحر مراراً وتكراراً، وإما أن يكون نتيجة اتفاق بين الساحر والمقترِح، ويجلس بين الناس للخداع والتمويه.

- إنّ تحرك العصي والحبال وسعيها، لم يكن هو رغبة السحرة ومقتضى نفوسهم، فذلك شيء كان بمقدورهم الاتيان بهِ - متى شاءوا وأرادوا - نتيجة طرق وفنون السحر وتمرنهم عليها، وكان فرعون يعرف ذلك، لأنّه كان قد تعلم السحر أيضاً - كما مرَّ في الروايات -، وإنّما كان السحرة يتمنون ويرغبون من خلال عملهم السحري الانتصار على نبيّ الله موسى وأخيه عليهما السلام ووئد دعوتهما، بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الأعراف: ١١٣)، وكذلك اشتراطهم على فرعون منحهم جوائز ثمينة مُميّزة، وأن تكون لهم عنده مكانة في الدولة، وهو ما لم يتحقق لهم، بل كان موسى وهارون عليهما السلام هما من انتصر عليهم.

وعلق أحد الفضلاء على إجابتنا المذكورة، بقوله:

(موضوعنا، هل الأمر خارق للعادة أم لا، وليس كيف يحصل).

وجوابنا عنه: جنابكم قلت: (إنّ رغبة السحرة ومقتضى نفوسهم قد حقق الخارق للعادة) وأنا أُريد القول: بأنّ ما تحقق ليس بمقتضى نفوسهم، وإنّما عن طريق علم السحر وفنونه، كما أنّ مقتضٍ نفوسهم لم يتحقق، فقد كانت رغبتهم وهدفهم

الغَلَبَة النهائية - كما نص عليه القرآن - وتحريكهم الحبال والعصي بواسطة فنون السحر، لم يُحقق تلك الرغبة أبداً، ونحن نوهنا في نهاية المناقشة بأنّ السحرة استطاعوا تحريك العصي والحبال بطرق السحر، لكنّهم لم يُحققوا رغبتهم بالانتصار على موسى عليه السلام، كما أنّ لُبَّ البحث وجوهره عن كيفية حصول الخارق للعادة، وبأية طريقة يتم.

المُلاحظة الثالثة - قال فيها: قولكم: (.. إنّ الله لا يأمر بكل شيء ضار، فهذا معناه: إنّ الإذن الإلهي لا يحصل...)، لا نرى مُلازمة بين ذلك، فالأمر شيء والإذن شيء آخر... إنّ الله تبارك وتعالى لم يأمر بشرب الخمر لكنّ الناس يشربون، ولا يأمر بقتل النفس المُحترمة ولا يأمر بالزنا، وكل ذلك يحصل بما لا يُحصى يومياً، فلا تلازم بين الأمر والإذن...

أما استشهادكم بالآية الكريمة: ﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ (يونس: من الآية٨١) هذه خاصة بواقعة يوم الزينة، أيّ: يا أيها السحرة لقد جئتموني بسحر وجئتكم بمعجزة من ربّي وإنّ ربيّ سيبطل عملكم وينصرني عليكم، ولا يُمكن تعميمها على كل أعمال السحر...

أما قولكم: إنّ الإذن الإلهي لا يحصل ولا يُمنح لأي ساحر مُطلقاً) فقد نقضتموه صراحة وقيدتم الإطلاق.. وهذا ما عناه السيد (بالإذن الإلهي)

وجوابنا عن ذلك من وجوه أيضاً: -

الأول - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (القمر: ٥٠)، و(عن... عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: (لا يكون شيء في الأرض ولا في

السماء إلاّ بهذه الخصال السبع: بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب، وأجل، فمَنْ زعمَ أنّه يقدر على نقض واحدة فقد كفر)[١].

والتأمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً﴾ (يس: من الآية٨٢)، وقول الإمام الصادق عليه السلام: (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلاّ بخصال، منها (الإذن) يظهر مدى الملازمة بين أمر الله تعالى وإذنه، فقوله سبحانه لشيء (كُن) فهو بنفس الوقت إذن له أن يكون لأنّه تعالى (لا يتكلم بشق الفم وإنّما قوله فعله)[٢]، ولأنّ أمره: ﴿إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (القمر: من الآية٥٠)، والتلازم واضح بين الأمر والإذن تمام الوضوح، فقوله تعالى لموسى عليه السلام: (اذهب إلى فرعون) فكلمة (اذهب) فعل أمر، فهل معناه حسب قولكم: إنّ موسى عليه السلام تلقى الأمر أولاً ولم يذهب إلاّ بعد أن جاءه أمر آخر بالإذن، وأنّ الله سبحانه قال له: اذهب الآن فقد إذنت لكَ بذلك.

الثاني - قال الأعلام: إنّ أمر الله على نوعين: -

(الأول - الأمر التكويني: وهو أمر بلا واسطة، ولا يُمكن المُخالفة فيه، وهو أمر الإيجاد الذي يشمل كل الموجودات التي لا يكون عمل الإنسان الاختياري دخيلاً في وجودها وعدمه (كالإحياء والإماتة، والقبض والبسط)، وهو المعبر عن تعلق الإرادة القطعية بإيجاد الشيء، فإن تعلقت إرادته سبحانه بشيء يعقبه وجوده، ولا يأبى عنه شيء، وإنّ ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنّه يتكون ويدخل في حيّز الوجود من غير امتناع ولا توقف، كالمأمور المُطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يكون منه الإباء...

(الثاني - الأمر التشريعي: وهو أمر بالواسطة، والواسطة السفراء، أو السفارة

(١) أصول الكافي – الشيخ الكُليني ١/٣٤ – كتاب التوحيد.

(٢) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ١٢/٤٠٤.

الإلهية، وما كان بالواسطة فقد تقع المخالفة فيه، لذلك آمن الناس بالأنبياء وكفر بعض، وممن آمن أتى بجميع أوامرهم ولم يأتِ بعضهم...

وقد بيّن تعالى في طائفة من الآيات، أنّه تعالى لم يضطر عباده على الإيمان، ولم يشأ منهم ذلك بالمشية التكوينية حتى يكونوا مُجبرين عليه، بل أذِنَ لهم في خلافه، وهذا الإذن الذي هو رفع المانع التكويني هو اختيار العباد وقدرتهم على جانبي الفعل والترك)[1].

ومن كل ذلك يتضح: أن التلازم ضروري بين أمر الله سبحانه وإذنه، لا كما يقول أحد الفضلاء فكون الله تعالى لم يأمر بشرب الخمر ولا بالقتل ولا بالزنا، وكل ذلك يحصل من قبل العباد، وكذلك أمر سبحانه بالصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس... الخ، ولكنّ الكثير من العباد لا يأتون بها عصياناً أو غير ذلك، فالأمر في كلا الحالتين موجود (افعل، ولا تفعل)، والإذن فيهما أيضاً موجود (وهو اختيار العباد وقدرتهم على جانبي الفعل والترك).

ثُمَّ إنّ إقدام العباد على شرب الخمر أو القتل أو الزنا، لا يرفع أضرارها، لأنَّ ضررها من آثارها الذاتية ولا ينفك عنها. والله أعلم.

الثالث - من الثابت، إنّ الأحكام الشرعية لا تُقيد بواقعة أو بحادث أو بسبب مُعيّن، وإنّما تكون مُطلقة وتُحمل على العموم إلا ما ثبت بالدليل، فإذا قلنا: إنّ مفعول حكمها ينتهي ويزول حال زوال سببها، فمعنى ذلك عدم بقاء شيء من الأحكام الشرعية المُقررة في كتاب الله المجيد.

ولّما كان السحر من نوعاً الإفساد، فإنّ الله تعالى سيبطله في كل زمان ومكان،

---

(١) التعريفان مستمدان ومستخرجان من أقوال – حسن زاده آملي – في كتاب الولاية التكوينية لآل محمد عليهم السلام للسيد علي عاشور – ص ٢٧-٢٨، و العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان ٧/٣٦١-٣٦٧، و الشيخ جعفر السُبحاني – في الآلهيات – ص ٢١٤) بتصرف واختصار وحذف وإضافة من قبل المؤلف.

وأنّ هذا الحُكم (لا يختص بالسحرة الذين هبوا لمحاربة الأنبياء، بل هو صادق في شأن السحرة بصورة عامة، لأنّهم سوف يفتضحون بسرعة ولا يُفلحون في عملهم)[١].

الرابع - لم ننقض ما قلناه بشأن (إنّ الإذن الإلهي لا يحصل ولا يُمنح لأيّ ساحر مُطلقاً)، وإنّما الذي قلناه في نهاية الصفحة (٩٨): إنّ كيد الساحر لا يقتصر على الزوجين فقط، وإنّما يشمُل غيرهم، وأنّ كيده يشمُل هؤلاء أيضاً إذا كانوا من النوع الثاني الذي بيّناه هُناك وبتمهيد منهم وباختيارهم.

وقد عثرنا على قول للشيخ المجلسي بهذا الشأن، يؤيد ما ذهبنا إليه، إذ يقول فيه: (الثالث- أن يكون الإذن هو التخلية والإطلاق، وترك المنع بالقهر والإجبار، وبهِ فُسر قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أيّ، بتخليته، فإنّه تعالى قادر على المنع من ذلك بالقهر)[٢].

وقد علق أحد الفضلاء على ذلك قائلاً:

(هل قول موسى عليه السلام للسحرة هو حُكم أم إخبار؟ وهل أنت مُتأكد أنّ السيد - ويقصد الشيخ - مكارم سمّاه حُكماً؟ فإذا كان الأمر كذلك، وجب قتل كل صبي يخشى منه أن يُرهق أهله طُغياناً وكفراً، كما فعل الخضر عليه السلام أو لتُرك النساء إذا ولدن في الصحراء كما فعل إبراهيم عليه السلام، إنّ في القرآن الكريم أموراً تختص بأحداث مُعيّنة كثيرة، منها أخبار ومنها أحكام ولا يُمكن اعتبارها كلها أحكاماً؟.

وأجبناه بالآتي:

إنّ مصداق الآيات يشمل كل الأمور المُماثلة لما نزلت بشأنه، حُكماً كان أو إخباراً - كما نحتمل نحن - خصوصاً وأنّ كلامنا كان بصدد الأحكام الشرعية وأنّها لا

(١) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – في تفسير الأمثل ١٠/٣٢.

(٢) الشيخ المجلسي – في بحار الأنوار ٥/١٣٧

تُقيد بواقعة، وليس الآيات الإخبارية أو العامة.

١. إذا عُدنا إلى تعريفات (المبادئ النفسانية، أو المقتضي النفسي المؤثر) والتي ذكرناها سابقاً، واتفقت جميع الآراء، أو أغلبها على أنّ معناها لا يتعدى تلك التعريفات، عندها نجد أنّها تُقرر وتُرشد إلى الحقائق، أو الأمور الآتية: -

أ - إن كانت تلك (المبادئ النفسانية) تُكتسب وتحصل عند حاملها نتيجة (تمليك الله تعالى إمكانية التصرف لمن يشاء من غير استقلال في هذا التمليك، ولا يتم التصرف فيه إلاّ بعد إذن الآذن - وهو الله سبحانه -).

فلا يُمكن أن يكون الكاهن أو الساحر وأرباب المجاهدات وأهل الارتياض مشمولين بهذا التمليك الإلهي، لكون أغلب ما يأتون بهِ من أعمال تكون ضارة، وتُبعِد عن الله تعالى، وتُقرِب إلى الشيطان، والله عزَّ وجلَّ لا يُحب كل ضار وغير نافع، وأنّه سبحانه لا يأمر بهِ وينهى عنه.

ب - وإن كانت تلك (المبادئ النفسانية) هي (المؤهل، أو المؤهلات) التي يمتلكها النبيّ أو الوصيّ أو الوليّ أو الساحر، فإنّ طرق اكتساب هذا المؤهل أو المؤهلات، يختلف عند الطرفين، فالمؤهل الذي عند النبيّ أو الوصي أو الوليّ يحصل في نفوسهم بعد تلبسهم بمواصفات ومميّزات (المبادئ النفسانية) السابقة، فهي إذن ربانية المنشأ، أما مؤهل أو مؤهلات الكاهن والساحر والمرتاض وأصحاب المجاهدات، فيحصلون عليها نتيجة ممارستهم لعلومها الخاصة بها، وإتقان فنونها، وكما بيناه في (١) سابقاً.

ج - وإن كانت تلك (المبادئ النفسانية) هي (منحة إلهية) أو من باب (عبدي أطعني تكن مَثَلي... الخ) فهي أيضاً (مُختصة وتمنح) لمن توفرت فيهم تلك الصفات والمُميّزات المؤهلة لذلك، والكاهن والساحر وأرباب المجاهدات وأهل الارتياض، ليسوا

كذلك، بل إنّ منهم - وعلى اختلاف طرقهم - (مَنْ لا يؤمن بأمر حقيقة النفس، ويرى أنّها أمر مادي طبيعي كالدم، ومنهم مَنْ لم ينتحل ديناً)[١]، بل وأبعد من ذلك اعتبار الشريعة الإسلامية (المُنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار)[٢]، فهُم بالنتيجة، غير مشمولين بذلك أيضاً.

د - وإن كانت (المبادئ النفسانية) تُكتسب وتُحْصَل عند حاملها نتيجة (تكامل الإنسان وبلوغه مرتبة العقل والتجرد التام في هذه النشأة المادية في عالم الدُنيا، أو كان من أصحاب النفوس القدسية البالغة في الكمال إلى حدّ التجرد عن البدن، ومُتجهة إلى القبلة الحقيقية - أيّ الله سبحانه - بالكلية، وخلُصت إلى الحضرة القدسية، ومُتصلة بالملأ الأعلى، فتصدر عن كمالاتها المُعجزات والكرامات).

فهذه الصفات والمُميّزات مُستبعدة عن الكاهن والساحر، لثبوت كفرهما شرعاً، كما أنّها مُستبعدة عن أرباب المُجاهدات وأهل الارتياض، لثبوت عدم إيمان غالبيتهم بأمر حقيقة النفس، أو كونهم لا يُدينون بالدين الإسلامي أو غيره.

وبالنتيجة، فهم غير مشمولين بنظرية (المبادئ النفسانية).

٢. وإذا عُدنا إلى مواصفات ومُميّزات (المبادئ النفسانية، أو المقتضي النفسي المؤثر) المذكورة سابقاً نجد أنّها تُرشد إلى الحقائق، أو الأمور الآتية: -

أ - من تعريفات الآية أو المعجزة، بأنّها: (الأمر الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة... الخ)[٣].

وهنا نسأل: هلْ أنّ الأعمال التي يقوم بها الساحر - والتي يُخيّل لناظرها ظاهراً،

(١) العلامة الطباطبائي - في تفسيره الميزان ٦/١٨٦، باختصار وتصرف.
(٢) من أقوال الإمام علي عليه السلام - نهج البلاغة - شرح الشيخ محمد عبده ١/١٢٨ - ١٢٩.
(٣) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ١/٧٥.

أنّها خارقة للعادة - هي نتيجة تصرف الساحر في ما وراء الطبيعة، وهل يُصدق أنّ الله تعالى مَلّكَهُ مثل هذا التصرف؟

وفي نظرنا: أنّ ذلك أمر بعيد، لثبوت كُفر الساحر شرعاً، ولا يُعقل أن يُملّك الله الكافر مثل هكذا تصرف، لكونه من باب الإعانة على الفساد في الأرض.

ب - إنّ من صفات ومُميزات (المبادئ النفسانية) أنّها (منصورة بإرادة الله تعالى):

وهذا معناه: أنّ بعض الآيات القرآنية (ينص على أنّ المبدأ الموجود عند الأنبياء والرسل والمؤمنين هو الفائق الغالب على كل سبب وفي كل حال، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات: ١٧١-١٧٣)، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة: من الآية٢١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)[1].

وإذا تمعّنا في مضامين الآيات الشريفة - وإن كانت مُطلقة وغير مُقيدة - إلاّ أنّها تُرشد أن هذا (النصر الإلهي) مختص بالأنبياء والرسل وجند الله والمؤمنين فقط، والساحر خارج هذا التخصيص قطعاً، لثبوت كُفره شرعاً، ولكونه ليس من جند الله ولا هو من المؤمنين ومن ذلك يثبُت: أنّ الساحر غير مشمول بنصر الله وغلبته أبداً.

ج - ومن صفات ومميزات (المبادئ النفسانية) أنّها (إذا قابلها مانع، أفاضت إمداداً على السبب بما لا يُقاومه سبب مادي يمنعه).

وهذا معناه: أنّ مَنْ يحصل أو يملك تلك (المبادئ النفسانية) يستطيع بعد الإذن الإلهي - وعند اقتضاء الحاجة - الإتيان بالمعجزة أو الكرامة أو الخارق للعادة بواسطة

(١) المصدر السابق نفسه ٨٢/١ وما بعدها.

استخدام (قانون بديل) عن (القانون الطبيعي العادي الذي فيه الأسباب والمُسببات والعلل والمعلولات المانعة من تحقق المراد) وهذا (القانون البديل: فيه أيضاً أسباب ومُسببات وعلل ومعلولات) إلاّ أنّها تختلف عمّا في القانون الطبيعي العادي، وتكون حاكمة ومُسيطرة عليه بأسبابه ومسبباته وعلله ومعلولاته، والقانون البديل:

إما أن يكون من الأسرار الإلهية بين الله سبحانه وبين أنبيائه وأوصيائه، يُسعفهم بهِ عند الحاجة.

وإما أن يكون معلوماً مُسبقاً من قبل بعض الأنبياء والأوصياء ومن ضمن ما يملكونه من علوم الأولين والآخرين، وما كان ويكون، ويستخدمونه بعد الإذن الإلهي عند الحاجة والضرورة والذي - نحتمل - أنّه من مُختصات الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته المعصومين عليهم السلام فقط، للأسباب والأدلة التي سنُبينها لاحقاً - إن شاء الله تعالى -.

وهو أمر لا يشمل الساحر قطعاً لما بيّناه من الأسباب فيما سبق.

د - ومن صفات ومُميّزات (المبادئ النفسانية) أنّها (تتوقف على أمر من الله تعالى يُصاحب الإذن، أيّ، أنّ تأثيرها يتوقف على مُصادفة السبب، أو يتحد مع أمر الله سبحانه) وبعبارة أُخرى: (فالأمور جميعاً سواء كانت عادية أو خارقة للعادة، وسواء كان خارق العادة في جانب الخير والسعادة، كالمُعجزة والكرامة، أو في جانب الشرّ، كالسحر والكهانة مستندة في تحقيقها إلى أسباب طبيعية، وهي مع ذلك متوقفة على إرادة الله، لا توجد إلاّ بأمر الله سبحانه، أيّ، بأن يُصادف السبب، أو يتحد مع أمر الله سبحانه)[١].

ومن ذلك يُستنتج ويُفهم: -

أولاً- إنّ معنى (أمر الله) هنا، هو المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ

(١) العلامة الطباطبائي - في تفسيره الميزان ١/٨٣.

يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (التكوير: من الآية٢٩) (الذي يدل على أنّ الأمر الذي للإنسان أن يُريده وبيده زمام اختياره لا يتحقق موجوداً إلاّ أن يشاء الله ذلك، بأن يشاء الإنسان أو يُريد إرادة الإنسان...فإرادتنا ومشيئتنا إذا تحققت فينا، فهي مُرادة بإرادة الله ومشيئته لها، وكذا أفعالنا مُرادة له تعالى من طريق إرادتنا ومشيئتنا بالواسطة)[١].

ثانياً- إنّ معنى (يُصادف السبب) هو أن تتهيأ له الأسباب والمسببات والعلل والمعلولات، سواء عن طريق (القانون الطبيعي) أو عن طريق (القانون البديل).

ثالثاً- وإنّ معنى (أو يتحد مع أمر الله سبحانه) هو أن يكون نافعاً، وكل نافع محبوب لله تعالى، ويأمر بهِ، فهو مُتحد مع أمره عزَّ وجلَّ.

رابعاً- إنّ الخارق للعادة إذا كان في جانب الخير والسعادة، كالمُعجزة والكرامة، يحصل عن طريق الحالتين، فهو يحصل بقانون بديل عن القانون الطبيعي، لاحتوائه أيضاً على أسباب ومسببات وعلل ومعلولات، وبذلك (يُصادف السبب)، كما أنّه يحصل - أيّ الخارق للعادة - عن طريق إتحاده مع أمر الله سبحانه، لأنّه نافع ومأمور بهِ، وبذلك يتحد مع أمره تعالى.

خامساً- أما الخارق للعادة، إذا كان في جانب الشرّ، كالسحر والكهانة، فهو يحصل عن طريق (مُصادفة السبب) وهذا السبب هو القانون الطبيعي لذلك العلم، وما يحويه من أسباب ومسببات وعلل ومعلولات، تنتج عنها طرق وفنون علم السحر، ومن مُصادفتها السبب ينتج الأثر، ولا علاقة (للمبادئ النفسانية) بذلك.

وإذا عُدنا إلى طُرق تحصيل تلك (المبادئ النفسانية) نجد أنّ الساحر غير مشمول بمضمونها أيضاً بدليل الآتي: -

---

(١) المصدر السابق نفسه والصفحة.

أ - إنّه ليس من الداخلين في الولاية الإلهية، أو من المتقربين إلى ساحة القدس والكبرياء.

ب - إنّه ليس من الراكنين إلى القدرة المُطلقة الإلهية، فتنقاد له الأشياء.

ج - إنّه ليس من الذين كمِلوا وبلغوا مرتبة العقل والتجرد التام في هذه النشأة من عالم الدُنيا.

د - إنّه ليس من أصحاب النفوس القُدسيّة التي بلغت في الكمال حدّ التجرد عن البدن، واتجهت لله تعالى بالكُلّيّة، وخلُصت إلى الحضرة القُدسيّة، فتحصل عن كمالاتها المُعجزات والكرامات.

ومن كل ما تقدم يتبيّن: أنّ ما يحصل من خوارق للعادة على يد الكهنة أو السحرة أو أرباب المُجاهدات وأهل الارتياض، لا يحصل عن طريق (مبادئ نفسانية، أو مقتضٍ نفسي مؤثر) من نفوسهم، وإنّما يحصل: إما عن طريق علم النجوم، أو علم السحر، وبواسطة هذه العلوم وفنونها، يحصلون على آثارها.

وإما عن طريق معرفة الإمكانات والطاقات الكامنة في النفوس وأجهزة الأبدان البشرية، فيتمكنون - وبعلم خاص بذلك - من استثارتها والحصول على آثارها العجيبة، وكما سيمر علينا لاحقاً عند التعرض لمناقشة (النوع الرابع من أنواع السحر).

إذن، فلا دخل (للمبادئ النفسانية، أو المقتضي النفسي المؤثر) في أعمال هؤلاء، وإنّما هي أعمال ناتجة عن علوم خاصة بها. والله أعلم.

فإذا سألتني: مَنْ هُم إذن المشمولون (بالنوع الثالث) من الاحتمالات بالنسبة (للسبب القريب المؤثر في حصول الأمر الخارق للعادة عن وجود (مبادئ نفسانية، أو مقتضٍ نفسي مؤثر في نفوسهم وبإذن إلهي؟).

فأُجيب: الظاهر من الروايات، أنّ هذا النوع منحصر بأول الأنبياء والرسل وخاتمهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وبأول الأوصياء وخاتمهم أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين عليهم السلام فقط ومن مختصاتهم، للأسباب والأدلة التي سبق وبيّناها، ولا موجب لتكرارها هنا، فراجع.

وقد أورد أحد الفضلاء ملاحظات على بعض ما جاء في هذا الفصل، نذكرها مع الإجابة عليها، وهي: -

الملاحظة الأولى

(إنّ جميع ما وردَ في هذا الفصل هو مُقارنة بين المُعجزة والسحر، وأنّ المُعجزة غير السحر، وهذا مفروغ منه، وأنّ السيدين - يقصد بعض الباحثين - لم يقولا: إنّ السحر هو المُعجزة كي تُبيّن لهما أنّ السحر غير المُعجزة، بل الذي قالاه: هو أنّ كل خارق للعادة من مُعجزة أو كرامة أو سحر، فهو بحاجة إلى مقتضٍ نفسي... الخ، مثله مثل القائل: (إذا أراد أحد أن يطبخ طعاماً أو يصنع شاياً، فلابدّ من وجود النار والرغبة في العمل، فهذا لا يعني أنّه يقول: إنّ الطعام والشاي شيءٌ واحدٌ).

وجوابنا عنها: إنّ الذي فهمناه من أقوالهم: إنّ جميع الأمور الخارقة للعادة، سواءً سُميت (مُعجزة أو سحراً أو غير ذلك) لا تنتج ولا تحصل إلاّ إذا كانت مُستندة إلى مبادئ نفسانية ومُقتضيات إرادية... والإتيان بها يكون عن قابلية أو إمكانية في نفس الذي يأتي بالخارق، وأنّ هذه القابلية أو الإمكانية في نفس الآتي بالخارق هو السبب القريب في ذلك.

لا كما فهمه أحد الفضلاء من كلامهما، بأنّهما يُريدان بذلك (الأهليّة)، والذي ذكره في ملاحظة من ملاحظاته.

وهنا نسأل الأخ: إن كان الخارق للعادة يأتي بسبب الأهليّة التي يملكها الآتي بالخارق، فكيف تولدت عنده هذه الأهليّة، أو كيف حصل عليها؟ عن طريق علم تعلمه، أم هي منحة إلهية؟ فإن قال: سببها العلم والتعلُم، فهي إذن ليست مبادئ نفسانية أو مقتضيات إرادية، وإن قال: هي منحة إلهية، فالسحرة محرومون من ذلك من قبله تعالى، لأنَّ افتراض: أنّ الله تعالى هو الذي منح السحرة هذه الأهليّة أو القابلية أو الإمكانية، فهذا معناه: إعانة للظلم، خصوصاً في قضيّة موسى عليه السلام، فإن كانت أهليتهم إلهية، فهي إعانة للسحرة على موسى عليه السلام وبالتالي إعانة الباطل على الحقّ، وهذا مرفوض شرعاً وعقلاً ومنطقاً.

أما إذا قلنا: إنّها تُكتسب بالارتياضات والمُجاهدات، فهي تعود بالتالي إلى سبب العلم والتعلم، ثُمَّ إنّها إن كانت عن هذا الطريق، فهي غير ثابتة، وقد تزول بعد الانقطاع عن مُمارسة الارتياضات والمجاهدات.

أما ما يملكه الخاتم وآله المعصومون عليهم السلام من مبدأ مؤثر ومقتضٍ نفسي، فهو منحة إلهية منحها لهم للأسباب والمواصفات والمميزات التي يتمتعون بها والمذكورة خلال البحث، يستطيعون من خلالها وبواسطتها الإتيان بالمعاجز والكرامات وكل خارق للعادة كلما اقتضت الحاجة لذلك، لأنّها مستمرة عندهم ولا تزول. والله أعلم.

وعلق الأخ على هذه الإجابة قائلاً: (إنّ الله تعالى زود الناس بقوى مختلفة، برهم وفاجرهم، فسخر البر هذه القوى أو بعضها بما يُرضي الله، والفاجر بما يُسخط الله وباختيارهما، والسحرة ليسوا محرومين كما ذكرت ولو كانت إعانة الله مقصورة على المؤمنين - كما فرضتم - لما وجِدَ على هذه الأرض فاجر، ولا كان معنى لدعاء المعصوم عليه السلام: (وأستغفرك للنعم التي مننتَ بها عليَّ وتقوّيت بها على معاصيك).

وجوابنا عن هذا التعليق الآتي: -

حديثنا عن المبادئ النفسانية التي بها يحصل الخارق للعادة، وهي تختلف عن القوى البدنية الموجودة في جسم الإنسان بشكل عام، برهم وفاجرهم من قبله تعالى. هذا أولاً...

وثانياً، ما تفضلتم بهِ يرجع إلى قاعدة (القوة والفعل) فالقوة - أيّ، البدن وأجهزته وآلاته وقدراته - فهي من الله تعالى، أعطاها لجميع البشر، برهم وفاجرهم، أما الفعل فمن الإنسان وباختياره، ودعاء المعصوم عليه السلام يُشير إلى هذه الحقيقة، وأعمال الفجرة ناتجة من الأسباب والمسببات

وأقول لأخي: نعم، إنّ إعانة الله عزَّ وجلَّ مقصورة على المؤمنين الذين آمنوا بهِ وبكتبه ورسله وباليوم الآخر، وعملوا وفق أوامره، وانتهوا عن نواهيه، أما الفجرة والكفرة، فلا إعانة لهم منه تعالى، وكيف يُعينهم وهُم يعصونه؟ وإنّما يتركهم لأعمالهم الاختيارية التي يقومون بها بتلك القوى الإلهية، والجزاء يوم الفصل.

الملاحظة الثانية

قال فيها: (أتمنى عليك عزيزي أبا يوسف، أن لا تنسف أتعابك بمثل هذه الروايات الهابطة والتي لا تُقنع أقل الناس فطنة، وإلاّ كيف تُصدق أنّ الحبال مطلّية بمادة تتمدد في الشمس وبصورة مفاجئة بمجرد الإلقاء؟ فماذا لو كانت الدُنيا ليس فيها شمس بسبب الغيوم مثلاً، أو ليل؟ ثُمَّ كيف تتمدد العصي؟ أليس القرآن بأصدق القائلين الذي يذكر أنّ العصي والحبال أخذت تسعى بمجرد الإلقاء حتى أنّ النبيّ عليه السلام أوجس خيفة لتشابه عمل عصيهم مع عمل عصاه، وقد بيّن الله تبارك وتعالى بأنّه سحر عظيم: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ

خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه: ٦٦-٦٧)، كذلك: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: من الآية١١٦)، أين هذا الكلام والوصف الإلهي من: يطرحون الحبال وينتظرونها حتى تسخن بفعل الشمس ثم تستطيل، وأيّ تمدد هذا الذي يجعل الحبل أفعى تسعى في أعين الناس، أما العصي فلم تُخبرنا بحالها؟

أما دخول النار وعدم الاحتراق لأنّه مطلي بمادة النشادر، وهذا أشد استغراباً مما سبق، فإنّ مادة النشادر موجودة لدى العطارين وأصحاب (اللحام) ورخيصة الثمن جداً، فخذ شيئاً منها واطلِ أحد أصابعك وجربه على عود ثقاب بسيط وسترى إن كان يُحرق أو لا؟

إنّ القارئ يا أخي ليعجب بالجهد المبذول في التمحيص والاستنتاج، لكنّه يُصدم عندما يرى تصديقك لمثل هذه الروايات دون تمحيص؟ انتهت الملاحظة الثانية.

وجوابنا عن ذلك من وجوه: -

أ - إنّ ما انتقده الأخ وأسماه (بالروايات الهابطة)، فهو قول وليس رواية، وهو مما أشار إليه العلامة الطباطبائي في تعريفه لعلم (السيمياء) المار الذكر، إذ عرفه بقوله: (وهو العلم الباحث عن تمزيج القوى الإرادية مع القوى الخاصة المادية للحصول على غرائب التصرف في الأمور الطبيعية، ومنه التصرف في الخيال المسمى (بسحر العيون) وهذا الفن من أصدق مصاديق السحر)[1].

ب - ليس السيد الطباطبائي هو الوحيد من قال بذلك، بل هناك غيره من العلماء والمفسرين ومن المدرستين يذهبون إلى ذلك، وكنماذج لهم نذكر منهم: -

أولاً- الرازي، إذ يقول: (المسألة الخامسة: (الهاء في قوله: (يُخيل إليه) كناية

(١) تفسير الميزان – العلامة الطباطبائي١/٢٤٤.

عن موسى عليه السلام والمُراد أنّهم بلغوا في سحرهم المبلغ الذي صار يُخيل إلى موسى عليه السلام أنّها تسعى كسعي ما يكون حيّاً من الحيّات، لا أنّها كانت حيّة في الحقيقة، ويقال: إنّهم حشوها بما إذا وقعت الشمس عليه يضطرب ويتحرك، ولما كثرت واتصل بعضها ببعض فمن رآها كان يظن أنّها تسعى... الخ)[١].

ثانياً- العلامة المجلسي، إذ يقول: (... لأنّها لم تكن تسعى حقيقة، وإنّما تحركت لأنّهم جعلوا داخلها (الزيبق) فلما حميت الشمس طلب الزيبق الصعود، فحركت الشمس ذلك، فظنّ أنّها تسعى... الخ)[٢].

ثالثاً- المُحقق البحراني، إذ يقول: (... فلما ألقوا، أيّ ألقى السحرة ما عندهم من السحر، احتالوا في تحريك العصي والحبال بما جعلوه فيها من الزيبق، حتى تحركت بحرارة الشمس... إلى أن قال: لا يخفى أنّ الذي حصل من فعل السحرة يومئذ، هو كون تلك الحبال والعصي التي ألقوها حيات تتحرك، ومن الظاهر أنّ الحركة الثابتة لها ناشئة من الزيبق بعد طلوع الشمس عليها... الخ)[٣].

رابعاً- الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، إذ يقول: (... إنّ السحر في الأصل يعني: كل عمل وكل شيء يكون مأخذه خفيّاً، إلاّ أنّه يُقال في التعبير المألوف للأعمال الخارقة للعادة والتي تؤدى باستعمال الوسائل المختلفة، فتُسمى سحراً أيضاً، فأحياناً يتخذ جانب الحيلة والمكر وخداع النظر والشعوذة، وأحياناً يُستفاد من عوامل التلقين والإيحاء، وأحياناً يُستفاد من خواص الأجسام والمواد الفيزيائية والكيميائية المجهولة، وأحياناً بالاستعانة بالشياطين، وكل هذه الأمور جُمعت واندرجت في ذلك المفهوم

---

(١) تفسير الرازي – العلامة الرازي ٢٢/ ٨٣.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ١٣/٩٤.

(٣) الحدائق الناضرة - المُحقق البحراني ١٨/١٧٢.

اللغوي الجامع، إنّنا نواجه على طول التاريخ قصصاً كثيرة حول السحر والسحرة، وفي عصرنا الحاضر فإنّ الذين يقومون بهذه الأعمال ليسوا بالقليلين، إلاّ أنّ كثيراً من خواص الأجسام والموجودات التي كانت خافية على الناس فيما مضى، قد اتضحت في زماننا الحاضر، بل كتبوا كُتباً في مجال آثار الموجودات المختلفة العجيبة، فكشفت كثيراً من سحر الساحرين وسلبته من أيديهم، فمثلاً: إنّنا نعرف في علم الكيمياء الحديثة أجساماً كثيرة وزنها أخف من الهواء، وإذا ما وضعت داخل جسم فإنّ من الممكن أن يتحرك ذلك الجسم، ولا يتعجب من ذلك أحد، فحتى الكثير من وسائل لعب الأطفال اليوم ربّما كانت تبدو سحراً في الماضي! اليوم يعرضون في (السيرك) فعاليات تشبه سحر السحرة الماضين بالاستفادة من كيفية الإضاءة وتوليد النور، والمرايا، وخواص الأجسام الفيزياوية والكيمياوية، ويُحدثون مشاهد غريبة وعجيبة بحيث يفتح المتفرجون أفواههم أحياناً من التعجب... الخ)[1].

ويقول في مكان آخر: (... إنّ في لحظة واحدة أُلقيت في وسط الميدان آلاف العصي والحبال التي مُلئت أجوافها بمواد خاصة، فإذا حبالهم وعصيهم يُخيل إليه من سحرهم أنّها تسعى... أجل، لقد ظهرت بصورة أفاع وحيّات صغيرة وكبيرة متنوعة، وفي أشكال مختلفة... إلى أن يقول: لقد ذكر كثير من المفسرين: أنّ هؤلاء كانوا قد جعلوا في هذه الحبال والعصي مواداً كالزئبق الذي إذا مسته أشعة الشمس وارتفعت حرارته وسخن، فإنّه يولد لهؤلاء - نتيجة لشدة فورانه - حركات مختلفة وسريعة... إنّ هذه الحركات لم تكن سيراً وسعياً حتماً، إلاّ أنّ إيحاءات السحرة التي كانوا يلقنونها الناس، والمشهد الخاص الذي ظهر هناك، كان يُظهر لأعين الناس ويُجسد لهم أنّ هذه الجمادات قد ولجتها الروح، وهي تتحرك الآن... وتعبير (سحروا أعين الناس، ويُخيل

(١) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - في تفسيره الأمثل ١٠/٢٩-٣٢.

إليه) يُمكن أن يكون إشارة إلى هذا المعنى أيضاً... على كل حال، فإنّ المشهد كان عجيباً جداً، فإنّ السحرة الذين كان عددهم كبيراً، وتمرسهم وإطلاعهم في هذا الفن عميقاً، وكانوا يعرفون جيداً طريقة الاستفادة من خواص هذه الأجسام الفيزيائية والكيمياوية الخفية استطاعوا أن ينفذوا إلى أفكار الحاضرين ليصدقوا أنّ كل هذه الأشياء قد ولجتها الروح، فعلت صرخات السرور من الفراعنة، بينما كان بعض الناس يصرخون من الخوف والرُعب ويتراجعون إلى الخلف... الخ)[١].

خامساً- (روي عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال بيتين من الشعر، هما: -

خُـذ الفَـرّار والطلقـا وشـيئاً يـشبه البرقـا

فـإن أحـسنت مزجهمـا ملكـت الغـرب والـشرقا

فأما (الفرّار) فهو الزئبق، وأما (الطلق) فهو النشادر، وأما الذي يشبه البرق فهو (الكبريت الأحمر)[٢].

فالإمام عليه السلام يُسمي الزئبق (بالفرّار) وقد يكون المقصود من ذلك: استمرارية حركته وعدم بقائه في مكانه مُستقراً، لذا وردَ في أمثالنا التي تُضرب لمن يصعب العثور عليه لعدم استقراره في مكان محدد، فيُقال: (فُلان كالزئبق).

وبعد كل ذلك يُمكننا القول: إذا كان كل هؤلاء الأعلام وغيرهم، يقولون بذلك، ويستشهدون بهِ، وقد يُصدقونه - كما هو المُستشف من أقوال بعضهم - وهو من (الروايات الهابطة) في نظر الأخ، فنحن إذن معذورون تماماً لإيرادنا القول المنوه عنه للفارق الكبير والشاسع بين ما يملك هؤلاء الأعلام من معارف وعلوم ومعلومات، وبين ما لدينا منها، حيث لا نسبة بيننا في ذلك، هذا أولاً...

---

(١) المصدر السابق نفسه – ص ٢٧.

(٢) علوم الإمام علي عليه السلام العجيبة – إصدار دار الجوادين – ص ٢٢.

وثانياً، قد لا يوجد في مصادر المسلمين ما يخص الموضوع غير هذا التفسير لتلك الظاهرة، أما بالنسبة لنا - وحسب اطلاعنا المتواضع - لم نجد غيرها، فإذا كان الأخ أو غيره، يعرف أقوالاً أو روايات بشأن الموضوع وهي أقوى برهاناً، أو أنهض دليلاً، أو أنّها أكثر معقولية ومنطقية، فليدلونا عليها!.

ج - أما فيما يخص قول الأخ:

(..فماذا لو كانت الدُنيا ليس فيها شمس بسبب الغيوم مثلاً أو ليل؟)

فقولنا عنه: إنّ استغراب الأخ هذا هو المُستغرب، إذ كيف غاب عنه وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (طه: ٥٩)، (والضحى وقت انبساط الشمس في النهار.. وإنّما اشترط ذلك ليكون ما يأتي بهِ على أعين الناس في ساعة مُبصرة)[١]

فهل يُعقل أن يكون هناك ليل في وقت الضحى في مكان واحد؟.

أما بصدد افتراض وجود غيوم آنذاك، فذلك لا يمنع من انتشار حرارة، أو دفء الشمس من خلال الغيوم على الأرض بقدر تتأثر بهِ تلك المادة، وقد يكون ذلك الموعد كان في فصل الصيف واشتداد الحرارة، ولا غيوم إذن حينها. والله أعلم.

وقد علق الأخ على هذه الأجابة بقوله:

(إنّ إشكالنا كان عملاً بما ورد في البحث (إنّ الفطرة الإنسانية توجب عدم تصديق كل ما يقرع السمع من الأخبار المنقولة، بل علينا أن نزنها بميزان الحق، فإن وافقته قبلناها وإن خالفته وكذبها طرحناها) فميزان الحق يقول: (سحر عظيم) وأنت تُصدق عبارة طلي الحبال بمادة تتأثر بالشمس، ولم تُشر إلى العصي، ثم أيّ سحر عظيم

(١) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ١٤/١٦٢.

هذا الذي لا يعمل إلاّ بالشمس، والمتحدي وهو موسى عليه السلام عصاه تعمل ليل نهار، ويقول فرعون (فلنأتينك بسحر مثله)، أما قولكم متعجباً كيف لم التفت إلى الموعد بأنّه ضحى فإنّ الموعد وضعه موسى عليه السلام وليس فرعون ولا سحرته، أما قولي (لا تنسف أتعابك..) فهو حرصي على جهودك، لأنّ القارئ إذا رأى تمحيصاً وتحليلاً لأمور أقل أهمية ثم المرور على شيء يستحق التوقف عنده وإبداء الرأي فيه وأنت لم تعره العناية اللازمة قد يتغيّر رأيه في بقيّة فصول البحث).

وردنا على هذه التعليقة هو:

إنّ كون سحرهم كان عظيماً، كما وصفه تعالى، فإنّ (وصفه بالعظمة لا يدل على كونه حقيقة، بل ظاهر الآية خلاف ذلك كما ذكره الطبرسي في تفسيره وغيره... لأنّهم - أي السحرة - أروهم شيئاً لم يعرفوا حقيقته، وخفي ذلك عليهم)[1]، فهو (سحر عظيم) بالنسبة لناظريه لاعتقادهم ولوج الروح في الحبال والعصي، أما في ميزان الحق وفي علم الله فهو ليس (سحر عظيم) لأنّه ليس حقيقة. والله أعلم.

أما طلي الحبال بمادة تتأثر بالشمس، فنحن لم نصرح بتصديقها، وإنّما نقلنا أقوال العلماء والمفسرين عنها، وهي حقيقة يُثبتها العلم، فلا داعي لإنكارها.

أما عن الضُحى والليل، فليس المهم فيه مَنْ وضع وعيّن الموعد، بل المهم قوله تعالى (ضحى) فلا ليل مع ضحى في مكان واحد، وأنتم افترضتم وجود الليل، ومن هنا جاء استغرابنا، كما أنّه قيل عن قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (الشعراء: ٣٨)، هو يوم الزينة الذي اتفق موسى وفرعون على جعله ميقاتاً للمعارضة[2]، وهذا معناه: أنّ الموعد أن يكون ضحى قد يكون من مقترحات فرعون

(١) المُحقق البحراني – في الحائق الناضرة ١٨/١٧٢.

(٢) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ١٥/٢٧٤.

نفسه ووافق عليه موسى عليه السلام.

أما حرصكم على جهودنا، فهو مشكور، ولكن ما العمل وليس هناك بديل للقضيّة، كما أنّها ليست خُرافة تُزعزع ثقة القارئ بما قلناه، بل هي حقيقة علمية ثابتة، كما بيناه سابقاً.

أما عن خيفة موسى عليه السلام، ففيه أقوال: -

منها - خوف الالتباس على الناس أمرهم وأمره.

ومنها- خوف الطباع، إذ الإنسان إذا رأى أمراً فظيعاً فإنّه يحذره ويخافه في أول وهلة.

ومنها- خاف أن يتفرق الناس قبل إلقائه العصا، وقبل أن يعلموا بطلان السحر.

ومنها- أنّه خاف لأنّه لم يدرِ أنّ العصا إذا انقلبت، هل يظهر المزية؟ لأنّه لم يعلم أنّها تلقفها)[١]

ولكنّ أصح الأقوال بهذا الشأن هو قول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام الذي يقول فيه: (لم يوجس موسى خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجُهّال ودول الضلال)[٢].

أما ما يتعلق بالعصي، فالذي نحتمله عنها: أنّ حالها حال الحبال، إذ يُمكن أنّهم احتالوا في تحريكها بما جعلوه فيها، أو طلوها بمادة كيماوية أو فيزيائية، أو بطريق أو فن من طرق وفنون السحر، أو أيّ حيلة أو تمويه أو تلبيس. والله أعلم.

د - أما القول بأنّ (الدخول في النار وعدم الاحتراق بها من جهة طلاية - الطلق - ببدنه) فهو قول من الأقوال التي أوردها العلامة الطباطبائي في بحثه الفلسفي بصدد

(١) هذه الأقوال الأربعة ذكرها الشيخ المجلسي – في بحار الأنوار ١٣/٩٤.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٣٢/٢٣٧.

الموضوع، وليس لنا.

ولكن، وعند رجوعنا إلى بعض قواميس اللغة، وجدنا: أنّ من معاني (الطلق) هو (الشبرم) وكثير غير ذلك)[١].

والذي يهمنا، أنّ من معانيه أنّه: نبات تُستخرج عصارته فيُطلى بهِ الذين يدخلون النار... وقيل: أنّه من جنس الأحجار واللخاف، ولو كان نبتاً لأحرقته النار، وهي لا تحرقه إلاّ بحيل... الخ)[٢]، وقد استندنا إلى كون (الطلق) هو (النشادر) إلى كُتيب صغير عنوانه (علوم الإمام علي عليه السلام العجيبة - إصدار دار الجوادين ص ٢٢ - طبعة أولى ٢٠١١م - ١٤٣٢ هـ ومن ذلك يظهر: أنّ (الطلق) أنواع، فمنه النباتي، ومنه الحجري، ومنه لا تحرقه النار إلاّ بحيل، ولا نعلم بأنّ النشادر الذي أشار إليه الأخ من أيّ نوع هو، فقد يكون الموجود منه لدى العطارين وأصحاب (اللحام) ورخيص الثمن جداً، ليس المقصود بذلك، وإنّما المقصود بهِ نوع نادر، وقد يكون صعب المنال وغالي التكاليف والثمن، خصوصاً المُستخرج من عصارة نوع من النبات، والله أعلم.

---

(١) تاج العروس – الزبيدي ١٣/٣٠١-٣٠٨.

(٢) تاج العروس – الزبيدي ١٣/٣٠١ – ٣٠٨.



الفصل الخامس

الإخبار بالمغيبات، وتحضير الأرواح، وعلاقة عالم البرزخ بذلك

بعد أن تطرقنا للأنواع الثلاثة من أنواع وطرق السحر، نعود للتعرض إلى النوع الرابع من أنواع السحر، أو الكهانة، والذي افترض العلامة الطباطبائي بأنّه:

لا ينتج عن الأسباب الطبيعية العادية، مثل (الإخبار بالمغيبات وما يقع في المستقبل، أعمال الحُبّ والبغض، العقد والحلّ، التنويم والتمريض، عقد النوم، إحضار الأرواح، التحريكات بالإرادة... الخ)[1].

فيجدر مناقشة كل نوع على حدة، فنقول بعد الاستعانة بالمُعين سبحانه:

ما يخص الإخبار بالمغيبات وما يقع في المستقبل: وهذا الأمر ينشطر إلى شقين:

الشق الأول - إنْ كان الإخبار بالمغيبات، وما يحدث في مستقبل الزمن - ولجميع الحوادث المختلفة - صادر عن رسول أو نبيّ أو وصيّ نبيّ، أو عن وليّ من المؤمنين أخذه عن نبيّ أو وصيّ، فيكون هذا الإخبار صحيحاً وحقيقياً، ولا يتخلف عن الوقوع، لصدوره عن عالم الغيب والشهادة الله جلّت قدرته، لكون علمه مُحيطاً وحضورياً، ولأنّه سبحانه عالم بالأشياء قبل كونها كعلمه بها بعد كونها، ولا يغيب عنه شيء، صغيراً كان أو كبيراً، لا في السماوات، ولا في الأرض، ولا في الكون كله.

(١) تفسير الميزان - العلامة الطباطبائي ١/٢٤٣.

والشواهد القرآنية والروائية على ذلك كثيرة، كقوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم: ٢-٣) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص: من الآية٨٥)، وغير ذلك.

وكإخبار الأنبياء وأوصيائهم ببعض المغيبات وحدوثها في زمنهم أو من بعدهم، وخصوصاً ما أخبر بهِ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بأمور غيبية كثيرة، مثل إخباره صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علياً عليه السلام بمقاتلة (الناكثين والقاسطين والمارقين)، وإخباره له: بأنّه يقتل ذا الثدية، وإخباره له بكيفية مقتله؟ ومَنْ يقتله؟، وإخباره لعمّار رضي الله عنه بأنّه: تقتله الفئة الباغية... و... و... وغير ذلك كثير.

وكإخبار وصيّه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لبعض حواريه عمّا يجري عليهم من حوادث مستقبلية، وكيفية قتلهم، ومَنْ يقتلهم؟

وكذلك إخبار أوصياء الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم من الأئمة المعصومين عليهم السلام بكثير من الأمور الغيبية، وما يحدث مستقبلاً، كإخبارهم بأمور المُلك والحكم، ومَنْ يحكم، ومدة حكمهم، وإخبارهم لبعض خُلص أصحابهم عمّا سيجري عليهم، وكيفية نهاياتهم، وقد تحقق كل ذلك، في زمنهم، أو من بعدهم، وكان كله حقاً وصدقاً.

الشق الثاني - أما إذا كان الإخبار بالمغيبات، وما يحدث مستقبلاً من الأمور والحوادث المختلفة صادراً عن الكهنة، أو السحرة، أو المنجمين، وغيرهم من المدّعين فيُمكن تصنيفها إلى مرحلتين: - المرحلة الأولى - قبل نزول الوحيّ على النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ففي هذه المرحلة كانت الشياطين، وهُم: (شرار الجن الذين لا همَّ لهم إلاّ الشرّ والفساد والأخذ بالباطل، وتصويره في صورة الحق، ليضلوا بهِ عن

سبيل الله) يتنزلون على الكهنة، الذين هُم: (كل كذّاب فاجر، عامل بالمعاصي وهو - الأفّاك الأثيم -) بعد أن يسترقوا السمع من أحاديث الملائكة، ويمزجونها بأباطيل كثيرة وينقلونها إلى الكهنة، والكاهن بدوره يقوم بأضافة عشرات الأكاذيب عليها وينقلها إلى الناس، فقد (أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الشعراء: ٢٢٢)، قال: الأفاك: الكذّاب، وهم الكهنة تسترق الجن السمع ثم يأتون بهِ إلى أوليائهم من الأنس، وفي قوله: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٣) قال: كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتسمع، ثم تنزل إلى الكهنة فتخبرهم، فتحدث الكهنة بما أنزلت بهِ الشياطين من السمع، وتخلط بهِ الكهنة كذباً كثيراً، فيحدثون بهِ الناس، فأما ما كان من سمع السماء فيكون حقاً، وأما ما خلطوا بهِ من الكذب، فيكون كذباً)[١].

(وأخرج البخاري ومسلم وابن مردويه عن عائشة قالت: سأل أُناس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الكُهّان، فقال: إنّهم ليسوا بشيء، فقالوا: يارسول الله، إنّهم يُحدثوننا أحياناً بالشيء يكون حقاً؟ قال: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنيّ فيقذفها في أُذن وليّه، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة)[٢].

المرحلة الثانية- ما بعد نزول الوحي والقرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنع الشياطين من استراق السمع: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾ (الجن: من الآية٩)، وفي هذه المرحلة كانت الشياطين معزولة عن سماع الأخبار السماوية والاطلاع على ما يجري في الملأ الأعلى ويُقذفون بالشُهُب لو حاولوا ذلك، وهذه المرحلة تكون أكثر ضعفاً في المصداقية من سابقتها، فعندما

(١) الدر المنثور - جلال الدين السيوطي ٥/٩٨-٩٩.

(٢) المصدر السابق نفسه.

يُحدث هؤلاء الكهنة الناس فما يكون منها حقاً فذلك راجع إلى سماعه عن طريق الملائكة من قبل الشياطين، وقذفه في أُذن الكاهن، وبالتالي، فهو ليس إخباراً بالمُغيبات من عنديات الشياطين أو الكهنة، وإنّما هو خبر سمعه الشيطان من المَلَك وأوصله للكاهن، ولا دخل لهم في ذلك أبداً)[١]

لذا، فهي أخبار لا يُمكن الركون إليها، أو تصديقها، لكونها من أمور الغيب، وقد حصر الله تعالى علم الغيب بهِ أو بمَنْ ارتضى من رسول، وهؤلاء قطعاً ليسوا رُسلاً، فإنْ صدّقناهم كذّبنا القرآن، وإنْ كذّبناهم صدّقنا القرآن، وإنّ أجمل ما قيل عن ذلك، هو قول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لذلك المُنجم في مسيره إلى الخوارج: (أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة التي مَنْ سار فيها صُرِفَ عنه السوء، وتخوّف من الساعة التي مَنْ سار فيها حاق بهِ الضُرّ؟ فمَنْ صدّقَ بهذا فقد كذّبَ القرآن، واستغنى عن الإعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمركَ أنْ يوليك الحمد دون ربهِ لأنّك بزعمك أنتَ هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمِنَ الضرّ... ثُمَّ أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إياكم وتعلم النجوم إلاّ ما يُهتدى بهِ في برٍ أو بحرٍ، فإنّها تدعو إلى الكهنة، والمُنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، سيروا على اسم الله)[٢].

ومن المُفيد التنويه هنا: إنّ تنزل الشياطين على (كل أفّاك أثيم) ليس مختصراً على زمان ومكان، بل هي تتنزل على (كل أفّاك أثيم) في كل زمان ومكان، فقد ورد في الخصال: (أبي، ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما قالا: حدثنا محمد بن يحيى العطار وأحمد بن إدريس جميعاً، عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن يعقوب

(١) قمنا بتقسيم الشق الثاني إلى مرحلتين أخذاً برأي أحد الفضلاء في إحدى ملاحظاته، فجزاه الله خيراً – المؤلف.
(٢) نهج البلاغة – شرح الشيخ محمد عبده ١/١٢٨-١٢٩.

بن يزيد، عن الحسن بن علي بن فضال، عن داود بن أبي يزيد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الشعراء: ٢٢١-٢٢٢)، قال: هُم سبعة: المغيرة، وبنان، وصائد، وحمزة بن عمارة البربري، والحارث الشامي، وعبد الله بن الحارث، وأبو الخطاب)[١]، فالرواية واضحة الإشارة إلى ذلك، فكما أنّ الشياطين كانوا يتنزلون على (كل افّاك أثيم) في الأزمنة السابقة للخاتم صلى الله عليه وآله وسلم فكذلك كانوا يفعلون في زمانه صلى الله عليه وآله وسلم، وهُم كذلك من بعده، وإلى يوم الناس هذا، مع فارق الإيحاءات الشيطانية وأساليبها الحديثة.

نعم، هناك أقوال تُفيد: أنّ أشخاصاً قد أخبروا بوقوع بعض الحوادث مستقبلاً، وقد وقع بعضها فعلاً، ورأينا فيها الآتي: -

- إنّ قائلها، قد توفر له الاطلاع على بعض علوم الأنبياء والأوصياء، واقتبس ما أخبر بهِ منها، وهو احتمال وارد، ويكون هذا الإخبار صحيحاً، ويُصنف على الشق الأول المذكور آنفاً.

- إنّها أخبار مُبالغ فيها، وليس كل ما قيل عنها صحيحاً، أو أنّ بعضها وضِعَ بعد حدوث الحدث ونُسب إلى شخص بأنّه قالها سابقاً.

- أو إنّ قائلها لديه نوع علم يتمكن بواسطته من تجميع العلل ومعلولاتها، والأسباب ومسبباتها، وبعد دراسة أحوال الأُمم وسيرها وتصرفها، واتجاهاتها وتفكيرها وأهدافها وأغراضها، وما تُريد تحقيقه، فتجتمع عنده إشارات وإمارات، وعلى ضوئها يصدر حكمٌ: بأنّه سيكون أو سيحدث الشيء الكذائي، في الزمن الكذائي، وهي عبارة عن تكهنات أو احتمالات ظنيّة غير مقطوع بصحتها، وهي ما يُسمى اليوم (بالتنبؤات).

(١) الخصال - الشيخ الصدوق - ص ٤٠٢.

ومن أمثلتها: علم الأنواء الجوية، فقد تطالعنا الأخبار - عن طريق الراديو أو التلفاز - بأنّ الجوّ في البلد أو المنطقة الفلانية ليوم غد سيكون صحواً ومُشمساً، إلاّ أنّنا نفاجأ بجو غائم وممطر، والعكس صحيح أيضاً.

فهو علم قائم بذاته، يعتمد على جمع الظواهر الطبيعية وتحركاتها، وسير الرياح واتجاهاتها، وكل ماله علاقة بذلك من علل ومعلولات، وأسباب ومسببات، فيصدر الحكم على نوعية الجوّ استناداً لذلك، ولكنّها ليست قطعية الصحة، وهي ظنيّة، قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩) صدق الله العلي العظيم.

أو أنّ قائلها أطلقها استناداً إلى ما يُسمى (بتحضير الأرواح)، ويدعي أنّ (روح فلان) هي التي أخبرته بما يدعيه، والذي سنتعرض له لاحقاً - إن شاء الله تعالى -.

- وفيما يخص أعمال الحُبّ والبغض: فقد تطرقنا لذلك عند التعرّف عن معنى قوله تعالى: ﴿وما هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية١٠٢)، في الصفحة (٩٧)، فراجع.

- أما ما يخص العقد والحلّ: فهو غالباً ما يحدث عن سبب نفسي (الخجل مثلاً) ويزول عند التشجيع، وإخبار ذي العلاقة بأنّ ما به قد زال بفعل بعض الأعمال.

وهذا الشيء يحدث عادة عند المتزوجين حديثاً، فقد يعجز الرجل عن مقاربة زوجته جنسياً لأيام أو أسابيع، بسبب قلة الخبرة، أو الخجل المفرط - خصوصاً عند الملتزمين دينياً - أو لغير ذلك، وعند الذهاب إلى مَنْ يعتقدون أنّه يستطيع حلّ العقد (أي العمل)، فيقوم ببعض الأمور، كقراءة آيات قرآنية أو أدعية مأثورة، أو شيء آخر من هذا القبيل، ثُمَّ يُخبر ذلك الرجل العاجز: بأنّه أصبح سليماً وقد زال ما كان به

وأنّه الآن رجل سوي، ويطلب منه الدخول على زوجته بعد أن يُفرد لهما مكاناً بعيداً عن الأنظار، ويأمره بأن لا يخرج إلاّ بعد قضاء حاجته، فيدخل هذا الشاب أو الرجل على زوجته بعزيمة جديدة، معتقداً أنّ ما بهِ قد زال، وفعلاً يتحقق المطلوب.

وقد زارنا يوماً صديق أحد أولادي، وكان أخوه قد تزوج حديثاً، وعجز عن مقاربة زوجته، وطلب المساعدة في هذا الأمر، وأنا - والله يشهد- لم أُمارس مثل هذه الأعمال أبداً، لعدم معرفتي بذلك أولاً، ولست من أهل الصنعة ثانياً، ولعدم الحاجة إليها ثالثاً، إلاّ أنّني، ومن باب أبداء المساعدة وفعل الخير، تذكرت أنّ هناك أدعية مأثورة عن المعصومين عليهم السلام لها علاقة بذلك، فأخرجت أحدها وكتبته وأعطيته لذلك الزائر، وطلبت منه أن يُخبر أخاه بأنّه سليم وقد زال ما بهِ، كما طلبت منه أن يجعل لأخيه وزوجته مكاناً بعيداً عن المراقبة، وفعلاً - ولله الحمد- أخبرونا بأنّه جاز على زوجته.

وقد حصل ذلك ببركات الدعاء أولاً، وبما تولد في نفسية ذلك الشاب من ثقة واطمئنان وزوال الخجل ثانياً.

أما إذا كان (العقد أو العجز) بسبب مرض عضوي، فالطب هو المتكفل بذلك، وإنْ كان (العقد والعجز) بمشيئة ربانية، فلا يُمكن لأحدٍ إزالته، لا المُعزّم ولا الطب، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى ٤٩-٥٠).

- أما ما يخص التنويم والتمريض، وعقد النوم، فالقول عنها: -

لقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسان في أحسن تقويم، وزوده ببدن وأجهزة عجيبة

الصنع، ومُذهلة الأعمال، وانطوى حجمه الصغير على عوالم مختلفة:

أتحسب أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر[1]

وأودع فيه، وفي أجهزته إمكانات وطاقات لو اكتشفت واستغلت لجاءت بالعجائب والغرائب والخوارق.

وقد يُستدل على ذلك بما رواه التاريخ، بأنّ الفيلسوف (الفارابي) صنع آلة عزف موسيقية، وهي(العود) ودعا جماعة ليريهم صناعته وآثارها، فعزف أولاً نغماً مُعيّناً، فأبكى جميع الحاضرين، ثُمَّ عزف نغماً آخر، فأضحكهم جميعاً، ثُمَّ أبدل بعض الأوتار وعزف نغماً آخر، فأنام الجميع، وتركهم وخرج[2].

وهذا - إنْ صحَّ - ودلَّ على شيء، فإنّما يدل على أنّ الرجل كان عنده نوع علم يستطيع من خلاله أن يُثير مكامن الفرح والحزن والنُعاس في أجهزة الإنسان، ولم يكن ذلك سحراً أو شعبذة منه، وإنّما هو علم تمكن من طريقه استثارة تلك الطاقات الكامنة في جسم الإنسان، فأعطت تلك النتائج والآثار الخارقة للعادة.

وفي اعتقادنا: أنَّ قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس: من الآية ٢٤)، قد يكون فيه إشارة إلى تقدم العلوم كافة، خصوصاً الطبية، بحيث تصبح مُعالجة جميع الأمراض - بما فيها المستعصية والتي لا علاج لها حالياً، كالسرطان وغيره - أمراً ميسوراً وسهلاً، ويتقلص وجودها

---

(١) من الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

(٢) الموسوعة العربية العالمية – باب العود – ص ٤، وقيل: إن القصة ذات طابع أسطوري، توحي بمقدرة الفارابي في العزف على العود، وأنه وبمصاحبة بعض العازفين عزف ذلك اللحن وكان مُسجل على قرطاس، وأحدث هذه الآثار المختلفة.

كثيراً، أو تزول ولا يبقى لها وجود، حتى يظن الإنسان أنّه لا موت بعد ذلك.

ومن الأخبار التي تصف تقدم جميع العلوم في زمن دولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، أنّ الرجل لا يموت حتى يولد له ألف مولود ذكر، وهذا معناه: إنّ الأعمار ستكون طويلة، لخلو زمانهم من الأمراض المختلفة، نتيجة تقدم الطب والقضاء عليها، أو أنّ علاجها سيكون متوفراً للجميع بسهولة ويسر، أو عن طريق استبدال الأعضاء التي تُصاب بأعضاء صناعية غيرها (قطع غيار)، أو أنّ الإنسان حينها يكتشف تلك الإمكانات والطاقات التي أودعها الله تعالى في نفسه وبدنه، فيستخدمها في علاج أمراضه بنفسه بمجرد أن يأمر ذلك العضو المريض أو المكسور بالشفاء أو الانصلاح، فيتم ذلك، أو أن يأمر سبب وعلة المرض بالزوال فتزول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣).

فالتنويم والتمريض الذي يُمارس في عصرنا، قد يكون من هذا النوع، وهو: معرفة استثارة مكامن الطاقات عند الإنسان فيحركها ببعض الأفعال والأقوال، فتُعطي ثمارها، وهي ليست من السحر أو الشعبذة ونحوها والله أعلم.

يقول الطباطبائي: (نعم، من الممكن أن يكون بعض أصحاب هذه الطرق غير الدينية كأصحاب السحر والأرواح ونحوهما إنّما تنبّه إلى هذا النوع من عرفان النفس من غير طريق الدين، لكن لا من جهة الفطرة، إذ لا حكم لها في ذلك كما عرفت، بل من جهة مُشاهدة بعض الآثار النفسانية الغريبة على سبيل الاتفاق، فتتوق نفسه إلى الظفر بمنزلة نفسانية يملك به أعمالاً عجيبة وتصرفات في الكون نادرة تستغربها النفوس، فيدفعه هذا التوقان إلى البحث عنه والسلوك إليه، ثُمَّ السلوك بعد السلوك

يُمهد السبيل إلى المطلوب ويُسهل الوعر منه)[١].

وقد عرّف الطباطبائي (سبيل الاتفاق، أو سببيّة الاتفاق) بما معناه، وليس نصاً، بالآتي: -

(السببيّة الاتفاقية: مثل، بعث الغراب لإراءة قابيل كيفية مواراة جُثّة أخيه هابيل بعد أن قتله، فهي بحسب النظر الظاهري (سببيّة اتفاقية) كسائر الأسباب الاتفاقية... فالله سبحانه هو الذي بعث الغراب وغيره إلى عمل يتعلم بهِ الإنسان شيئاً، فهو المُعلم للإنسان... وهذا هو السبيل في جميع ما يُسند إليه تعالى في عالم الأسباب، فالله تعالى هو خالقه، وبينه وبين مخلوقاته أسباب هي الأسباب بحسب الظاهر وهي أدوات وآلات لوجود الشيء، وإن شئت فقل: هي من شرائط وجود الشيء الذي تعلق وجوده من جميع جهاته وأطرافه بالأسباب، فمن شرائط وجود (زيد) الذي وَلَدَهُ (عمرو وهند) أن يتقدمه عمرو وهند، وازدواج وتناكح بينهما، وإلاّ لم يوجد زيد المفروض، ومن شرائط (الإبصار) بالعين الباصرة أن تكون قبله عين باصرة، وهكذا... وبعد اكتشاف ذلك الأثر على سبيل الاتفاق، يأخذ بالبحث عنه ويتعلم علم إثارته، وبعد إتقان طرق الإثارة لذلك الأثر، يقوم بالتمرن عليها ويتقنها، وذلك يُمهد السبيل إلى المطلوب ويُسهل الوعر منه... الخ)[٢].

وبالتالي، فكل ذلك لا يرجع إلى مقتضٍ نفسي كما هو عند الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته المعصومين عليهم السلام، وإنّما هو علم خاص، إما علم استثارة مكامن وإمكانات وطاقات النفس أو البدن الإنساني الكامنة - كما فعل الفارابي - وإما علم السحر وفنونه وطرقه.

---

(١) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ٦/١٨٩.

(٢) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ٥/ ٣١٥-٣١٦، بتصرف واختصار.

- أما ما يخص تحضير الأرواح، فمُدّعوه على نوعين:

فمنهم مَنْ يدعي تحضير أرواح الأحياء، ومنهم مَنْ يدعي تحضير أرواح المتوفين (الموتى)، وقولنا عن ذلك الآتي: -

النوع الأول - بالنسبة لمن يدعي تحضير أرواح الأحياء، فالقول عنه: -

(١- لا دليل لمن يدعي تحضير الأرواح على ذلك، وإنّما يتم حضورها في خيالهم أو حواسهم دون الخارج، وإلاّ لرآه مَنْ حضر عندهم، وللكل حسّ طبيعي..

٢- إنَّ الإنسان الحيّ له روح واحدة، فكيف يحضرها من غير أن يشعر بهِ...

٣- إنَّ الروح جوهر مُجرد، لا نسبة له إلى زمان ومكان دون زمان ومكان، وهذا ينفي أنّ: الروح ربّما تحضر عند أحد بغير الصورة التي تحضر بها عند آخر...

٤- إنَّ الأرواح التي يدّعون حضورها، ربّما تكذب في إخبارها، وربّما يُكذّب بعضها بعضاً..

[ومثاله: لو أنّ شخصاً ما، ذهب إلى أحد مدعي تحضير الأرواح، وطلب منه تحضير روح شخص مُعيّن، وسأل تلك الروح عن أمور مُعيّنة، ثُمَّ ذهب إلى مدعي تحضير آخر، وطلب منه تحضير نفس تلك الروح، وسألها عن نفس تلك الأمور التي سأل عنها سابقتها، فقد يكون الجواب مُخالفاً لما أخبرت بهِ قبل ذلك، أو تُكذبه]...

وإجمالاً: إنَّ الروح التي تحضر عند مشاعر الشخص المُحضِر لا في الخارج منها، على حدّ ما تحسّ بالأشياء المادية الطبيعية... الخ)[1].

وهنا أورد أحد الفضلاء ملاحظة قال فيها:

---

(١) العلامة الطباطبائي - في تفسيره الميزان ١/٢٣٩-٢٤٠، والمثال بين المعقوفتين للمؤلف، كما أنّ هناك تحفظاً لدينا على بعض المفاهيم، خصوصاً بالنسبة للتسلسلين ٢و٣ منها) المؤلف.

(١- الروح لا يُرى - ٢- إذا كان الروح جوهر مُجرد فكيف تفترض له صورة - ٣- كيف عرفت أنّ بعض الأرواح يُكذب بعض؟ أين الدليل؟ والخلاصة: لا أحد يدعي ممن حضر مجالس تحضير الأرواح بأنّه رأى روحاً، بل كل الذي يحصل هو رؤية آثاره كحركة الفنجان على رقعة الحروف، ثم جمع هذه الحروف للحصول على الجواب أو حركة القلم بيد الوسيط الذي هو عادة طفل فيكتب...) انتهى.

وفي جوابه نقول: -

أ - إنّ الأقوال المذكورة من تسلسل ١-٤، فهي مما ذكرها السيد الطباطبائي وليست لنا، وقد ذكرنا ذلك في هامش الصفحة، ما عدا المثال فإنّه لنا وقد نوهنا لذلك أيضاً في نفس الهامش.

ب - قد يقصد صاحب القول من ذلك، بأنّ المُحضر يُخبر الحاضرين عنده بأنّ (روح فلان) قد حضرت، وهذا الإخبار يكون قبل رؤية آثارها (كحركة الفنجان) أو غيره، وهذا معناه: أنّه قد رأها، فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم يرها غيره ممن له حسّ طبيعي مثله؟ إذن فحضورها يتم في خيالهم فقط دون الخارج.

وعلق الأخ على ذلك قائلاً:

(هل الغير له نفس إمكانية (المُحضر) وأهليته؟ ولماذا فرض الرؤية، لِمَ لا يكون الأمر إحساساً روحياً عنده؟).

وجوابنا عنه:

إن صاحب المقال مُلتفت لذلك، لذا قال: إن كان حضورها عن أحساس، فلماذا لم يحس بها غيره ممن له حس طبيعي مثله؟ وإنّما حصر حضورها في خيال المُحضر فقط دون الخارج.

ج - نعم، إنّ الروح قد يُرى، ولكن بحالات مُحددة: -

منها- إذا ارتدت بدنها المثالي البرزخي، فيمكن لمن كُشِف الغطاء عنهم رؤيتها، وهذا ما حصل مع أمير المؤمنين وأرواح المؤمنين المتوفين في الجبّانة في ظهر الكوفة، وهو ليس متوفراً للجميع إلاّ في عالم البرزخ بعد الوفاة.

ومنها- واستناداً إلى نظرية (الحقائق والرقائق) فإنّ الروح قد تحضر برقيقتها، ويراها البعض، كحضور أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة الحادي عشر من المحرم في كربلاء، وكذلك رؤية المعصوم من قبل البعض، وخصوصاً رؤية الإمام المنتظر عليه السلام كما ثبت في الروايات.

ومنها- قد تُرى أرواح الموتى، أو الأحياء في الرؤيا أثناء النوم. والله أعلم.

د - لو رجع أحد الفضلاء إلى ما ذكرناه في الهامش (١) من الصفحة (١٣٣) لوجد أنّنا تحفظنا على ما جاء بالتسلسليين (٢و٣) من تلك الأقوال.

هـ - لقد احتاط صاحب القول بشأن كذب الأرواح المُحضَرة فقال: (ربّما تكذب في إخبارها)، وتعبير (ربّما) ليس قطعياً، وإنّما يُصنف على الافتراض أو الاحتمال، وقد نهجنا في المثال الذي سقناه نفس الاحتياط، إذ قلنا: فقد يكون الجواب مُخالفاً... الخ، وتعبير (قد) ليس قطعي النتيجة، وإنّما هو من الافتراض أو الاحتمال.

النوع الثاني - بالنسبة لمن يدعي تحضير أرواح المتوفين (الأموات): -

إنَّ مَنْ يدعي تحضير أرواح المتوفين (الأموات)، فادعاؤه باطل وكاذب، لمُخالفته مصادر التشريع الإسلامية الأربعة (الكتاب، والسُنّة، والإجماع، والعقل)، وإليك بيانه:

و - فأمّا كونه يُخالف الكتاب: فإنّنا لم نجد آية قرآنية تُخبر أنّ نبياً أو وليّاً أو كائناً مَنْ كان يستطيع إحضار أرواح المتوفين (الأموات)، وإنّما هناك آيات تُخبر بأنّ

أنبياء أعادوا أمواتاً إلى الحياة بعد الدعاء وحصول الإذن الإلهي.

ز - أما مُخالفته للسُنّة، فكذلك لم نجد في السُنّة شيئاً من هذا القبيل، وإنّما وجدنا فيها: أنّ أنبياء وأولياء دعوا الله، وبعد استجابة الدعاء والإذن من الله، استطاعوا ردّ الحياة لبعض الأموات، أو مُحادثتهم كأشخاص، وليس كأرواح.

أما ما رويّ عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام من مُجالسته لأرواح بعض المؤمنين ومُحادثتهم في (الجبّانة) في ظهر الكوفة، فذلك انكشاف خاص بهِ وبأمثاله، ثُمَّ، إنّه كان يرى أرواحهم بأبدانها المثالية البرزخية، كما أنّه ليس هو الذي أحضر أرواحهم في ذلك المكان، وإنّما كانت هي متواجدة فيه، ومن قبل الله تعالى.

ح - وأما مُخالفته للإجماع: فلعدم وجود ما يدل على ذلك في الروايات والأخبار الواردة في مراجع ومصادر المسلمين المُعتبرة، وإن كان هناك بعضها، فهي: إما مجهولة السند، أو أُحادية المصدر لا يُمكن الأخذ بها والتعويل عليها، فلا يُلتفت إليها.

ط - وأما مُخالفته للعقل: فمن المعلوم من الروايات الدينية، أنّ الأرواح التي تعود إلى بارئها بعد الموت، تكون في عالم البرزخ، هي أرواح (مَنْ محض الإيمان محضاً) و(مَنْ محض الكُفر محضاً) فقط، أما أرواح بقية الناس، فيُلهى عنها وتترك لحين قيام الساعة وكأنّهم هُم الذين يقولون: ما لبثنا إلاّ يوماً أو بعض يوم، أو، ما لبثنا إلاّ ساعة..الخ

فأرواح الذين (محضوا الإيمان محضاً)، هي أرواح عالية، أطاعت الله في دار التكليف حق طاعته، وارتفعت إلى مستوى عالٍ من الإيمان والتقوى، فنالت درجات القرب من الله والفوز بالسعادة الأبدية، وهي أرواح الأنبياء والرُسل والأولياء والمؤمنين المخلصين.

أما أرواح الذين (محضوا الكُفر محضاً)، فهي أرواح مَنْ عصى الله وتمرد على الدين، فتسافلت أرواحهم إلى الحضيض، فاستحقت البُعد من رحمة الله، والخلود بالشقاء الأبدي، وهي أرواح الطُغاة والظلمة وحُكام الجور ومَنْ باع دينه بدنياه.

كما وردَ في الروايات: أنّ عالم البرزخ عالم عجيب، وهو عالم التصفية والإعداد وتغيّر الصور قبل يوم القيامة الكُبرى، وفيه جنّة يتنعم بها المؤمنون، ونار يتعذب بها الكافرون والعاصون، وهو عالم منضبط جداً، تحكمه قوانينه وأنظمته الخاصة بهِ، وهي غاية في الدقّة والشدّة، ترتدي فيه الأرواح الأجساد البرزخية أو المثالية أو الأثيرية، التي إذا رأيت أحدهم فيها عرفته أنّه فلان الذي كنت تعرفه في الدُنيا.

وإنّ لهذه الأرواح مقامات ودرجات مُختلفة لاختلاف المكانة وشدة الاعتقاد، وطهارة النيّة وخلوصها، وإنّ أرواح المؤمنين، يأذن الله سبحانه لها بزيارة أهلها من الأحياء في نشأة الدنيا، أو زيارة وتعاهد حفرها (قبورها)، وبأوقات متفاوتة، كل حسب مكانته ودرجته، فمنهم مَنْ يُسمح له بالزيارة أسبوعياً، وآخرون شهرياً، وهكذا، وأنّ هذه الزيارات لا تتم إلاّ بإذن من الله سبحانه، وبمصاحبة ملائكة خاصين لهذه المهام، يرافقون الروح ذهاباً وإياباً، حتى يُعيدوها إلى مكانها في ذلك العالم.

ولا يُمكن للروح - مهما كانت - أن تتصرف من تلقائها وبدون إذن ربها، فهي لا تستطيع الخروج عن نطاق الدائرة المحددة لها هناك.

وقد وردَ في الأخبار، بأنّ الله تعالى، قد يأذن لبعض الأرواح بالتجوال في أقطار السماوات وغيرها متى شاءت، ويكون بعضها حُرّاً، والذي (نحتمله): إنّ مثل هذه الحالات، هي من شؤون عالم الآخرة، وليس في عالم البرزخ، إذ بعد يوم الفصل والقيامة الكُبرى يستطيع أهل الجنّة القيام بأيّ شيء يشاءون، وكما يشتهون. والله أعلم.

وبعد معرفة ذلك، فكيف يُعقل أن نُصدّق إنساناً، قد يكون جاهلاً، أو غير مسلم ولا مؤمن، وربّما يكون مُشركاً أو مُلحداً، يستطيع إحضار روح النبيّ أو الرسول الفلاني، أو روح الولي، أو المؤمن، ويوجه إليها الأسئلة، وأنّ تلك الأرواح تكون طوع أمره، لا تُخالفه وكأنّه هو المُتصرف في شؤونها، يُحضرها متى وأنّى شاء، وفي أيّ وقت ومكان يرغب.

كيف نُصدّق ذلك، بعد علمنا: أنّ عالم الأرواح في البرزخ عالم منضبط أدق الانضباط، وتحكمه قوانين وأنظمة إلهية صارمة، تُنفذها ملائكة لا يعصون أوامر الله طرفة عين، ولا يقدر أحد من التلاعب بها.

إذا عرفنا ذلك: نعلم أنّ ما يقوم بهِ هذا المُدعي (مُحضر الأرواح) ما هو إلاّ إدعاء كاذب، وأنّ الذي يجري على يديه، قد يكون من حركات الجنّ والشياطين وأرواحهم السائبة.

ويجب للمؤمن، أن يعتقد: أنّه ليس بمقدور هؤلاء المُشعبذين التصرف في الأرواح في عالمها الخاص، وليس لهم سلطان عليها. والله العالم)[1].

وقد أورد أحد الفضلاء هنا ملاحظات، هي: -

الأولى- قال فيها: (ص - ١٣٦ الفقرة (أ) قولكم: (مُخالف للكتاب) دعوى ينقصها الدليل، فعدم (الذكر) شيء (والمُخالفة) شيء آخر، ولو أخذنا بهذا المبدأ لأصبح أكثر ما في الدُنيا مُخالفاً للكتاب، لأنّ القرآن لم يذكر جميع ما فيها، وهذا ينسحب على الفقرتين (ب - ج).

وفي جواب ذلك نقول:

---

(١) أغرب وأجمل المضامين في أقوال المعصومين ١/١٤٥-١٤٧ للمؤلف. باختصار وتصرف.

إنّ قول الأخ: (... لأنّ القرآن لم يذكر جميع ما فيها - أيّ ما في الأرض) فقد يكون هو القول الذي ينقصه الدليل للأسباب، أو الأدلة الآتية: -

أولاً- قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: من الآية٨٩) وقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: من الآية١١١)، وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: من الآية٣٨).

ثانياً- قول النبيّ المصطفى والوصيّ المرتضى عليه السلام في وصف القرآن: (في القرآن نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم)[١]، ومثله كثير، وفي مناسبات متكررة، ومصادر متعددة.

ثالثاً- وقول حفيده الإمام الصادق عليه السلام بهذا الشأن، إذ يقول: (فيه تبيان كل شيء) إذ وردَ عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر الجنّة وخبر النار، وخبر ما كان و[خبر] ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي، إنّ الله يقول: فيه تبيان كل شيء)[٢].

(وعن سُماعة، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أو تقولون فيه؟ قال: (بل كل شيء في كتاب الله وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم)[٣].

(١) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام - محمد بن سليمان الكوفي ٣٠/٢، ونهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام ٧٤/٤.

(٢) شرح أصول الكافي - المولى محمد صالح المازندراني ٢٩٩/٢.

(٣) المصدر السابق نفسه - ص ٣٠٣.

(عن... عن المُعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ وله أصل في كتاب الله عزَّ وجلَّ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال)[١].

(عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان، عن إسماعيل بن جابر، (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه)[٢]

(نقلاً عن بعض العلماء قولهم: إنّ لله تعالى في كل واقعة حُكماً)[٣]، وكثير من أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخُطب أمير المؤمنين وأقوال المعصومين عليهم السلام فيها ما يُشير إلى ذلك ويُثبته.

ومن ذلك يظهر: أنّ كل ما في الكون وبدء خلقه، وما في السماء والأرض، وما في الجنان والنيران، وماكان ويكون، كل ذلك له أصل في كتاب الله تعالى، ولكنّه ليس معلوماً ومعروفاً من قبل الجميع، وإنّما له أهله، لاختلاف العقول والأفهام، كما أنّه ليس بالضرورة أن يُذكر كل شيء باسمه الصريح في القرآن الكريم، وإنّما تُطبق أحكام الوقائع السابقة على مثيلاتها من الوقائع اللاحقة وإن لم يُذكر اسم الواقعة اللاحقة صراحة وهذا ينسحب على ما وردَ بالفقرتين (ب وج) المُشار إليهما. والله أعلم.

وعلق الأخ على أجابتنا هذه قائلاً:

(ألم تقل إنّه مُخالف للكتاب لأنّه لم يُذكر فيه، فكيف يكون جوابكم: أنّ كل شيء في الكتاب، وسقت هذه الروايات كلها، هذا أولاً، وثانياً: ما هو الجواب، هل ما

---

(١) المصدر السابق نفسه – ص ٢٨٦.

(٢) الكافي – الشيخ الكليني ٦١/١.

(٣) شرح أصول الكافي – المولى محمد صالح المازندراني ٣٠٣/٢.

لم يُذكر مُخالف للكتاب؟ كالهاتف النقّال مثلاً؟ حتى يخرج المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ويُخبرنا أين موقعه في القرآن؟)

وجوابنا عن هذه التعليقة هو:

لم نقل إنّه لم يُذكر فيه، بل قلنا: إنّه مُخالف للكتاب بدليل عدم وجود ما يُشير إلى مثل ذلك فيه، والمقصد والمُراد واضح.

ثُمَّ إنّ القرآن نزل عربياً، وفيه أصول الأمور، ومنها اللغة، فأصل الهاتف هو: الصياح أو رفع الصوت ليُسمع، وهما موجودان في الكتاب، أما النقّال أو النقل، فأصله الحمل أو الإيصال أو واسطة الإيصال، وكلها موجودة في الكتاب، والله أعلم.

الثانية- قال فيها:

(جميع الأموات موجودون في عالم البرزخ دون استثناء: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: من الآية١٠٠)، لكنّ الفرق، أنّ المؤمن مُنعم والكافر مُعذّب، وغيرهما مُلهى عنه كالنائم، وليس خارجاً من هذا العالم).

وعن هذه الملاحظة الثانية نقول:

إنّها ملاحظة قيّمة، ولكن هناك اختلاف في الأقوال عن أرواح (المُلهى عنهم) في عالم البرزخ، وقد تعرضنا لذلك بشيء من التفصيل في كتابنا (الإنسان من المُحتضر إلى المُستقر)، إلاّ أنّ الظاهر: أنّ أرواح هؤلاء ليست فاعلة في عالم البرزخ وإن كانت موجودة فيه. والله أعلم.

الثالثة- قال فيها:

قولكم: (عالم البرزخ عالم عجيب... وأنّ أرواح المؤمنين يأذن الله سبحانه لها بزيارة أهلها... وتعاهد حفرها...) ما المانع أن تزور مُحضر الأرواح إذا قرأ شيئاً من

القرآن يكون سبباً بحصول الإذن الإلهي للروح؟: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ (الرعد: من الآية ٣١).

وعن الملاحظة الثالثة نقول:

نعم، هناك روايات تُفيد بأنّ الأحياء إذا زاروا قبور موتاهم في وقت مُعيّن، من يوم مُعيّن، وقرأوا سوراً من القرآن المجيد مُعيّنة، فإنّ روح المتوفى تحضر عند حفرها - أيّ قبرها - وتفرح وتُسر بتلك الزيارة، وتدعو لزائرها، لكنّ الزائر لا يشعر بها، وكذلك عندما يأذن الله سبحانه لها بزيارة أهلها، فهم لا يشعرون بها، ولا يرون شيئاً من آثار حضورها كحركة مُعيّنة، أو أيّ شيء آخر يدل على ذلك، وهو خلاف ما يدّعيه محضرو الأرواح.

أما الآية المستشهد بها، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ (الرعد: من الآية ٣١)، فللمُفسرين فيها أقوال مُختلفة، أما عند مفسري مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكأنّه هو المُعتمد من الأقوال: أنّ المشركين من قريش وغيرهم، وعلى رأسهم أبو جهل، طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مطالب، فإنّ جاء بها آمنوا بهِ، ومن تلك المطالب أنّهم قالوا للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أبعد هذه الجبال عن مكة المكرمة حتى تتسع لنا الأرض المُنبسطة ونزرعها، وسخر لنا الرياح حتى تنقلنا المسافات البعيدة في سفرنا وتجارتنا، وأن تُحيي لنا أمواتنا ومنهم قُصي بن كلاب حتى يُخبرونا عن الجنّة والنار... الخ)[1]

فأخبر الله تعالى نبيّه بالآية المذكورة، أنّ هؤلاء حتى وإنْ تحقق لهم ما يطلبون لا يؤمنون، وقوله تعالى في ذيل الآية: ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ فيه إشارة لذلك، كما قد

(١) تفسير الأمثل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٧/٤١٤.

يكون فيه إشارة إلى ما جرى في عالم الذرّ حيث ثُبتت النتائج وجفَّ القلم، و(الآية قريبة المعنى من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الأنعام: من الآية ١١١) ونظير قوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ﴾ (الحشر: من الآية ٢١)[1].

وعلق الأخ على ذلك بقوله:

(كيف تعتبر هذه الآية خاصة وأشكلت علينا الآية التي تخص سحرة فرعون واعتبرها تعطيلاً لأحكام الكتاب المجيد.. بينما هي أوضح، ولدينا كثير من الآيات يشفى بها المريض ويفيق بها المصروع).

فجوابنا هو:

لم نعتبر حكمها خاص، فكل مَنْ انطبقت عليه تلك المواصفات، فمضمون الآية يشمله من الأولين والأخرين.

أما قوله تعالى في الآية المذكورة: (أو كُلم بهِ الموتى) فالمُراد منه إحياء الموتى، كما هو الثابت عند المفسرين وفي الروايات، وليس المقصود منه: تكليم أرواحهم من قبل مُحضر الأرواح.

ولو أخذنا بالرأي الذي يقول: إن في القرآن علوماً تُسيّر بها الجبال وتُقطع فيها البلدان، ويحيى فيها الموتى فإنّ ذلك غير مُتيسر للجميع، وإنّما له أهله، وهُم محمد وآله المعصومين عليهم السلام، فقد وردَ عن محمد بن يحيى، عن.. عن أحمد بن حماد، عن إبراهيم عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السلام... والحديث طويل... إلى أن قال:

---

(١) الطباطبائي – في تفسيره الميزان ١١/٣٥٩.

يقول الله في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ (الرعد: من الآية٣١) وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تُسيّر بهِ الجبال أو قُطعت بهِ البلدان، وتُحيى بهِ الموتى... الخ)[١].

ومنه نفهم: إنه لا مُحضر الأرواح ولا غيره يُمكنه تحصيل مثل هذه العلوم والمعارف، لأنّها خاصة ولها أهلها وحملتها، وبها يتمكنون من كل ذلك، لأنّها من الولاية التكوينية التي منحها الله عزَّ وجلَّ لهم دون سواهم. والله أعلم.

الرابعة- قال فيها:

(أظن أن احتمالكم غير وارد بخصوص تجوال الأرواح في السماوات أنّه في عالم الآخرة، وذلك لاختلافه مع كثير من آي الكتاب العزيز: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ (الأنبياء: من الآية١٠٤) و: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن: ٣٧) وغيرها كثير، هذا أولاً، وثانياً، الحديث عن الأرواح، والناس يوم القيامة أبداناً كاملة، يأكلون ويشربون، ويلبسون الملابس، ثُمَّ ما هذه الحُفر التي يتعاهدونها والله يقول: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (الانفطار: ٤) فلا قبور ولا بحار ولا جبال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ (طه: ١٠٥).

وجواباً عن ذلك نقول:

إن الآيات المُستشهد بها، كطي السماء، وانشقاقها، وبعثرت القبور، وتسجير البحار، ونسف الجبال وغيرها، فهي كلها تحدث عند النفخة الأولى في الصور، وهذا معناه: دخول الأرواح، والطينة الباقية المُستديرة في القبر التي خُلق منها الإنسان أولاً، وفيها الروح القديم المأخوذ عليه الميثاق، في نشأة جديدة اسمتها الروايات (النومة -

(١) الكافي - الشيخ الكُليني ١/٢٢٦.

أيّ، الفترة بين النفختين) والتي لا يعلم مقدارها إلاّ الله تعالى والراسخون في العلم، فهي تتراوح في أقوال المعصومين عليهم السلام بين (ما شاء الله، وأربعين سنة، وأربعمائة سنة) وغير ذلك، وهي من مراحل إعداد الجسد المادي ليكون ملائماً لأجواء الحياة الأُخرى، سواء في الجنّة أو في النار، ويكون في صراط الحركة، ودور الإعداد والاستعداد والتبدل، والانتقال من حال إلى حال، ومن صورة إلى أُخرى، حتى ينتهي إلى الصورة الأخيرة الجامعة لجميع الصور إلى أن يبلغ الغاية التي يكون بها بدناً أُخروياً، ويصلح للاتصال بالروح ثانية هناك، ولا علاقة لها بما يجري في عالم البرزخ قبل النفخة الأولى.

أما بعد النفخة الثانية، فإنّ الله عزَّ وجلَّ يُخبرنا بقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ (إبراهيم: من الآية٤٨)، فيُحشر العباد على أرض أو أراض جديدة، وتحت سماء أو سماوات جديدة، فإذا عرفنا ذلك، يكون احتمالنا بخصوص تجوال الأرواح بأبدانها الجديدة المُهيأة لتلك الدار، وارداً ومقبولاً، وعلى تفصيل ليس هنا محله.

وقد علق الأخ على هذه الإجابة قائلاً:

(الأرواح تحمل هذا الاسم إذا كانت من غير أبدان، أما إذا حلت في البدن فتحمل اسماً آخر كفلان أو الناس، فالله يقول (يا أيها الناس) ولم يقل يا أيها الأرواح، إذاً المعني بالرواية هي أرواح بلا أبدان).

وجوابنا على ذلك:

ليس هناك أرواح بلا أبدان، وفي كل النشآت، ففي الرحم والدُنيا ببدنها المادي، وفي البرزخ ببدنها المثالي البرزخي، بحيث إذا رآه من يعرفه يقول هذا فُلان، وفي يوم

القيامة يعود إليها بدنها المادي الأصلي بعد التصفية وبأجزائه الأصلية دون الفضلية، وقد يكون التعبير في الرواية: (يأذن لبعض الأرواح)، أيّ، الأشخاص أو الناس، كما أنّ ما ورد في رأيكم ليس ببعيد، والله أعلم.

أما الحُفر التي تتعاهدها الأرواح - كما ثبت في الروايات - فهي قبورهم التي دُفِنوا فيها، وأنّ هذا التعاهد لها قبل النفخة الأولى وليس بعدها.

الخامسة- قال فيها:

(قولكم: (يُحضرها متى شاء وأنّى شاء، وفي أيّ وقت ومكان يرغب) فليس الأمر كذلك، فهناك أيام مُعيّنة، وأوقات مُعيّنة، وفي مكان طاهر، ويفرش على الطاولة تحت اللوح قماش أبيض، ويُبخر المكان، ويشترط ألاّ يكون أحد فيهم مُجنباً، وأن يُكثروا من التهليل... الخ) انتهت.

فقولنا عنه: ليس كل مُحضري الأرواح كذلك، فقد يكون هذا حال بعضهم من المسلمين، أما غيرهم من غير المسلمين، أو اللادينيين، فهل يفعل ذلك أيضاً؟ نعتقد أنّ ذلك لا يحصل، إذ لم يُنقل في أخبارهم مثل هذه الأمور، هذا أولاً، وثانياً، قد يكون قصد من يقوم بمثل هذه الأمور هو التمويه والخداع لإعطاء صبغة قُدسية لعمله، أو لإضفاء جوّ نفسي يؤثر بالحضور، ويُستفاد المُحضر منه. والله أعلم.

ونرى من الضروري أن نذكر هنا حالة غريبة ذكروها عن تحضير أرواح الأحياء، ومناقشتها، وهي قولهم: (... وربّما أحضروا روح إنسان حيّ فيستنطقونه بأسراره وضمائره، وصاحب الروح في حالة اليقظة مشغول بأشغاله وحوائجه اليومية لا خبر عنده من أنّ روحه مُحضر مُستنطق يبُث من القول ما لا يرضى هو ببثه)[1].

(١) العلامة الطباطبائي – في تفسيره الميزان ٦/١٨٩.

والتأمل في هذا القول يقودنا للآتي: -

من المعلوم من أقوال المعصومين عليهم السلام أنّ الروح غير داخل في البدن وغير خارج منه، وإنّما هو مُحيط فيه، فقد وردَ (عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (مثل المؤمن وبدنه كجوهرة في صندوق إذا خرجت الجوهرة منه طرح الصندوق ولم تتعب بهِ، وقال: إنّ الروح لا تُمازج البدن ولا تداخله، إنّما هو كالكلل للبدن مُحيطة بهِ).

وفي رواية أُخرى: (إنّ الأرواح لا تمازج البدن ولا تؤاكله، وإنّما هي كلل)[١].

كما وردَ عنهم عليهم السلام: (إنّ الأرواح متعددة وليس واحدة، فهي في الأنبياء والأوصياء خمسة (روح الحياة، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الإيمان، وروح القدس)[٢].

أما غيرهم من سائر الناس، فمنهم من فيه أربعة أرواح، ومنهم من فيه ثلاثة...الخ.

وكما وردَ عنهم أيضاً (عليهم الصلاة والسلام): (إنّ المرء إذا نام فإنّ (روح الحيوان) باقية في البدن، والذي يخرج منه (روح العقل)... وأمّا أرواح الحياة فإنّها في الأبدان لا يخرج إلاّ بالموت... ولو كانت روح الحياة خارجة لكان بدناً مُلقى لا يتحرك... الخ)[٣].

وهنا تظهر أسئلة: -

س١ - إذا كان الروح مُحيط بالبدن مثل إحاطة (الكلة: التي هي الستر الرقيق،

(١) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٤٨٣ ح ١٢

(٢) أصول الكافي ١/٢٧٢.

(٣) بحار الأنوار - الشيخ المجلسي ٥٨/٤٣.

يُخاط كالبيت يتوقى فيه من البق والذُباب)[١] فما مقدار مسافة إحاطة الروح بالبدن؟ هل هي بالأشبار، أم بالأمتار، أم أقل أو أكثر من ذلك؟.

س٢- إذا كانت الروح المُحضرة هي (روح الحياة) التي فيها (النَفَس والحركة) فكيف يبقى بدنها في حالة اليقظة ويُمارس أشغاله وحوائجه اليومية؟ ولماذا لم يصبح جُثّة هامدة لا حراك فيها؟ أيّ، يصبح ميّتاً، فيُعلم خبره من قبل أهله، أو ممن كان معه أو بقربه في عمله، أوغيره؟ إلاّ أنّ شيئاً من هذا لم يحصل؟.

س٣- إذا كان الروحي - أيّ مُحضر الأرواح - في مدينة أو مُحافظة ما، وكان صاحب الروح المُراد إحضارها في مدينة أو مُحافظة أُخرى، تفصل بينهما عشرات أو مئات الكيلو مترات، فكيف يحصل ذلك؟ وكيف يبقى صاحب الروح المُحضرة في حالة اليقظة ومشغول بحوائجه اليومية مع بُعد المسافة بين بدنه وروحه؟ وهو شيء لا يحصل إلاّ في عالم البرزخ، وعلى تفصيل في مضانه؟.

س٤- إذا افترضنا أنّ هذا يحصل وفق نظرية (الحقائق والرقائق) وأنّ الروح التي تحضر عند الروحي - المُحضِر - هي الرقيقة، وأما الحقيقة فتبقى في بدنها، فكيف يُمكن للرقيقة أن تبُث من الأسرار ما لا يرى صاحبها ببثه، وهما شيءٌ واحدٌ؟.

س٥- أما إذا افترضنا أنّ الروح المُحضرة، ليست روح الحياة، وإنّما روح أُخرى من باقي الأرواح: -

- فإنّ كانت روح الإيمان - أيّ، العقل - فمعناه: أنّ صاحبها يبقى خالياً من العقل وثماره من فكر وإيمان وغير ذلك طيلة فترة الجلسة، ويكون خلالها إما مجنوناً، أو في حالة تشبه ذلك؟.

---

(١) الصحاح - الجوهري ١٨١/٥.

- وإن كانت روح القوة، فعندها يكون منهاراً لا يقوى على الحراك.

- وإن كانت روح الشهوة، فعندها يترك الأكل والشرب وما يتعلق بذلك.

وكل ذلك - في نظرنا - مُستبعد شرعاً وعقلاً ومنطقاً، كما أنّ أخبارهم الكثيرة - أيّ المُحضرين - لم تذكر أو تُشر إلى شيء من ذلك - حسب اطلاعنا المتواضع -.

أما بشأن (التحريكات بالإرادة، وتسخير الجنّ)، فنقول عنه: -

(إنّ الجنّ والشياطين، أقوام وطوائف وملل ونحل مختلفة، حالهم حال بني البشر وبقية المخلوقات، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ (الأنعام: من الآية٣٨)، فمنهم المسلمون، وهؤلاء ينقسمون إلى: مؤمنين وغير مؤمنين، ومنهم من الديانات الأُخرى: كاليهودية والمسيحية وغيرهما، ومنهم المشركون والملحدون، والفسقة، ومنهم مَنْ تكون طبيعته شريرة، ويُحب الأعمال الخبيثة.

وإنّ الشياطين نوعان: شياطين الجنّ، وشياطين الإنس، ولكل صفاته وقدراته ومميزاته.

وإنّ التنجيم والكهانة والسحر، هي علوم موجودة، ولها قوانينها وطرقها الخاصة بها، وأنّ مجرد تعلمها لغرض معرفتها فقط، قد لا يكون فيه إشكال شرعي، وكما مرَّ معنا سابقاً.

والسحر ينقسم إلى أنواع: -

الأول - ما له حقيقة وأثر خارجي، وهو المستند إلى قوانين السحر، وأغلبه ضار، ولكنّ ضرره لا يتم إلاّ بإذن الله، وبالمعنى الذي بيّناه سابقاً.

الثاني - ما ليس له حقيقة، وإنّما هو مجرد تخيُل، أو من اختراع العقل الباطن، أو

أمور أُخرى بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ١١٦) وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (طه: ٦٦).

الثالث - ومنه، ما هو إلاّ عبارة عن خُدع ومخاريق وتمويهات، تعتمد على أنواع من المواد الكيماوية المستخدمة فيها، أو على مهارة وخفة حركات القائمين بها.

الرابع - قد يستطيع بعض السحرة بواسطة نوع من علوم السحر وطلاسمه وطرقه الخاصة، أن يُسيطر على بعض الأرواح من الجنّ والشياطين السائبة والفاسقة وغير المؤمنة، ويجعلها تحت إمرته، ومن ثم يسخرها لتنفيذ مآرب وطلبات ضارة غالباً، وبسيطة ومحدودة، إذ إنّ هؤلاء لا يستطيعون القيام بأعمال تكون مُخالفة لإرادة الله ومشيئته، فهم لا يستطيعون قتل أو إنهاء حياة إنسان أو غيره، إذا كُلفوا بذلك، اللهم إلاّ إذا افترضنا أو احتملنا: أنّ أجلَ ذلك الإنسان أو غيره (المحتوم والمخروم) قد قدره الله وعلمه، أن يكون بهذه الطريقة وبهذا السبب، وحتماً لا يقوم بمثل هكذا عمل إلاّ الفاسقون من الإنس والجنّ والشياطين)[1].

وهنا أورد أحد الفضلاء ملاحظة، قال فيها:

(النوع الرابع: لماذا تفترض أنّ الأعمال البسيطة موافقة لإرادة الله ومشيئته، وغيرها (الكبيرة) مُخالفة لإرادة الله؟ ثُمَّ إنّ القرآن يُخبرنا عن إمكانات كبيرة للجن، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (النمل: ٣٩)، فلماذا قصر إمكانياتهم على البسيطة المحدودة فقط؟.

وفي الجواب نقول: -

(١) أغرب وأجمل المضامين في أقوال المعصومين ١/١٤٢-١٤٤ - للمؤلف - باختصار وتصرف.

أ - لم نفترض (أنّ الأعمال البسيطة موافقة لإرادة الله ومشيئته) إن كانت ضارة أبداً، سواءً كانت صغيرة أو كبيرة.

ب - العفريت لغة: قيل: النافذ في الأمر، المُبالغ فيه، مع دهاء وخبث، وقيل: هو الداهي الخبيث الشرير، وقيل: خبيث منكر داه شرير متشيطن)[1].

ومن ذلك يُستشف: أنّ إحضار عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين يُعد من المعاجز الإلهية، ولمّا كانت المعاجز الإلهية لا تحصل إلاّ لنبيّ أو وصيّ نبيّ وبدعائهما، لذا لم يُوافق سليمان عليه السلام على مقترح ذلك العفريت، لاتصافه بالخباثة والشرور والمكر والشيطنة، على الرغم من قصر المدّة الزمنية بين أن يأتي بهِ قبل أن يقوم من مقامه، وهو منتصف النهار - عادة - كما في الروايات - وبين حضوره عنده عن طريق مَنْ لديه (علم من الكتاب) وهو وصيّه آصف بن برخيا قبل ارتداد الطرف، إذ في كلا الوقتين أنّ العرش يكون حاضراً عنده قبل وصول ومجيء بلقيس إلى سُليمان عليه السلام، ومن تلك الحادثة اتضح: -

أولاً- إنّ المعجزة الإلهية أو الكرامة، لا تحصل إلاّ للأنبياء والأوصياء والأولياء، وبدعاء منهم، وإذن إلهي، وكما بيّناه سابقاً.

ثانياً- كان اعتماد العفريت لإحضار عرش بلقيس على سرعته الفائقة في التنقل في أقطار الأرض التي يتمتع بها الشياطين والجن، وقد يكون هو أكثر من غيره، لأنّه عفريت، ومن معانيه: النافذ في الأمر، المبالغ فيه).

ثالثاً- وكان اعتماد مَنْ لديه (علم من الكتاب) وهو آصف بن برخيا، وصيّ سُليمان عليه السلام على الولاية التكوينية الممنوحة للأنبياء والأوصياء، إذ قيل: (إنّ

(١) تاج العروس - الزبيدي ٧/٢٤٠ - ٢٤٦.

الأرض طويت له فتناوله، وقيل: أشار إليه بإصبعه فحضر، وقيل: خُسِفت الأرض ونبع من تحت كرسي سُليمان عليه السلام[١].

رابعاً- إذا ما قورنت إمكانات ذلك العفريت المعتمِدة على سرعة التنقل وقوة الجسم، مع إمكانات مَنْ لديه (علم من الكتاب) فسيتضح أنّها بسيطة ومحدودة، إذ إنّ السرعة وقوة الجسم عرضة للنقصان لكثير من الأسباب، وتكون أكثر بساطة ومحدودية إذا ما قورنت مع إمكانات مَنْ لديه كل (علم الكتاب) وهُم محمد وعترته المعصومون عليهم السلام.

خامساً- ومن فوائد ذلك الحدث، إظهار مكانة الأنبياء وأوصيائهم، وكونهم الأعلم والأقدر من غيرهم، ويجب اتباعهم وطاعتهم، ومنهم آصف ابن برخيا وصيّ سُليمان عليه السلام. والله أعلم.

وقد علق الأخ على أجابتنا هذه قائلاً: (ليس الإشكال هو مُقارنة بين آصف والعفريت، بل قلنا: إنّ للعفاريت إمكانيات كبيرة، فلِمَ اقتصرتم على اليسير منها، ولا علاقة لذلك بآصف أو جبرائيل عليه السلام ثُمَّ إنّ المُقارنة لا تستقيم لاختلاف المُقارَن بينهما، فالأول جنيّ والثاني إنسي، والأول قدراته ذاتية، والثاني عرضية... الخ)

وجوابنا على هذه التعليقة: ونحن قلنا: لّما كانت قُدرات العفريت ذاتية، فهي محدودة، لأنَّ كل ذاتي - عدا الله سبحانه - فهو محدود، أما الولاية التكوينية فمستندة إلى اللا محدود في كل شيء، فهي الغالبة دوماً، ودليله: قول أمير المؤمنين عليه السلام عندما قلع باب خيبر، الذي ذكرناه سابقاً. والله أعلم.

---

(١) المحتضر - حسن بن سليمان الحلي - ص ١٣٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن خسف الأرض، وعدّة الداعي - ابن فهد الحلي - ص ٥١، عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام، عن غوره تحت الأرض، وطي الأرض.

الفصل السادس

الاتصال بالأرواح القوية العالية، وارتباط الكواكب بالأوضاع السماوية مع الحوادث المادية

أقول: إنَّ هكذا موضوع، وبهذه الضخامة والخطورة، لم يسبق لنا الخوض بمثله، أو التعرض لمضامينه، ولكن، ولّما كان البحث يقتضي ذلك، فيمكن - بعد استمداد العون الإلهي - أن نقول عنه الآتي: -

(إنَّ وراء تدبير المخلوقات - ومنهم الناس - خالقاً قادراً مختاراً، يتصرف في مُلكه ومماليكه بحسب ما يُريد من الاختيارات، فإنّ شاء جعل للزمان والمكان والنجوم ونحوها، دلالات، وإن شاء أسقط دلالاتها على الحادثات)[1].

(حيث جعل سبحانه تقديره على مرتبتين: -

الأولى- مرتبة تعم الجميع ما سوى الله، وهي تحديد أصل الوجود بالإمكان والحاجة، وهو يعم جميع الموجودات ما خلا الله سبحانه...

الثانية - مرتبة تخص عالم الشهود، وهي تحديد الأشياء الموجودة فيه من حيث وجودها وآثار وجودها، وخصوصياتها، ولكونها متعلقة الوجود والآثار بأمور خارجة من العلل والشرائط، فيختلف وجودها وأحوالها باختلاف عللها وشرائطها، فهي مقولبة بقوالب من داخل وخارج تعيّن لها، من العرض والطول والشكل والهيئة، وسائر الأحوال والأفعال ما يناسبها... وهذا التقدير هو غير القضاء الذي هو الحكم

(١) فرج المهموم في علم النجوم - السيد ابن طاووس - ص ١ وما بعدها - بتصرف -

البتّ منه تعالى بوجوده، فربّما قدّر ولم يعقبه القضاء، كالقدر الذي تقتضيه بعض العلل والشرائط الخارجة، ثم يبطل لمانع أو باستخلاف سبب آخر... وربّما قدّر وتبعه القضاء، كما إذا قدّر من جميع الجهات باجتماع جميع علله وشرائطه... وارتفاع موانعه... فالأمور التي لها علل مركبة من فاعل ومادة وشرائط ومعدات وموانع، فإنّ لكل منها تأثيراً في الشيء بما يسانخه، فهو كالقالب الذي يُقلب بهِ الشيء، فيأخذ لنفسه هيئة قالبه وخصوصيته، وهذا هو قدره... وإذا اجتمعت أجزاء العلة التامة أعطت ضرورة الوجود، وهذا هو القضاء الذي لا مردَّ له... الخ، فقد وردَ (في التوحيد، عن ابن نباته، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عدل من حائط مائل إلى حائط آخر، فقيل له: يا أمير المؤمنين، تفرُّ من قضاء الله؟ قال: أفِرُّ من قضاء الله إلى قدر الله عزَّ وجلَّ)[١].

وقد يكون (إنَّ بين الأوضاع السماوية والحوادث الأرضيّة ارتباطاً ما، إلاّ أنّه في الجملة لا بالجملة، كما أنّ بعض الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام يُصدّق ذلك كذلك... وعلى هذا، لا يُمكن الحكم البتي بكون كوكب (كذا) أو وضع (كذا) سعداً أو نحساً، وأما أصل ارتباط الحوادث والأوضاع السماوية والأرضيّة بعضها ببعض، فليس في وسع الباحث الناقد إنكار ذلك... الخ)[٢].

وهو موضوع (وبحسب النظر العقلي البشري المحدود... لا سبيل إلى إقامة البرهان [على إثباته أو نفيه]... لعدم الإحاطة بالعلل والأسباب الفاعلة المؤثرة في حدوث الحوادث وكينونة الأعمال... وإن كان الثبوت بعيداً، فالبُعد غير الاستحالة... الخ)[٣].

ونرى من المُفيد، أن نذكر هنا هذه الرواية: (عن ظريف، عن أبي عبد الله عليه

---

(١) التوحيد – الشيخ الصدوق – ص ٣٦٩.

(٢) الطباطبائي – في تفسيره الميزان ١٩/ ٧٥.

(٣) المصدر السابق نفسه ١٩/٧١-٧٥.

السلام قال: (إنَّ العبد الوليّ لله، يدعو في الأمر ينوبه (وفي رواية - ينويه)، فيقول الله للمَلَك الموّكل بذلك الأمر: اقض حاجة عبدي ولا تُعجلها فإنّي اشتهي أن أسمع صوته ودعاءه، وإنَّ العبد المُخالف، ليدعو في الأمر يُريده، فيقول الله للمَلَك الموّكل بذلك الأمر: اقض حاجته وعجلها، فإنّي أبغض أن أسمع صوته ونداءه، فيقول الناس: ما أُعطي هذا حاجته وحُرِمَ هذا إلاّ لكرامة هذا على الله، وهوان هذا عليه)[١].

(وقد يخطر ببال البعض: أنّ مثل هذا التصنيف يجعل دوراً للملائكة في إدارة شؤون الكون، هو بمثابة جعل شركاء لله في مُلكه، وهذا شرك جلي؟!

ولكنّ الحقيقة غير ذلك، فإنَّ الله سبحانه، عندما خلق الأكوان وما فيها، خلق ملائكة كراماً وأوكل لكل جنس أو نوع أو صنف منهم واجبات لإدارة كونه بإذنه ووفق تقدير دقيق، وسُنن إلهية لا تقبل التغيير ولا التبديل، لأنّه جلَّ وعلا، لا يُمارس الأشياء بذاته المقدسة، فهؤلاء الملائكة هُم جُند الله الذين لا يعلمهم إلاّ هو، يُنفذون إرادته ومشيئته وفق تخطيطه وما يُريده هو سبحانه، لا وفق ما يُريدون هُم، أو بالاستقلال الذاتي لهم، وهُم مُطيعون لربهم تمام الطاعة، ويفعلون ما يؤمرون بهِ، فقد وردَ في الفقيه والخصال والكافي، عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: (إنَّ لله عزَّ وجلَّ جنوداً من الريح، يُعذب بها من عصاه، موكل بكل ريح منهن مَلَك مُطاع، فإذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يُعذب قوماً بعذاب، أوحى الله إلى المَلَك الموكل بذلك النوع من الريح الذي يُريد أن يُعذبهم بهِ، فيأمرهم المَلَك، فتهيج كما يهيج الأسد المغضب، ولكل ريح منهن اسم أما تسمع لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (القمر: ١٩)[٢].

---

(١) الكافي – الشيخ الكليني ٢/٤٩٠ ح ٧ وفي بحار الأنوار للمجلسي ٧١/ ١٥٢ ح٥٦ وفي المستدرك ١/٣٦٥ ح٥ وأخرجه في الوسائل ٤/١١١٢ ح٤.

(٢) تفسير الصافي – الفيض الكاشاني ٥/٨٤ وما بعدها .

إنّ (الروايات الواردة في تأثير النجوم سعداً ونحساً، وتصديقاً وتكذيباً، كثيرة جداً) وهي على أقسام: -

منها- ما يدل بظاهره على تسليم السعادة والنحوسة فيها، كما في الرسالة الذهبيّة، (عن الإمام الرضا عليه السلام: أعلم أنّ جماعهن والقمر في برج الحمل أو الدلو من البروج أفضل، وخير من ذلك أن يكون في برج الثور لكونه شرف القمر)[١].

(وفي البحار، عن النوادر بإسناده عن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (مَنْ سافر أو تزوج والقمر في العقرب لم يرَ الحُسنى)[٢].

(وعن الإمام علي عليه السلام: يُكره أن يسافر الرجل في محاق الشهر، وإذا كان القمر في العقرب)[٣].

ومنها- ما يدل على كون تأثير النجوم في الحوادث حقاً في نفسه، فقد ورد (في الكافي بإسناده عن عبد الرحمن بن سيابة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، إنّ الناس يقولون: إنّ النجوم لا يحل النظر فيها، وهو يُعجبني، فإنْ كانت تضرّ بديني فلا حاجة ليّ في شيء يضرُّ بديني، وإنْ كانت لا تضرّ بديني فوالله إنّي لأشتهيها وأشتهي النظر فيها، فقال: ليس كما يقولون، لا يضرّ بدينك، ثم قال: إنّكم تنظرون في شيء منها، كثيره لا يُدرك، وقليله لا ينتفع بهِ)[٤].

(عن كتاب النجوم لابن طاووس، عن معاوية بن حكيم، عن محمد بن زياد، عن محمد بن يحيى الخثعمي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم: حقٌ هي؟ قال ليّ: نعم. فقلت له: وفي الأرض من يعلمها؟ قال: نعم، وفي الأرض من

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٢٦٨/٥٥.
(٢) مُنتهى المطلب (ط. ق) – العلامة الحلي ٦٤٥/٢.
(٣) تفسير الميزان – العلامة الطباطبائي ٧٦/١٩.
(٤) الكافي – الشيخ الكليني ١٩٥/٨ .

يعلمها... (وفي عدة من الروايات): ما يعلمها إلاّ أهل بيت في الهند، وأهل بيت من العرب... - وفي بعضها - من قريش)[١].

(وعن يونس بن عبد الرحمان في جامعه الصغير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، أخبرني عن علم النجوم ما هو؟ فقال: هو علم من علوم الأنبياء، فقلت: أكان علي بن أبي طالب عليه السلام يعلمه؟ فقال: كان أعلم الناس بهِ)[٢].

وقد أشكل السيد الطباطبائي على الموضوع من ناحيتين: -

الأولى - قال: (وحمل بعضهم هذه الروايات المسلمة لنحوسة بعض الأيام على التقية، وليس بذاك البعيد فإنّ التشاؤم والتفاؤل بالأزمنة والأمكنة والأوضاع والأحوال من خصائص العامة يوجد منه عندهم شيء كثير... [وقال أيضاً]: ويمكن حمل أمثال هذه الروايات على التقية على ما قيل، أو على مقارنة الطيرة العامة كما ربّما يشعر به ما في عدة من الروايات من الأمر بالصدقة لدفع النحوسة كما في (نوادر الراوندي بإسناده عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده في حديث: إذا أصبحت فتصدق بصدقة تذهب عنك نحس ذلك اليوم، وإذا أمسيت فتصدق بصدقة تذهب عنك نحس تلك الليلة)[٣].

الثانية - قال: (إنَّ بعض الروايات يدل على (تكذيب تأثيرها) في الحوادث، وتنهى نهياً شديداً عن الاعتقاد بها، والاشتغال بعلمها، واستدل على ذلك على ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، قوله: (المُنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار)[٤]

---

(١) فرج المهموم - ابن طاووس - ص ٩٩ .

(٢) فرج المهموم - ابن طاووس - ص ٩٩.

(٣) تفسير الميزان - الطباطبائي ١٩/٧٣و٧٦، والرواية من كتاب - الدعوات - لقطب الدين الراوند ص١١٢.

(٤) المصدر السابق نفسه - ص ٧٦، والرواية من - نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام ١/١٢٨.

أقول: يُمكن أنْ تكون الإجابة عن ذلك بالآتي: -

- إنَّ القول: بأنّ بعض الروايات قيلت للتقيّة، هو قول مُستبعد، إذ لا يُمكن للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يتحدث بمثل هذه الأمور من باب التقيّة! وكيف يستخدم التقيّة، وإنّ (قوله وفعله وأمره) يتخذها المسلمون من بعده سُنّة ومنهاجاً.

- وكذلك الحال بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام، إذ لم يُنقل عنه أنّه استعمل التقيّة فيها، ثُمَّ ممن يتقي في مثل هذه الأمور؟ ولو أنّه أراد بأقواله بشأن الموضوع، التقيّة لكان حريّ بهِ أن يتقي في مقولته المشهورة، التي لم يقلها أحد غيره، عندما خاطب الجميع - أصدقاء وأعداء، مُحبين ومُبغضين: (سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّي أدرى بطرق السماوات من طرق الأرض)[١] ونحو ذلك من إخباراته الغيبية.

- وكذلك الأئمة المعصومون عليهم السلام، إذ كان من اللائق أن يتقوا بأقوالهم التي بثوها بين الناس كافة، والتي أخبروا بها بأنّهم (أعلم الناس، ولديهم علم جميع الأنبياء من الأولين والآخرين، وأنّهم يعلمون ما كان وما يكون إلى قيام الساعة، علماً توارثوه كابراً عن كابر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل عليه السلام عن الله تعالى)[٢].

والذي نعتقده، أنّهم عليهم السلام لم يستخدموا التقيّة في مثل هذه الأمور، كونها علوماً إلهية محمدية ثابتة لا تقبل التبدل إلاّ بإذن الله سبحانه، أما الطيرة، فلها بحثها الخاص بها، ليس هنا محله.

وقد أوردَ أحد الفضلاء هنا ملاحظة قال فيها:

(في صفحة ١٥٨، واستبعادكم لموضوع التقيّة وارد جداً، لكنكم لم تُبينوا رأيكم

(١) الفضائل - شاذان بن جبرئيل - ص ٩٨.

(٢) بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفّار - ص ١٤٨، وغيرها.

في الموضوع للقارئ، فهل تؤيدون وجود نحوس وسعود في الأيام والليالي وبقاع الأرض، أم تعتبرونها من خُزعبلات الكهنة؟).

وجوابنا عن ذلك:

كيف يُمكن لعاقل أن ينفي سعادة ونحوسة الأيام والليالي والأزمنة والأمكنة، وهي حقيقة، أثبتها الله سبحانه في قرآنه المجيد بآيات شريفة، منها: -

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (القمر: ١٩).

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ (فصلت: من الآية١٦).

وقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: من الآية٣).

وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر: ٤-٥).

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ٤).

وقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾ (الحاقة: من الآية٧).

وأما ما وردَ في السُنّة بشأن ذلك، فهو كثير، وقد أشرنا لبعض الروايات منها في الصفحتين (١٦١ و١٦٢) من هذا البحث.

فنحن نؤيده، ولنا في الموضوع بحث منفصل موجود في كتابنا (أغرب وأجمل المضامين في أقوال المعصومين ٢/٦٦-٩٨، تحت عنوان (سعادة ونحوسة الأيام.. في منظور القرآن والإمام) وبأكثر من (٣٠) صفحة، نظراً لأهميّته، ولكونه من مواضيع الاعتقاد، ولتشعب متعلقاته، والله أعلم.

أما ما يخص ما وردَ في الإشكال الثاني، فقولنا عنه: -

(من الواضح، أنَّ علم النجوم هو علم مثل باقي العلوم الأُخرى، له قوانينه وفنونه وطرقه المتنوعة الخاصة بهِ وقد اختص الله بهِ أنبياءه وأوصياءه، بدليل ما وردَ في الرواية عن المعصوم: بأنّه لا يعرف علم النجوم حق علمه، ومعرفته بتفاصيله وجزيئاته، غير أهل بيتين فقط: بيت في الهند، وقد يكون هذا البيت، بيت نبيّ أو وصيّ نبيّ، وقد ذكر السيد ابن طاووس: (...وحدثني بعض علماء المنجمين، إنَّ الذين يعلمون النجوم بالهند، أولاد وصيّ إدريس عليه السلام[١]، وقيل: إن إدريس عليه السلام هو أول من نظر بعلم النجوم والحساب)[٢]، والبيت الثاني من العرب، بل من قريش حصراً، وفي نظرنا: لا يتعدى هذا الحصر بيت خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى سواهم قطعاً، والروايات تُثبت وتؤيد ذلك.

أما ما عداهم من الناس، فقد يتيسر للبعض سبر أغوار مثل هذه العلوم والغوص في بحورها، غير أنّهم لا يتمكنون من تحصيلها بتمام تفاصيلها وجزئياتها، وإنّما يغرفون ما توفر لهم منها، فتكون والحال هذه ناقصة.

ولمّا كان - هذا العلم - قليله لا ينفع، وكثيره لا يُدرك، إلاّ لمن اختصهم الله بذلك، فستكون نتائج استخراجات المنجمين التي يعطونها للناس كاذبة، فهي ضارة أو غير مُفيدة، ومن أجل ذلك جاء نهي أمير المؤمنين عليه السلام للناس أن لا يتعلموا النجوم إلاّ ما يهتدي بهِ في برٍ وبحرٍ، لأنَّ هذين الجزئين من هذا العلم سهلان ويُمكن تحصيلهما من قبل المشتغلين بذلك، وقد تكون نتائجهما صحيحة ونافعة، هذا سبب...

وسبب آخر مهم: أنّ النهي الشديد عن الاشتغال بعلم النجوم كان من أجل أن

(١) فرج المهموم في علم النجوم – السيد ابن طاووس – ص ٨٧.

(٢) المصدر السابق نفسه – ص ٢١.

لا يعتقد الناس أنّ الكواكب والنجوم ونحوها، هي الخالقة والموجدة لما دونها، أو أنّها هي المُدبرة للنظام الكوني، حيث إنّ ذلك يستعقب الشرك بالله تعالى[١].

أما علم (الجفر)، هو علم خاص بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعن طريقه تُكشف للرسول أو الإمام المعصوم حوادث مختلف الدهور والأزمان الماضية والحاضرة والمستقبلية، فهو علم إلهي نبوي علوي، مستقل عن الكهانة أو السحر أو التنجيم، ولا علاقة له بها أبداً[٢].

نعم، وردَ في الأخبار والروايات: أنَّ الله تعالى جعل لكل سورة، بل لكل آية قرآنية، أو لكل جزء منهما، من كتابه الكريم، ملائكة موكلين بتنفيذ آثار مضامينها، فنحن نعلم أنّ هناك سوراً أو آيات قرآنية، قد جعل الله فيها الشفاء من الأمراض العضوية، وأُخرى فيها الشفاء من الأمراض النفسية والوسوسة، وأُخرى لزيادة الرزق، وغيرها لدفع البلاء والقضاء - الخاضع للبداء طبعاً - وأُخرى للنصر على الأعداء، وأُخرى لقضاء حاجة مُعيّنة، وهكذا بالنسبة لجميع أمور الدُنيا.

كما نعلم - عن طريق الروايات - أنَّ هناك آيات وسوراً فيها رضا الله - وكل القرآن هو رضا لله - والتقرب منه تعالى، ولها ثواب وأجر أُخروي عظيم، ورفع الدرجات في الجنان، ودفع نوع من عذاب القبر أو البرزخ، وهكذا لجميع أمور الآخرة.

وقد تشمل هذه القاعدة كثيراً من الأدعية والأذكار المأثورة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيت العصمة عليهم السلام.

فإذا أراد الإنسان أن تُقضى له حاجة - دنيوية أو أُخروية - فما عليه إلاّ أن يقرأ تلك السور أو الآيات القرآنية المُخصصة بالروايات لتلك الحاجة، أو يدعو بالدعاء

(١) أغرب وأجمل المضامين في أقوال المعصومين ٢/٧٧ - للمؤلف.

(٢) تمَّ تعديل هذا المقطع استئناساً برأي أحد الفضلاء، جزاه الله خيراً، مع شكرنا وتقديرنا له.

المأثور والمخصوص أيضاً، بعد التوكل على الله سبحانه، والتوسل إليه بأحبّ خلقه محمد وآله الطاهرين عليهم السلام، وبعد استحضار النيّة الخالصة والصادقة والمطمئنة، وفي حالة الخضوع والخشوع، وبعد تطبيق بقيّة شروط الدُعاء المُبيّنة في مضانها، عند ذلك، وبعد أن يأذن الله ويشاء الإجابة وقضاء الحاجة، تقوم الملائكة الموكلون بذلك، بتنفيذ آثارها ونتائجها، فيحصل المُراد والمطلوب، وقد لا يحصل في حينه ويؤخر، لحكمة ربانيّة، أو لوجود سبب مانع من الاستجابة، أو لفائدة دنيوية أو أُخروية للداعي، هي أفضل وأكبر من تلك التي كان يرجو نيلها، لعلمه تعالى بعواقب الأمور.

أما غير ذلك، فلا يُمكن تصديق من يدعي: أنّه بإمكانه امتلاك الملائكة وتسخيرهم، وإحضارهم متى شاء، وصرفهم متى شاء، لتنفيذ طلباته، لأنَّ ذلك ليس بمقدوره، ولا تحت استطاعته، لأنَّ الملائكة مملوكون لله فقط، وبأمره يعملون، وله فقط يُطيعون، وليس لأيّ بشرٍ امتلاكهم والسيطرة عليهم أبداً، فهو إذاً كاذب.

أما ما يحصل مع الأنبياء والأولياء، فذلك شيء مُختلف، إذ إنّ الله تعالى هو الذي يُعيّن ويأمر بعض ملائكته أن يكونوا بصحبتهم، وتقديم العون والتسهيلات لهم، لإعانتهم على أداء واجبات الرسالة، أو مهام الإمامة، وإيضاح الأمور الغيبية لبعضهم، كروح القدس مثلاً، الذي كان مع النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثُمَّ انتقل بعد رحيله إلى الأئمة المعصومين - كما هو الثابت في الروايات -.

وكذلك الملائكة الذين جعلهم الله مع الإنسان - أو غيره - كالحفظة أو المُراقبين والمحصين لعمل العبد، فهم مأمورون بذلك من قبل الله عزَّ وجلَّ[1]، والله أعلم.

---

(١) أغرب وأجمل المضامين في أقوال المعصومين ٢/١٤٠-١٤٥ - للمؤلف - بتصرف.

زبدة البحث ونتائجه

١ - الظاهر من الآيات والروايات: أنَّ المعاجز الإلهية أقسام: -

أ - فمن الآيات والمعاجز الخارقة للعادة تحصل وتحدث من قبل الله تعالى مباشرة، وبلا توسط أيّ موجود آخر، وإنّما تحصل بقوانين بديلة عن القوانين الطبيعية الأصلية، وهذا النوع يشمل جميع المعجزات والكرامات التي حدثت وجرت في زمن كثير من الأنبياء والأوصياء، وكما مرَّ علينا سابقاً.

ب - ومنها ما تحصل وتحدث بقانون بديل عن القانون الطبيعي، ولكن بعد دعاء النبيّ أو الوصيّ، وهذا النوع يشمل كثيراً من المعجزات والكرامات التي حدثت وجرت في زمن عدد من الأنبياء والأوصياء، بما فيهم الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأوصياؤه عليهم السلام أيضاً.

ج - ومنها ما تحصل وتحدث نتيجة وجود (مبادئ نفسانية، أو مقتضٍ نفسي مؤثر) عند النبيّ أو الوصيّ، ولكن بعد الإذن الإلهي، وبقانون بديل عن القانون الطبيعي أيضاً وهذا النوع - وحسب اعتقادنا- هو من مُختصات أول وخاتم الأنبياء

والرُسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه الإمام علي وأولاده المعصومين عليهم السلام وبذلك يتضح: أنّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأوصياءه عليهم السلام يُشاركون الأنبياء والأوصياء السابقين لهم بالقسمين الأولين، إضافة إلى القسم الثالث الذي هو من مختصاتهم، والله أعلم.

٢- إنَّ مصدر السحر في الأرض هو (إبليس، لعنه الله) وتبناه من بعده شياطين الجنّ والإنس، بسبب حسده لآدم عليه السلام وذريته.

٣- إنَّ السحر يحدث نتيجة علم خاص به، له قوانينه وطرقه المختلفة، حاله كحال بقيّة العلوم الأُخرى، ولا ينتج بسبب (مبادئ نفسانية، أو مقتضٍ نفسي مؤثر) في نفوسهم.

٤- إنَّ تأثير السحر إذا وقع على البعض، فهو ليس بإذن مباشر من الله سبحانه، لأنّه تعالى لا يأمر بالفحشاء والمنكر، ولا يرضى كل ضار، وإنّما ذلك الإذن يُمهد له الإنسان نفسه بأفعاله الاختيارية.

٥- إنّ الأرواح التي يتم تحضيرها من قبل من يُسمون (الروحي، أو المُحضر) هي ليست أرواح أنبياء أو أوصياء أو مؤمنين، متوفين أو أحياء، وإنّما هي أرواح فسقة شياطين الجن السائبة التي من شأنها الكذب والفرية، لأنَّ عالم الأرواح هو عالم الطهارة والصفاء، ولا سبيل للكذب والفرية والزور إليه.

٦- إثبات بطلان وكذب إدعاء تسخير الملائكة وامتلاكهم.

٧- هُناك فروقٌ كبيرة وكثيرة ومهمة ومتنوعة بين (المعجز الإلهي) وبين (السحر الشيطاني) نذكر هنا ما يحضرنا منها: -

ت	الآية، أو المعجزة الإلهية	السحر الشيطاني
أ	هو الأمر الخارق للعادة، الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة.	هو عمل خفي، لخفاء سببه.
ب	أمر حقيقي، وليس خيالياً أو وهماً.	ليس له حقيقة، ويصوّر الشيء بخلاف صورته، ويقلبه عن جنسه في الظاهر، ولا يقلبه عن جنسه في الحقيقة (خيال ووهم).
ج	تحصل بقانون بديل عن القانون الطبيعي، ومسيطر عليه.	يحدث بقانون علمي، وبطرق خاصة لتجميع الأسباب والمسببات، وهو أثر لها.
د	حصولها لغاية وهدف مُفيد، وللهداية والرُشد	أغلبه ضار وغير مُفيد وتمويه وإضلال.
هـ	إنَّ حصولها يُقرب الإنسان إلى ربهِ.	إنَّ ممارسته تُقرب الإنسان من مسار الشياطين.
و	إنّها أمر صادق، ولا كذب فيه.	إنّه كذب وخدع: فقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الأعراف: من الآية١١٧)، فالإفك يأتي مرة بمعنى: الكذب: يأفكه إفكاً، أيّ: قلبه وصرفه عن الشيء)[1]، ومرة يأتي بمعنى: الخداع: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ (الاحقاف: من الآية٢٢)، أيّ: أتخدعنا وتصرفنا)[2]

(١) الصحاح – الجوهري ٤/ ١٥٧٢ - ١٥٧٣.

(٢) تاج العروس – الزبيدي ١٣/ ٥٠٨-٥٠٩.

ز	لا يُمكن لبشر عادي معرفة أسبابها، لأنّها تحصل بقانون بديل غير موجود في الطبيعة، ثُمَّ يُرفع بعد انتفاء الحاجة، وذلك من الأسرار بين الله وبين بعض أنبيائه وأوصيائه	يُمكن لمن طلب علم السحر وطرقه، من البشر أن يعرف فنونه ويحصل على بعض آثاره.
ح	أغلب الآيات والمعاجز مذكورة في كتاب الله المجيد الذي ليس فيه باطل	أما قصص السحر، فأغلبها من منشأ يهودي، وهم أهل تحريف بما يُناسب منافعهم.

وقد أوردَ أحد الفضلاء على بعض ما جاء في جدول الفروقات بعض الملاحظات، نذكر إحداها لأهميتها، إذ قال فيها:

(الفقرة (هـ) من جدول الفروقات: (ألم ينقلب (٦٩) رجُلاً من أصل (٧٠) من أتباع أمير المؤمنين عليه السلام كُفّاراً عندما رأوا معجزته؟ راجع ص ٥١ - ٥٢).

وجوابنا عن ذلك:

إنّ ذلك ليس مُقياساً، والمقصود هنا الإنسان المتفكر الذي يطلب الحقيقة والذي مدحه الله، وليس الإنسان الجاحد المعاند والذي ذمه الله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾ (النمل: من الآية١٤).

فكثير من الناس، وعلى الرغم من كثرة آيات الله ومعاجزه في الكون، والسماوات والأرض، وفي الأنفس، وإن لله في كل شيء آية، إلاّ أنهم يُنكرون ويجحدون وجوده سبحانه، وهو أمر تابع للاختيار الإرادي، فمن شاء آمن، ومن شاء كفر، والكتاب والسُنة تؤيد ذلك بكثير من الآيات والروايات، والله أعلم.

وعلق أحد الفضلاء على أجابتنا هذه قائلاً:

(إنّ المذكورين هم من أصحاب الإمام عليه السلام وممن يعتقدون بوراثته لعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلافته له، لذلك سألوه أن يُريهم من عجائبه، فإنّ كان هؤلاء جاحدين ومنكرين فلم يبق لدينا من أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم سوى سلمان وأبي ذر وعمّار ومقداد؟).

وجوابنا عن ذلك:

ليس الظاهر كالباطن، فظاهرهم كان كما وصفتم، أما باطنهم فكان على خلافه، وقد أخبرنا الإمام عليه السلام نفسه بذلك بقوله لهم: (لو رأيتم عجيبة من عجائبي لكفرتم وقلتم إنّي ساحر كذّاب وكاهن وهو من أحسن قولكم) وقوله لهم أيضاً: (إنّي لست أُريكم شيئاً حتى آخذ عليكم عهد الله وميثاقه إلاّ تكفروا بي ولا ترموني بمعضلة... الخ) فذلك يُنبئ بأنّه عليه السلام كان خبيراً ببواطنهم، كما أنّ الرواية تقول: (... كانوا في أنفسهم خيار الناس من شيعته)، فهذا ظنهم وقولهم، وهُم ليسوا كذلك واقعاً، إذ لو كانوا حقاً من خيار الشيعة لما كذّبوه، بل لما طلبوا منه ذلك.

والحقيقة كما ذكرتم، فبعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ارتدوا على أعقابهم، ولم يثبُت إلاّ أقل القليل، ثُمَّ عاد البعض تدريجاً، وكما هو معلوم لديكم، فأين الاستغراب؟ والله أعلم.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المؤلف

المصادر

ت	عنوان المصدر	اسم المؤلف
١	القرآن الكريم	
٢	الانتصار	العاملي
٣	الاقتصاد	الشيخ الطوسي
٤	الاحتجاج	الشيخ الطوسي
٥	الأمالي	الشيخ الصدوق
٦	أغرب وأجمل المضامين في أقوال المعصومين	للمؤلف
٧	الإلهيات	الشيخ جعفر السبحاني
٨	أصول الكافي	الشيخ الكُليني
٩	بصائر الدرجات	محمد بن الحسن الصفار
١٠	بحار الأنوار	الشيخ المجلسي
١١	بشارة المصطفى لشيعة المرتضى	محمد بن علي الطبري
١٢	تفسير الميزان	العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي
١٣	تفسير البرهان	السيد هاشم بن سُليمان البحراني
١٤	تفسير الرازي	الرازي
١٥	تفسير جامع البيان	ابن جرير الطبري
١٦	تفسير الفرات	فرات بن إبراهيم الكوفي

١٧	تفسير الأمثل	ناصر مكارم الشيرازي
١٨	تفسير الصافي	الفيض الكاشاني
١٩	تفسير مجمع البيان	الشيخ الطبرسي
٢٠	تفسير القمي	أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي
٢١	تفسير العيّاشي	محمد بن مسعود العيّاشي
٢٢	التوحيد	الشيخ الصدوق
٢٣	تاج العروس	الزبيدي
٢٤	جواهر الكلام	الشيخ الحويزي
٢٥	جامع أحاديث الشيعة	السيد البروجردي
٢٦	جواهر التاريخ	الشيخ علي الكوراني
٢٧	الحدائق الناضرة	المحقق البحراني
٢٨	الخصال	الشيخ الصدوق
٢٩	الدر المنثور	جلال الدين السيوطي
٣٠	الرسائل العشر	الشيخ الطبرسي
٣١	شرح الأخبار	القاضي النعمان المغربي
٣٢	شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين	ابن ميثم البحراني
٣٣	الصحاح	الجوهري
٣٤	علل الشرائع	الشيخ الصدوق
٣٥	علوم الإمام علي عليه السلام العجيبة	دار الجوادين ط١ - ٢٠١١ م-١٤٣٢ هـ
٣٦	فروع الكافي	الشيخ الكليني
٣٧	الفتاوى الواضحة	العلامة السيد محمد باقر الصدر
٣٨	فرج المهموم في علم النجوم	السيد ابن طاووس
٣٩	قصص الأنبيّاء	السيد نعمة الله الجزائري
٤٠	قصص القرآن	علي محمد علي دخيل
٤١	الكافي	الشيخ الكُليني
٤٢	لسان العرب	أبن منظور

٤٣	المحيط باللغة	الصاحب بن عباد
٤٤	مختصر بصائر الدرجات	الحسن بن سُليمان الحلي
٤٥	مدينة المعاجز	السيد هاشم البحراني
٤٦	المُهذب	القاضي ابن البراج
٤٧	الموسوعة العربية العالمية	
٤٨	مكارم الأخلاق	الشيخ الطبرسي
٤٩	مُنتهى المطلب (ط. ق)	العلامة الحلي
٥٠	مناقب أمير المؤمنين عليه السلام	محمد بن سُليمان الكوفي
٥١	مستدرك سفينة البحار	علي النمازي الشاهرودي
٥٢	من المبدأ إلى المعاد في حوار بين طالبين	الشيخ المنتظري
٥٣	نوادر المعجزات	محمد بن جرير الطبري (الشيعي)
٥٤	نهج البلاغة	شرح الشيخ محمد عبده
٥٥	الولاية التكوينية، حقيقتها ومظاهرها	كمال الحيدري
٥٦	الولاية التكوينية لآل محمد عليهم السلام	السيد علي عاشور
٥٧	وسائل الشيعة	الحر العاملي

المحتويات

مقدمة اللجنة العلمية ٥

المقدمة ٧

تمهيد ١١

المُعْجِزة لغة ١١

المُعْجِزة اصطلاحاً ١١

السِّحر لغة ١٢

السحر اصطلاحاً ١٢

الساحر لغة ١٢

الكهانة لغة ١٢

الكهانة اصطلاحاً ١٣

الكاهِنُ لغة ١٣

الكاهِنُ اصطلاحاً ١٣

الفصل الأول

أقسام المعاجز، وكيفيّة حصولها، وتصنيف معاجز الأنبياء على وفقها

بالنسبة للاحتمال الأول ١٩

أما بالنسبة للاحتمال الثاني..... ٢٠

أما بالنسبة للاحتمال الثالث ٢٠

القسم الأول: هي المعاجز والآيات الخارقة للعادة، التي تحدث من قبل الله تعالى مباشرة، وبلا توسط أيّ موجود آخر، ولكن بقوانين بديلة ٢١

في زمن نبيّ الله إدريس عليه السلام ٢١

في زمن نبيّ الله نوح عليه السلام..... ٢٢

في زمن نبيّ الله إبراهيم ٢٤

في زمن نبيّ الله لوط عليه السلام..... ٣٣

في زمن نبيّ الله داود عليه السلام..... ٣٧

في زمن نبيّ الله سليمان عليه السلام ٣٨

في زمن نبيّ الله موسى عليه السلام ٤٠

في زمن أصحاب الكهف عليهم السلام..... ٤٧

في زمن أصحاب الفيل ٥٠

القسم الثاني: المعاجز والكرامات والخارق للعادة، التي تحصل بقانون بديل عن القانون الطبيعي ٥٢

في زمن نبيّ الله صالح عليه السلام ٥٢

في زمن نبيّ الله عيسى عليه السلام ٥٤

الفصل الثاني: القسم الثالث من المعاجز والكرامات والخارق للعادة واختصاصها بالخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه عليهم السلام..... ٥٥

الفصل الثالث: مصدر السحر، وكيف وضع في الأرض؟ وكيف تعلمه إبليس، وكيف عَلَّمَهُ للناس؟ ٨٣

الفصل الرابع: المبادئ النفسانية أو المقتضي النفسي المؤثر، وعلاقتها بالسبب القريب في تحقق المعجزة ١٠٣

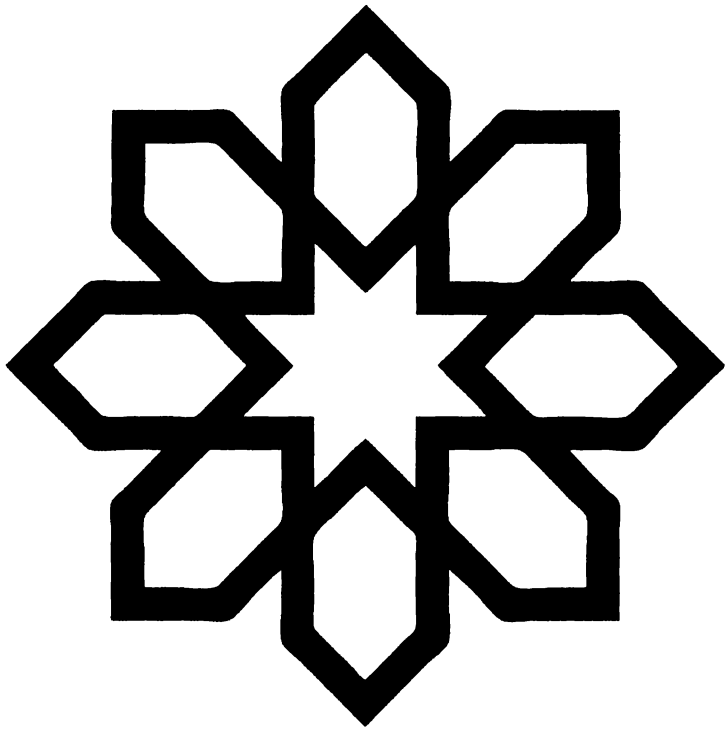
الفصل الخامس: الإخبار بالمغيبات، وتحضير الأرواح، وعلاقة عالم البرزخ بذلك ١٣٩

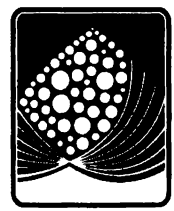
الفصل السادس: الاتصال بالأرواح القوية العالية، وارتباط الكواكب بالأوضاع السماوية مع الحوادث المادية ١٧١

زبدة البحث ونتائجه.....١٨٣

المصادر.....١٨٨

المحتويات.....١٩١





دار الوارث للطباعة والنشر

DARALWARITH Printing & Publishing